

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

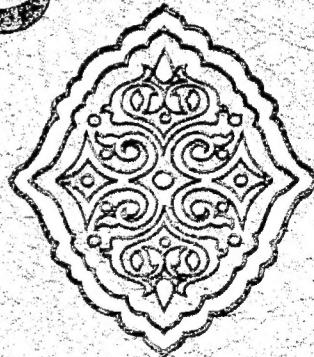


فَلَعْنَاحُ

أَنَّهُ

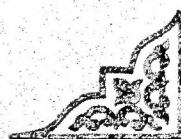
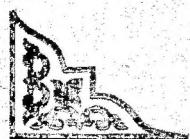
اللهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



خَانُقُشْ بْنُ عَوْنَاحِ السَّدِ الْقَزْنِي

طَارَ أَبْنَى حَذْرَمَ









فَاعْمَلْهُ لِلَّهِ إِلَّا اللَّهُ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

فَاعْمَلْ مَا أَنْهَ رَبُّ الْأَرْضَ اللَّهُ

عَائِضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَرْنِي

طَارَابُونْ حَذْمٌ

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٦٠ - م ٢٠٠٣

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار  
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص ١٣٦٦ / ١٤ - تلفون ٧٠١٩٧٤ :

## نعتقد أن

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

هذه الأوراق عنوانها: «نعتقد أن»، جمعت فيها ملخصاً مفيداً لعقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد حرصت كلّ الحرص أن تكون موثقة بالكتاب والسنة، وبما قاله سلف الأمة، فإن أصبت فمن الله وحده سبحانه وتعالى، وإن أخطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان من الخطأ.

عقيدتنا هي عقيدة أهل السنة والجماعة التي أتى بها محمد ﷺ، والتي ذكرها الله في كتابه، وقد جعلت هذه العقيدة في تسع وعشرين مسألة.

**المسألة الأولى:** نعتقد أن الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقاد، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والدليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيَزَدُّوْا إِيمَنَّا مَعَ إِيمَنِهِمْ﴾، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ أَنَّ النَّاسَ قَدْ جَمِعُوكُمْ لَكُمْ فَأَخْشُوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَنَّا وَقَالُوكُمْ حَسَبْنَا اللَّهَ وَنَحْنُ وَقَاتِلُوكُمْ أَوْكِيلُ﴾.

فدل ذلك على أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بالطاعة ويتعاظم حتى يكون كأمثال الجبال الرواسي، ويقل حتى يكون في القلب كأمثال الهباء أو الذرة.

يزيد بطاعة الله، بالإخلاص في القلب، بالتواضع لله، بالحب لله ولرسوله ﷺ، ويزيد بالأعمال الظاهرة، بكثرة التوافل، بالجهاد، بالأمر بالمعروف، بالنهي عن المنكر، بالصدقة..

ووالله الذي لا إله إلا هو لا يجعل إيمان أبي بكر كإيمان الواحد منا، كما قال المرجئة.

وقد أخطأ المرجئة خطأً بيّناً، حيث جعلوا الإيمان تصديقاً فحسب، فقالوا: من صدق واعتقد بقلبه فكفي، ولا يزيد الإيمان ولا ينقص، وقد أخطأوا خطأً بيّناً، بل يزيد وينقص، وإيمان الواحد منا ليس كإيمان جبريل عليه السلام.

أما قولنا: (الإيمان قول)، فأول ما يدخل المؤمن في هذا الدين بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. دل على ذلك قوله ﷺ في الصحيحين: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصمو مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله».

وليس بصحيح ما قالت المناطقة أنه يبدأ بالنظر والاستدلال قبل الشهادة.

بل طالب ﷺ الناس كافة، عرباً وعجماء، ورجالاً ونساء، بقول: لا إله إلا الله. ولم يقل لهم: انظروا أو استدلوا.. بل يأتي النظر والاستدلال قبل، وبعد، ومع لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ومما يقوى الإيمان النظر في آيات الله الكونية والشرعية بالتدبر، **«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِرَةِ الْيَوْمِ لَذِكْرٌ لِّأُولَئِكَ الْأَلْئَبِ**

اللَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَيْمًا وَقُوًودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَنْذِكُرُوهُ فِي خَلْقِ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّا مَا خَلَقَ هَذَا بِنَطِيلٍ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦١﴾،  
﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَيْلَلِ كَيْفَ خَلَقَ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رَفَعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى  
الْجِبَالِ كَيْفَ نَصَبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطَحَتْ ﴿٢٠﴾﴾.

وقولنا: (عمل)، لأن العمل يدخل في الإيمان ولا يخرج كما  
قالت المرجئة.

ومن قال: أحب الله بقلبي ولا أصلّي في المسجد كاذبه.

ومن قال: أحب الله بقلبي وهو لا يصلّي ولا يزكي ولا يحج  
كاذبه، «وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَبَرَى اللَّهُ عَمَلَكُو وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ».

ونقول: (اعتقاد).

فمن اعتقد ولم يشهد ولم ينطق بالشهادة وهو مستطيع فهذا كاذب.

ومن اعتقد ونطق ولم يعمل فهذا كاذب.

ومن نطق وعمل ولم يعتقد فهذا منافق.

والمؤمن يعتقد وينطق ويعمل، فهذا هو الإيمان الصحيح الذي  
نسأل الله أن يتوفّانا عليه.

**المسألة الثانية:** نعتقد أن صاحب الكبيرة تحت مشيئة الواحد  
الأحد وتحت مشيئة أرحم الراحمين، إن شاء رحمه وإن شاء عذبه،  
ولكن نخاف عليه من العذاب.

ومن يعمل كبيرة وقد استحلّ الكبائر فقد كفر، لكن من شرب  
الخمر أو زنى أو سرق وهو مسلم ولم يستحلّ ذلك قلنا: هو تحت  
مشيئة الله.

ولا نقول كما قالت المعتزلة: هو في منزلة بين منزلتين، ليس  
بمسلم وليس بكافر، وقد أخطأوا.

وقالت الخوارج: من ارتكب كبيرة فهو كافر خالد مخلد في النار، وقد كذبوا.

ونحن نقول: لا يزال مسلماً.

أما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»<sup>(١)</sup>. فالمعنى أنه مسلم ولكن يرتفع الإيمان عنه كما قال عطاء وغيره في حالة مزاولته الزنا حتى يصبح كالظللة فوق رأسه، لكنه ما خرج من دائرة الإسلام.

فالإسلام دائرة واسعة، وداخلها دائرة الإيمان، وداخل دائرة الإيمان دائرة الإحسان. فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، وليس كل مؤمن محسناً، فليعلم ذلك.

والدليل على أن صاحب الكبيرة لم يكفر قوله سبحانه وتعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ»، وقوله سبحانه: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَنِسْخَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصْرِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»<sup>(٢)</sup>.

والدليل أيضاً أن الرسول ﷺ كان يصلّي في عهده على المرجوم الزاني وعلى شارب الخمر وعلى السارق ولم يخرجهم من الملة، بل كانوا يُدفون في مقابر المسلمين، فليعلم ذلك.

والدليل أيضاً أن الرسول ﷺ أتي بشارب الخمر فجلده مع الناس، فقال رجل: أخزاه الله - (يعني شارب الخمر) - ما أكثر ما يؤتى به.

(١) متفق عليه.

فقال ﷺ: «لا تلعنه، فوالذي نفسي بيده، إنه يحب الله ورسوله»<sup>(١)</sup>، فلا يزال مسلماً.

**المسألة الثالثة:** نعتقد أن توحيد الربوبية أقربَ به المشركون. ومن أقربَ بتوحيد الربوبية ولم يقرَّ بتوحيد الألوهية فلن ينفعه عند الله، بل فرعون اللعين عليه لعنة الله أقربَ بتوحيد الربوبية.

وتوحيد الربوبية هو اعتقاد أن الله خالق وأنه رازق وأنه مصرف الكون وأنه مدبر، فهذا أقربَ به المشركون وفرعون.

قال موسى لفرعون: «لَقَدْ عِلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَذُولَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارِي وَإِنِّي لَأَطْنَكَ يَنْفَعُوكَ مَشْبُورًا». يقول: يا لعين، يا خسيس، أنت تعلم أنه ما أنزل الآيات وما أنزل هذا الكلام وما بني هذه السماء والأرض إلا رب السموات والأرض.. ولكنك جحدت.

فقد أنكر الربوبية في الظاهر لكن في الباطن يدرى، ولذلك يقول لقومه: «أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَرُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي؟»، فإنكر ولكن في الباطن يدرى.

والبشركون: أبو جهل وأبو لهب وأمية بن خلف وأمثالهم وأشكالهم وأضرابهم أقربوا بتوحيد الربوبية، لكن أنكروا توحيد الألوهية. قال سبحانه: «وَلَمْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ حَلَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُوا إِنَّهُ اللَّهُ»، فهم يدركون أن الله خلق السموات والأرض ولكن أنكروا توحيد الألوهية.

إذا علم هذا، فمن اعتقد أن الله خالق ورازق ولم يعبد الله ولم يوحده في العبادة فهو من أهل النار.

**المسألة الرابعة:** نعتقد بتوحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة وأن يوحد سبحانه وتعالى ولا يُصرف لغيره شيء من العبادة.

---

(١) رواه البخاري.

فمن فعل ذلك فقد أشرك.

وهو الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام: نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد، كلهم، فكل واحد منهم يقول لقومه: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، فكلهم أتى بهذه الكلمة وهو توحيد الله سبحانه وتعالى.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِئِنْ أَشْرَكْتَ لِي جُنَاحَنَ عَمَّا كُنْتَ تَعْكُبُ مِنَ الْخَسِيرِينَ ٦٥﴾، وقال سبحانه: ﴿فَاعْمَلْ أَنْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿أَلَا يَلَوَ الَّذِينَ الْخَالِصُونَ﴾، وقال عز من قائل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُّثَلُكُرْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُرْ إِلَهٌ وَحْدَهُ﴾.

إذا علم هذا، فتوحيد الألوهية هو الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو إفراد الله بالعبادة ولا يشرك معه غيره تبارك وتعالى.

المسألة الخامسة: نعتقد أن الله عز وجل الأسماء والصفات التي أنت في الكتاب والسنة الصحيحة، ونعتقد أنه له سبحانه وتعالى صفات تليق بجلاله لا نكيفها ولا نمثلها ولا نشبهها ولا نعطيها، وإنما ثبت له الصفة التي أثبتتها هو لنفسه تبارك وتعالى وأثبتتها رسوله ﷺ، كصفة اليد، نقول: الله يد تليق بجلاله، بلا كيف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، لا تشبه أيدي المخلوقين، لكن ثبت له يد تليق بجلاله.

وكالعين، وكالاستواء، وكالكلام، وكالمشيئه، وكالصفات التي وردت في الكتاب والسنّة.

ولا نقول كما قالت الأشاعرة الذين أثبتوا سبع صفات وأنكروا بقية الصفات، فقد أخطأوا وابتدعوا.

ولا نقول كما قالت المعتزلة الذين أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات، فقد أخطأوا وابتدعوا.

بل نقول كما قال أصحاب محمد ﷺ في الأسماء والصفات،  
نثبتها كما أثبّتها الله لنفسه بلا تحرير - ولا تشبيه ولا تمثيل ولا  
تعطيل، ذلك هو الدين الخالص.

وكما قال الشافعي: آمنت بما جاء عن الله في كتاب الله على  
مراد الله، وأمنت بما جاء عن رسول الله في سنة رسول الله على مراد  
رسول الله ﷺ.

**المسألة السادسة:** نعتقد بأن الله عز وجل يُرى في الآخرة تبارك  
وتعالى، يراه المؤمنون بعيونهم، زيادة في النعيم.

قال سبحانه وتعالى: «وَجُوهٌ يُؤْمِنُنَّ تَأْسِرَةً إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرٌ» (٢٣)، وقال  
سبحانه وتعالى عن المعرضين: «كَلَّا لِتَرَوْهُمْ يَوْمَ يُؤْمِنُنَّ لَهُجُورُهُمْ» (١٥)،  
فلما حُجب أهل المعصية وأهل الإعراض وأهل الفجور دل ذلك بمفهوم  
المخالفة أن المؤمنين يرونـه سبحانه وتعالى.

وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رِئَّكُمْ كَمَا تَرُونَ  
القمرَ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ».

وهي الزيادة في القرآن كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد  
فسّرت في الحديث بأنها النظر إلى وجهه الكريم.

فنسأل الله أن يريـنا وجهـه في جـنة عـرضـها السـموـات والأـرضـ،  
وهـذا مـعتقدـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ.

وذهبـ المـعـتـزـلـةـ أـنـ لاـ يـرـىـ سـبـحـانـهـ لـاـ فـيـ الدـنـيـاـ وـلـاـ فـيـ الـآـخـرـةـ.  
وذهبـ غـلاـةـ الصـوـفـيـةـ إـلـىـ أـنـ هـيـرـىـ فـيـ الدـنـيـاـ وـفـيـ الـآـخـرـةـ،ـ فـأـخـطـاـ  
الـفـرـيقـانـ..ـ وـأـصـابـ أـهـلـ السـنـةـ فـقـالـواـ:ـ لـاـ يـرـىـ فـيـ الدـنـيـاـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ  
وـيـرـىـ فـيـ الـآـخـرـةـ.

والله يقول في سورة الأعراف لموسى: «لَمْ تَرَنِي وَلَكِنَّ أَنْظَرْتَ إِلَيَّ

الْجَبَلِ فَإِنْ أَسْتَقَرَ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا بَحَلَ رَبْعُهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ  
دَكَّاً وَخَرَّ مُوسَى صَاعِداً ॥

قال ابن مالك في الألفية:

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله اردد وسواء فاعضدا  
أي أن (لن) في الآية لا تقتضي دوام نفي رؤية الله تعالى، بل  
هي إلى أجل محدد وهو يوم القيمة.

المسألة السابعة: نعتقد أن القرآن كلام الله عز وجل، وصفة من  
صفات الله، قد تم النوع حادث الآحاد.

فالله متكلّم بما شاء متى شاء، إذا شاء يتكلّم سبحانه وتعالى ومن  
كلامه القرآن.

وقد أنكر ذلك الجهمية وقالوا: القرآن مخلوق وليس بصفة،  
وكذبوا لعمر الله، فالله يقول: «فَأَجْرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلْمَنَ اللَّهِ» . وقام  
الإمام أحمد في وجههم، وقد أنكر ذلك المأمون وزعم أن القرآن  
مخلوق، وقامت فتنة القول بخلق القرآن، فتصدى لها الإمام أحمد بن  
حنبل رحمة الله وبغض وجهه يوم تبیض وجهه وتسود وجوهه.

ونعتقد أن الله سبحانه وتعالى أنزله على قلب محمد: «نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ  
الْأَمِينُ ١٩٣ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ١٩٤ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١٩٥» ، نزل  
منجماً وهو في اللوح المحفوظ.  
من الله بدأ وإليه يعود.

متبعّد بتلاوته ومعجزٌ في لفظه وفي معناه.

وهو: «لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ  
حَمِيدٍ ٤٢» ، «كَتَبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ» ، «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ  
مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا ٤٣» ، «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ  
الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْفَالُهَا ٤٤» ، «كَتَبَ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبِّرٌكٌ لِتَدَبَّرُوا

ءَيْنِهِ وَلِتَذَكَّرَ أُولَوَ الْأَلْبَيِ ﴿٢٩﴾ .

المسألة الثامنة: نعتقد أن الله مستو على عرشه - تبارك وتعالى - استواء يليق بجلاله، فوق سماواته، بائن من خلقه، ليس فيه شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته - تعالى الله ..

وقد قال أهل الحلول عليهم من الله ما يستحقونه بأن الله قد يحل في أحد الناس! وأتي غلاة الصوفية المعرضون عن الله عز وجل فقال أحدهم وهو من شيوخهم: ما في الجبة إلا الله! تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا.

وأتي أهل الاتحاد كابن عربي وابن سبعين عليهم من الله ما يستحقون فقالوا: أتحد الله بمخلوقاته، فاتحد بالشجر والجسر وبالجبال وبالإنسان وبالحيوان وبالطيور وبالحشرات، وقالوا: ما في الدنيا إلا هو وهو في الكائنات متّحد - تعالى الله - «كَبَرَتْ كَلِمَةُ تَخْرُجٍ مِّنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» .

فالله على العرش استوى، «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى» وهو معنا بعلمه سبحانه وتعالى ويراقبه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يسمع دبيب النمل في حندس الليل على الصفة السوداء في الليلة الظلماء.

يا من يرى مدّ البعوض جناحها  
في ظلمة الليل البهيم الأليل  
ويرى نيات عظامها في مخها  
والمح في تلك العظام التحلّل  
ما كان منه في الزمان الأول  
اغفر لعبد تاب من زلاته  
 فهو معنا بعلمه ومعيته سبحانه وتعالى .

وهي لأوليائه المؤمنين بالتأييد والنصرة، قال سبحانه عن صاحب الغار عليه السلام وعن صاحبه: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» .

وقال سبحانه عن علمه: «إِنَّمَا تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ جَهَوَى ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَاعِيُهُمْ ﴿ وَلَا  
خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ يعني بعلمه «وَلَا أَدْقَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ  
مَعْهُمْ أَنَّ» يعني بعلمه «تَمَّ يَتَشَهَّدُ بِمَا عَلِمُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ شَيْءًا  
عَلَيْهِمْ ﴾ .

فالقلوب تلهجُ إلى فاطرها سبحانه وتعالى وباريها، والقلوب تتجهُ  
إلى العلو، «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِيلُ الظَّبِيبُ وَالْعَمَلُ الْصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾، «وَهُوَ  
الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ .

**المسألة التاسعة:** نعتقد أن الله ينزل إلى سماء الدنيا في الثُّلُث  
الأخير من اللَّيل نزولاً يليق بجلاله فيقول: «هل من سائل فأعطيه..  
هل من مستغفر فأغفر له.. هل من تائب فأتوب عليه»<sup>(١)</sup>. فله نزول  
 سبحانه وتعالى يليق بجلاله، دلَّ على ذلك الحديث السابق الذي في  
الصحيحين من رواية أبي هريرة.

**المسألة العاشرة:** نعتقد بأن الله ملائكة، سمى الله بعضهم في  
القرآن كجبريل وميكال ولم يسم ببعضهم، فنؤمن بمن سمى سبحانه  
وتعالى ويمن لم يسم: «أَمَّنْ أَرَسَّهُ لِيَوْمَ أُنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ  
كُلُّ مَأْمَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُلُّهُ وَرُسُلِهِ لَا تُنَزِّلُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَاتَلُوا  
سَعْيًا وَأَطْعَنُوا عَنْرَاتَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿ ١٨ ﴾ .

أما من قال: عزرائيل ملَك الموت.. فما سمعت في الكتاب ولا  
في السنة الصحيحة أن اسمه عزرائيل.. وإنما سمَّاه الله ملَك الموت.  
وإسرافيل ورد بهذا الاسم.

فمن سمَّ الله نؤمن به من الملائكة، ومن لم يسمْ نؤمن به.  
فالملائكة فيهم حفظة، وفيهم موكل بالقبر، وفيهم موكل

(١) متفق عليه.

بالتعميّب على النّاسِ ﴿لَمْ يَعِنْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، وصِنفُهُمْ موَكِّلُونَ بِقِبْضِ الْأَرْوَاحِ.

فَنَؤْمِنُ بِالْجَمِيعِ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ الْبَيْنَةَ فَقَدْ كَفَرَ.

**المسألة الحادية عشر:** نعتقد أنَّ الله تعالى كتبَ آنِزَلَهَا عَلَى رَسُولِهِ وَأَنْبِيَاهِهِ ﴿إِنَّ الرَّسُولَ يَمْا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْأَئْمَانُ كُلُّهُمْ يَأْمَنُ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ وَرَبِّهِ﴾، وقد سَمِّيَ اللهُ مِنْهَا الزَّبُورَ لِدَاؤِدَ، وَالْتُّورَةَ لِمُوسَى، وَالْإِنْجِيلَ لِعِيسَى، وَالْقُرْآنَ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ أَجْمَعِينَ.

فَنَؤْمِنُ بِمَا سَمِّيَ، وَنَقُولُ هُنَاكَ كَتَبٌ مَا سَمَّاهَا اللهُ نَؤْمِنُ بِهَا، وَلَكِنْ ذَكْرُهَا اللهُ بِإِجْمَالٍ.

وعند ابن ماجه عن الحسن البصري: أنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِائَةً وَأَرْبَعَةَ كِتَابًا، فَنَؤْمِنُ بِجَمِيعِ كِتَابِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَمَنْ كَفَرَ بِشَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ الْعَظِيمِ.

**المسألة الثانية عشر:** نعتقد أنَّ اللهَ سَبَحَانَهُ رَسُولاً وَأَنْبِياءً وَأَنْهُمْ كَثِيرٌ.

وَقَدْ سَمِّيَ اللهُ بِعَضِّهِمْ.

قال بعض العلماء: سَمِّيَ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ نَبِيًّا وَرَسُولاً.

فَمَنْ قَصَّ اللهُ نَؤْمِنُ بِهِ كَثُوحَ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَإِدْرِيسَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَذِي الْكَفْلَ، وَلَوْطَ، وَيُونَسَ، وَسَلِيمَانَ، وَدَاؤِدَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدَ، وَغَيْرِهِمْ.

وَمَنْ لَمْ يَسْمُّ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى كَذَلِكَ نَؤْمِنُ بِهِمْ عَلَى إِجْمَالٍ.

**المسألة الثالثة عشر:** نعتقد أنَّ اللهَ سُوفَ يَبْعَثُ مِنْ فِي الْقُبُورِ وَأَنَّهُ سُوفَ يَحْاسِبُهُمْ فِي يَوْمٍ لَا رَبِّ فِيهِ، ﴿وَلَقَدْ جَنَّتُمُوا فُرَدَّاً كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾

أَوْلَ مَرَّةٍ وَرَكِّبُمَا حَوَّلْتُكُمْ وَرَاهَ ظُهُورِكُمْ ﴿٤﴾، وَقَالَ سَبَحَانَهُ: «إِن كُلُّ  
مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَعْلَمُ بِالرَّحْمَنِ عَدَّا ﴿٤٣﴾ لَقَدْ أَخْسَنَهُمْ وَعَدَهُمْ عَدَّا  
وَلَكُمْ هُمْ عَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرَدًا ﴿٤٤﴾».

وَقَالَ سَبَحَانَهُ: «فَإِنَّا هُمْ مِنَ الْأَجْمَادِ إِلَّا رَبِّهِمْ يَنْسُوتُ فَأُولَئِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ  
بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٥﴾»، وَقَالَ  
سَبَحَانَهُ: «أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بَعَثْرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٤٦﴾ وَخُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿٤٧﴾».  
فَمُعْتَقَدُنَا أَنَّ اللَّهَ سُوفَ يَبْعَثُنَا مِنَ الْقُبُورِ لِيَحْاسِبُنَا سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ يَوْمٍ، مَا أَرْهَبْهُ!

وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ يَوْمٍ، مَا أَرْعَبْهُ!

وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ نَهَارٍ، مَا أَشْدَدْهُ!

نَسَأَ اللَّهُ أَنْ يَسْهُلَهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ.

الْمَسَأَةُ الرَّابِعَةُ عَشَرُ: نَعْتَقِدُ أَنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدْرَ حَقٌّ، وَلَا يَقُعُ شَيْءٌ  
فِي الْعَالَمِ إِلَّا بَعْلَمَ اللَّهُ وَإِرَادَةُ اللَّهِ وَمُشَيْئَةُ اللَّهِ وَقَدْرَةُ اللَّهِ.

قَالَ سَبَحَانَهُ: «إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ ﴿٤٩﴾».

وَمِنْ أَنْكَرَ الْقَضَاءَ وَالْقَدْرَ فَقَدْ كَفَرَ . قَالَ سَبَحَانَهُ: «مَا أَصَابَ مِنْ  
مُؤْمِنٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَقْسَمِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْهَاهَا إِنَّ  
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾»، وَقَالَ سَبَحَانَهُ: «الَّذِينَ إِذَا أَصَبْتُهُمْ مُصِيبَةً  
قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجِعُونَ ﴿١٥٣﴾ أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ  
وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُمْتَدِونَ ﴿١٥٧﴾».

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي الصَّحِيفَةِ قَوْلُهُ ﷺ: «أَحْرَصَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ  
وَاسْتَعْنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تُقْلِلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا  
لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدْرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»، وَفِي لَفْظِهِ: «قَدْرُ اللَّهِ  
وَمَا شَاءَ فَعَلَ».

وعند الترمذى بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألكَ فاسأله، وإذا استعنَ فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُوك بشيء لن يضرُوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف».

وفي لفظ صحيح: «واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك».

وفي حديث جبريل الصحيح أن: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره» أو كما قال ﷺ.

فهذا معتقد أهل السنة والجماعة، يؤمّنون بقضاء الله، وإذا حلّت عليهم مصيبة قالوا: قدر الله وما شاء فعل، وهذا في كتاب من الله، وهذا قضاء الله، وإن الله وإنما إليه راجعون.

**المسألة الخامسة عشر:** نعتقد بنعيم القبر وعداته، ونسأل الله أن يجعل قبورنا وقبوركم روضة من رياض الجنة.

والقبر روضة من الجنان أو حفرة من حفر النيران إن يكن خيراً فالذي من بعده أفضل عند ربنا لعبدة وإن يكن شراً فما بعد أشدّ ويل لعبدٍ عند سبيل الله صد وقد صحّ عنه ﷺ أنه قال: «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»<sup>(۱)</sup>، وصحّ عنه ﷺ حديث البراء عند أبي داود في مسألة الميت.

(۱) رواه الترمذى وضعفه الألبانى فى الضعيف (۴۹۹۰).

وصحّ عنه ﷺ عند البخاري من حديث أسماء: «أن المنافق أو المرتاب يقول إذا سُئل: هاه هاه لا أدرى، فيضرب بمرتبة. وأما المؤمن فيصدق بالله ربنا و Mohammad نبينا وبالإسلام دينا»<sup>(١)</sup>، وذلك مصداق قوله سبحانه وتعالى: «يَتَبَّعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ أَثَابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضَلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَقْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ»

وقال سبحانه في عذاب القبر: «وَمِنْ دُرَأِهِمْ بَرَّجُ إِنَّ يَوْمَ يُعْثُونَ» استدلّ بها عند بعض المفسرين على عذاب القبر.

وقال سبحانه: «أَنَّا رُّتْبَوْنَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخُلُوْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» ، والمعنى: يعرضون عليها غدوًّا وعشياً قبل قيام الساعة وهو عذاب القبر.

فمن لم يؤمن بعد ذنب القبر فلا قبل الله منه إيماناً ولا كلامه ولا نظر إليه وله عذاب أليم.

المسألة السادسة عشر: نعتقد بأن الميزان ينصبه الله يوم القيمة للأعمال، وأنه الحكم، وأن الأعمال الصالحة توضع في كفة والسيئة توضع في كفة، كما صحت بها الأحاديث وأثبتت بها الآيات.

قال الله تبارك وتعالى: «وَنَصَّبَ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْكَارٌ حَتَّكُو مِنْ حَرَدِلٍ أَتَنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِينَ» .

فلا إله إلا الله ما أدق الحساب!

ولا إله إلا الله ما أصعبه على من نوqش!

صحّ عنه ﷺ أنه قال: «من ثُوqش الحساب عذب»<sup>(٢)</sup>. فنسأل الله

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

أن ييسر حسابنا علينا، وأن يخففه علينا، وأن يأخذنا برحمته ولطفه سبحانه وتعالى.

وقال سبحانه: «فَلَمَّا مَنْ ثَقَّتْ مَوَزِّيْنُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَكُو رَاضِيَّهُ ۝ وَلَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَزِّيْنُهُ ۝ قَاتِلُهُ مَاوِيَّهُ ۝». ١٩

فهناك ميزان له كفتان توضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، فمن مالت حسناته بسيئاته فهنيئاً له.. وطوبى له وكرامة.

ومن مالت سيئاته بحسناته فخسارة له وندامة، نسأل الله العافية والسلامة.

**المسألة السابعة عشر:** نعتقد بأن هناك صحفاً تُرَوَّع على الناس وكتباً، فأخذ بيمنيه وأخذ بشماله. نسأل الله أن يسلمنا وإياكم صحفنا بأيماننا.

قال سبحانه: «فَلَمَّا مَنْ أُوقَ كِتَبُو بِسَمِيَّهِ فَيَقُولُ هَاقُمْ أَفْرُوا كِتَبَهُ ۝ إِنِّي ظَنَّتُ أَنِّي مُلِيقٌ حَسَابَةٍ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَّهُ ۝»، وقال سبحانه: «وَلَمَّا مَنْ أُوقَ كِتَبَهُ بِشَمَالِهِ فَيَقُولُ يَلِيَّتِي لَمْ أُوتْ كِتَبَهُ ۝ وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابَةٍ ۝ يَلِيَّتِها كَانَتِ الْقَاضِيَّةَ ۝ مَا أَغْفَلْ عَنِ مَالِيَّهُ ۝». ٢٦

**المسألة الثامنة عشر:** نعتقد أن هناك صراطاً أعده الله على متن جهنم، نسأل الله أن ينجينا وإياكم من عليه.

أحد من السيف وأحر من الجمر، وأدق من الشعرة، يمُرُّ عليه الناس بحسب الأعمال، فما رأى كل معبر البرق، وما رأى كالريح، وما رأى كالجود المسرع، وما رأى يسعى، وما رأى يمشي، وما رأى يحبون، ومكدوس على وجهه في النار.

**المسألة التاسعة عشر:** نعتقد أن هناك حوضاً جعله الله في عرصفات القيمة - قيل: هو الكوثر - للرسول ﷺ.

والدليل على ذلك إن كان الكوثر قوله سبحانه وتعالى: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ

الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْهَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْرَرُ ﴿٣﴾ .

طول الحوض شهر وعرضه شهر.

وفي بعض الأحاديث أنه مثل ما بين صنعاء اليمن إلى أيلة، أي بيت المقدس في فلسطين، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وعدد أكوابه عدد نجوم السماء.

من شرب منه شربة لا يظماً بعدها أبداً.

يرده المؤمنون ويُصرف عنه المعرضون، والرسول ﷺ إذا رأى بعض أمته يُصرفون يقول: يا رب، يا رب، أمتى أمتى، فيقال له: إنك لا تدري ماذا أحذثوا بعدهك  
فيقول: سُحْقاً سُحْقاً! <sup>(١)</sup> أي: هلاكاً.

**المسألة العشرون:** نعتقد بأنه لا يخلد أحدٌ من المؤمنين الموحدين في النار. قد يدخلها بعض أهل القبلة بذنب وكبائر، لكن لا يخلدون.

وكذب الخارج والمعزلة القائلون بتأليل الموحدين، بل الموحد لا يخلد في النار لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان» <sup>(٢)</sup>، فدل على أنه يدخل النار ولا يخلد في النار ويخرج من النار لأنَّه موحد.

**المسألة الحادية والعشرون:** نعتقد بأن الشفاعة حق لمن أذن الله له بالشفاعة ولمن رضي أن يُشفع له.

قال سبحانه: «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ»، وقال

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى﴾، وقال سبحانه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ، إِلَّا يَأْذِنُهُ﴾، وقال تقدس اسمه: ﴿وَمَنْ مَلِكٌ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.



ويشفع الشافع بشرطين:

أولهما: أن يأذن الله لهذا الشافع من النبي أو ولی أو رجل صالح على خلاف سلاطين الدنيا، فإنه لا يُشترط عندهم هذا الشرط فقد يشفع الشافع بغير إذنهم.

الشرط الثاني: أن يرضى تبارك وتعالى عن المشفوع فيه، فيأذن ويرضى عنه فيشفع له.

ولرسولنا ﷺ شفاعات، والأنبياء يشفعون. أما الشفاعة الكبرى فهي خاصة لرسولنا ﷺ يوم يقول كل واحد من أهل العزم: نفسي نفسي، ويأتي الناس إلى رسولنا ﷺ فيقول: «أنا لها»، فهو المقام المحمود، فيسجد ﷺ تحت العرش وينهال بناء على الله لا يتذكره في الدنيا، فيقول الله له: ارفع رأسك وسلم تعطه، واشفع تُشفع.

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي:

واستشفع الناس بأهل العزم في إراحة العباد من ذا الموقف وليس فيهم من رسول نالها حتى يقول المصطفى أنا لها ثم يشفع الأنبياء، ثم يشفع الأولياء، ومنهم من يشفع للإثنين ومنهم من يشفع لأهل بيته إذا كانوا مسلمين.

المسألة الثانية والعشرون: نعتقد أنه يدخل الجنة من شهد له رسول الله ﷺ بدخولها، كالعشرة المبشرین بالجنة.

فنشهد أن أبا بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف

وسعيد بن زيد وأبا عبيدة كلهم في الجنة رضوان الله عليهم، وكذا ثابت بن قيس بن شماس ومن ذكره عليه السلام.

وذكر ابن تيمية مسألة أخرى وهي: هل من اشتهرت عدالته وجلالته وإمامته يُشهد له بالجنة ولو لم يأتِ نص بذلك؟

فقال: لأهل العلم قولان: منهم من يقول: لا نشهد له حتى يأتي نص.

ومنهم من قال: نشهد له بالجنة إذا عُرفت إمامته، كالإمام أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة. واستدلوا بحديث الجنائز التي شهدوا لها بالخير، فقال عليه السلام: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ»، وقال للثانية التي شهدوا لها بالشر: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ»، فقال في الأولى: «تلك شهادتكم لها بالخير فقلت وجبت لها الجنة، وهذه شهادتكم لها بالسوء فقلت وجبت لها النار، أنتم شهداء الله في أرضه»<sup>(١)</sup>.

المسألة الثالثة والعشرون: نعتقد أن أفضل الأمة بعد نبيها عليه السلام هو أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي.

فأبو بكر أفضل الناس بعد الرسول عليه السلام. وقد صَحَّ في فضله أحاديث منها قوله عليه السلام: «لو كنت متَّخِذًا خليلاً من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر، ولكن صاحبكم خليل الرحمن»<sup>(٢)</sup>. وقوله عليه السلام عند الترمذى من حديث حذيفة: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر».

وقد استفاضت عدالته رضي الله عنه.

ثم عمر بن الخطاب لجلالته ولذكره عليه السلام في أحاديثه المشهورة.

---

(١)(٢) متفق عليه.

فعثمان لقول ابن عمر في الصحيحين: كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ: أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر فعمان.

ثم علي بن أبي طالب أبو الحسن رابعهم في الفضل وفي الخلافة، ونزله منزلة التي أنزله الله فيها، فلا نفعل ما فعلت الشيعة، ولا نفعل ما فعلت النواصب.

فالشيعة غلوا فيه حتى أن من فرقهم من جعلته إلهًا - تعالى الله - .  
ومن النواصب من غلا في بغضه حتى لعنوه رضي الله عنه وأرضاه.

بل نحبه وننولاه، ونزله في المنزلة التي أنزله الله ورسوله فيها رضي الله عنه وعن صاحبة رسول الله ﷺ.

المسألة الرابعة والعشرون: نعتقد أن من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد.

والكهان هم الذين يدعون علم الغيب، إما ما سلف أو ما استقبل من الزمان، ويستخدمون الجن.

فمن أتى إليهم مصدقاً لهم وطالباً النفع منهم أو دفع الضر منهم فقد كفر بالكتاب والستة وبما أنزل على رسول الله ﷺ.

وصح عند مسلم في الصحيح أنه ﷺ قال: «من أتى عرافاً أو كاهناً لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»، فليعلم ذلك.

المسألة الخامسة والعشرون: نعتقد أن التمام من خيوط أو حلق أو حديد، من علقها معتقداً فيها النفع أو دفع الضر فقد أشرك.  
واستثنى بعض العلماء ما علق من آيات قرآنية.

والصحيح المنع منه أيضاً سداً لذرية الشرك وغلقاً لهذه الفتنة.

فمن علّق تميمة فلا أتمَ الله له .  
 ومن تعلق شيئاً يمنعه من الواهنة ما زادته إلا وهنَا .  
 ومن تعلق خيطاً أفسد عليه أمره .  
 ومن تعلق حديداً ليدفع عنه أو يقرب له النفع حبسه الله في  
 حديد نار جهنم .

فلا ينفع ولا يدفع ولا يرزق ولا يعافي ولا يشافي ولا يحيي  
 ولا يحيي إلا الله، ﴿وَأَنْهَذُوا مِنْ دُونِهِ مَا لَهُ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ  
 يَخْلُقُونَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ صَرَّاً لَا تَقْعَداً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتَىً وَلَا حَيَاةً  
 وَلَا نُشُورًا﴾.

وصح عنده بِيَّنَةٍ أنه قال لحسين بن عبيد الخزاعي : «كم تعبد؟» .  
 قال : سبعة .

قال : «من هم؟» .

قال : ستة في الأرض وواحد في السماء .

قال : «من لرهبك ولرغبك؟» .

قال : الذي في السماء .

قال : «فأترك التي في الأرض واعبد الذي في السماء» <sup>(١)</sup> .  
**المسألة السادسة والعشرون :** نعتقد أن الساحر ملعون وحده القتل  
 بالسيف .

فمن سحر أو تعلم السحر فقد كفر عند كثير من الأئمة وارتكب  
 مكراً، وعند البعض ارتكب كبيرة من السبع الموبقات . نسأل الله  
 العافية والسلامة .

---

(١) رواه الترمذى وضيقه الألبانى فى ضعيف الترمذى (٦٩٠).

وقال كثير من العلماء: حرام تعلم السحر ولو للثمرة<sup>(١)</sup> عن المسحور، وإنما ينشر عن المسحور بما ورد في السنة بأن يأخذ سبع ورقات فيسحقها مع الماء ويقرأ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» ثلاثاً و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» ثلاثاً. ثم يغسل بهذا الماء ويستشفى، ويقرأ القرآن، ولا يطلب حلء من كاهن أو عراف أو ساحر، فإن فعل ذلك فقد أساء وظلم نفسه.

**المسألة السابعة والعشرون:** نعتقد عدم الخوض فيما شجَرَ بين الصحابة، بل نتوأ لهم جميعاً رضوان الله عليهم، ونترضى عنهم، ونكتُّ مما شجر بينهم، ولا نخوض بالاستئناف في المجالس ولا نحمل لهم ضغينة.

قال سبحانه: «وَالَّذِينَ جَاءُوكُم مِّنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا يَغْفِرْ لَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَيْهِمْ وَلَا يَتَعَالَى فِي قُلُوبِنَا غَلَّ لِلَّذِينَ ءامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ». (١٦).

وكلٌّ منهم مأجور إن شاء الله مهما حدث بينهم.

وسئل عمر بن عبد العزيز عما وقع بين الصحابة من فتن وحوادث وحروب، فقال: تلك فتنة سلم الله سيفونا من دمائها، فلماذا لا تُسلم ألسنتنا من الخوض فيها؟

**المسألة الثامنة والعشرون:** نعتقد أن المسع على الخفين سُنة لأنه قد خالفنا فيه بعض الطوائف فأنكروه.

قال الإمام أحمد: رُوي المسع على الخفين عن سبعين من أصحاب محمد ﷺ.

**المسألة التاسعة والعشرون:** نعتقد وجوب طاعةولي الأمر المسلم

(١) الثمرة هي علاج السحر بالسحر.

لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْمُنْكَرُ»، ولقوله ﷺ في مسلم: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويُسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك».

وهذه الطاعة تكون في غير المعصية لقوله ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» رواه مسلم.

ونعتقد تحريم الخروج على ولاة الأمور لقوله ﷺ: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتةً جاهلية» رواه مسلم.

هذا أيها المسلمين ملخص لمعتقد أهل السنة والجماعة بعنوان «نعتقد أن» اقترحه عليٌّ بعض الإخوة.

فأسأل الله أن يرحم عباداً اعتقد هذا الاعتقاد وأوصى به أهله وأحبابه.

والله أعلم، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



## التوحيد عند الصفوية

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء  
والمرسلين نبينا محمد، وآلـه وصحبه أجمعين.

أما بعد..

عنوان هذه الرسالة: «العقيدة كما فهمها الصحابة».  
الصحاباة بالذات، لأنهم أطهر الناس سيرة، وأعمق الناس علماً،  
وأخلص الناس قلوباً، وأصدقهم نهجاً، وأزكاهم سيرة.  
الصحاباة بالذات، لأنهم صحبوا المصطفى ﷺ وعرفوا سيرته  
وتناولوا التنزيل، وما ابتدعوا في دين الله.

الصحاباة بالذات، لأن الله اختارهم لصحبة محمد ﷺ، ولأنهم  
كتيبة الإسلام وحملة القرآن، وجيش الإيمان، ولأنهم هم المقبولون  
المُزَكَّون من الواحد الأحد، الذين زكاهم الله ورسوله ﷺ.

يقول ﷺ في الصحيح: «لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق  
مثل أحد ذهباً ما بلغ مدة أحدهم ولا تنصيفه»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث صحيح آخر: «الله الله في أصحابي، لا تخذلوهم

(١) متفق عليه.

غريضاً، فمن أحبّهم فبحبّي أحبّهم، ومن أبغضهم فيبغضني أبغضهم»<sup>(١)</sup>.  
ولهذه الرسالة عناصر:

أولها: سبعة أحاديث أطروحتها على المسلمين فيها العقيدة بيسر وسهولة ولكنها بعمق وأصالة.

الثاني: العقيدة عندهم رضوان الله عليهم هي المؤثرة في حياتهم سلوكاً وتطبيقاً وأخلاقاً.

الثالث: تقبلوا العقيدة بلا اعتراض، وفهموها بلا إشكال، وعملوا بها بلا توقف.

الرابع: أجمع الصحابة على مسائل المعتقد وسلموا لمعانيها ولم يختلفوا بحمد الله في مسألة منها.

الخامس: معرفتهم للدلائل الأسماء والصفات ومعانيها على ما أراده الله عزّ وجلّ وأراده رسوله ﷺ.

السادس: لم يتمكن الصحابة في الألفاظ ولم يتكلّفوا في المعاني ولم يتنطّعوا في المعتقد.

وأختم الرسالة بكلمة عن البدعة والمبتدعين.

فاعلموا بارك الله فيكم أن محمداً ﷺ كما يقول بعض علماء الإسلام: ما ترك بعض جزئيات العقيدة أو جزئيات الفروع إلا وعلّمها للناس، فكيف بأصول الدين التي هي معلومة من الدين بالضرورة؟

وأنا أعرض سبعة أحاديث وتصوروا أن الصحابة بجانبكم جلوس، ماذا سوف يقولون في الأحاديث؟ هل يتقبلونها بالتسليم، أم يخالفوها بالتأويل، أم يردونها بالإنكار؟ حاشا وكلاً.

---

(١) رواه الترمذى.

١ - في مسند أحمد بسنده جيد عن أبي بن كعب سيد القراء، وأحاديثه دائمًا تتعلق بالقرآن، وهو الذي قال له ﷺ في مسلم: «أي آية في كتاب الله أعظم؟».

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «أي آية في كتاب الله أعظم؟».

قال: «**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُّومُ**».

فضرب في صدره وقال: «ليهنيك العلم أبا المنذر».

يقول في المسند: قال المشركون لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، انسب لنا ربك.. يعني اذكر لنا نسب ربك، من هو أبوه؟ من هو جده؟ من أي أسرة؟ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً.

فتزل قوله سبحانه وتعالى: **«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴿١﴾ **اللَّهُ الصَّمَدُ**  
**لَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُورًا أَحَدٌ** ﴿٢﴾،  
سنداً لهذا الحديث جيد.

وفيه قضايا:

أولها: أن **«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴿١﴾ جواب لهذا السؤال.

ثانيها: أن الله لا ولد له ولا والد.

ثالثها: أن هذه السورة والأيات لما نزلت ما اعترض معترض من المسلمين، بل سلم في الحال، وما فعل كما فعل المناطقة.  
و **«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴿١﴾ لها طعم عند الموحدين.

أتى بعض الصحابة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله معنا إمام كلما صلّى بنا قرأ **«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴿١﴾ في كل ركعة.

فقال لهم ﷺ: «سلوه، لماذا يقرأها؟ .. سلوه ما السبب؟»  
فسألوه فقال: لأن فيها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ صفة  
الرحمن.

فقال ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه لحبه إياها، وأن الله أدخله الجنة  
بحبه إياها»<sup>(١)</sup>.

٢ - حديث الجارية، وهو حديث صحيح، فعن معاوية بن الحكم  
السلمي قال: أتيت بجارية إلى رسول الله ﷺ صغيرة لا تتكلم، فقال  
لها ﷺ: أين الله؟ سبحان الله! أطفال المسلمين يعرفون أن الله في  
السماء، الطفل بفطرته ويتوجه يعرف أن الواحد الأحد فوق سبع  
سماءات.

قال: «أين الله؟».

فأشارت إلى السماء.

فقال: «أعتقها فإنها مؤمنة»<sup>(٢)</sup>.

بعض المناطق وهذا سؤال ورد على الجويني يقولون: الله ليس في  
مكان، وهو سبحانه على العرش استوى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾،  
﴿إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمَرُ الظَّبِيبُ﴾، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾.

يقول: ليس في مكان. فقام أحد التلاميذ اسمه الهمданى فقال:  
يا إمام أخبرنا بضرورة نجدها في أنفسنا إذا دعا الداعي مثا ورفع يديه  
يجد من الضرورة أن قلبه يتوجه إلى السماء، أخبرني كيف أبطل هذه  
الضرورة؟

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

فأخذ الجويني يضرب بيده على رأسه ويقول: حَيَّنِي الْهَمْدَانِي،  
حَيَّنِي الْهَمْدَانِي، حَيَّنِي الْهَمْدَانِي.

والشهرستاني بحث عن العقيدة، لكن أين بحث عنها؟ ما بحث في الكتاب والسنّة، ما بحث في صحيح البخاري ومسلم، ما بحث في السنّن، ما بحث في المسانيد.

بحث في كتب اليونان والمنطقة وعلماء الكلام، وفي الأخير يقول وهو في سكرات الموت:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسرحت طرفـي بين تلك المعالـم  
فلـم ألق إلا واعـضاً كـفـ حـائـر عـلـى ذـقـنـ أو قـارـعاً سـنـ نـادـمـ  
يقول: طفت وسألـت وبحـثـت وما رجـعـتـ إلا بـشـبـهـاتـ، فـرـدـ عـلـيـهـ  
صاحبـ سـبـلـ السـلـامـ الصـنـعـانـيـ بـيـضـ اللهـ وـجـهـ المـحـدـثـ فقالـ:

لعلـكـ يا أـسـتـاذـ ما زـرـتـ أـحـمـدـ رـسـولـ الـهـدـىـ الـمـبـعـوثـ منـ خـيرـ هـاشـمـ  
فـوـالـلـهـ لـوـ زـرـتـهـ الدـهـرـ مـرـةـ لـمـاـ كـنـتـ نـهـيـاـ لـلـقـصـورـ الـقـشـاعـيمـ  
لـوـ زـرـتـهـ كـنـتـ اـهـتـدـيـتـ، لـكـنـكـ طـلـبـتـ الـهـدـاـيـةـ مـنـ غـيرـ مـظـاـئـهـاـ  
فـأـخـطـأـتـ الـطـرـيقـ.

الجارـيةـ بـفـطـرـتـهـ تـقـولـ: اللهـ فـيـ السـمـاءـ.

يـقـولـ عـمـرـ فـيـ الـموـطـاـ: كـوـنـواـ عـلـىـ دـيـنـ الـعـجـائـزـ وـغـلـمـانـ الـكـتـابـ.  
دـيـنـ الـعـجـائـزـ يـعـنـيـ الـذـيـنـ نـشـأـواـ عـلـىـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ مـحـمـدـ  
رـسـولـ اللـهـ.

ولـذـلـكـ تـجـدـ بـعـضـ النـاسـ مـنـ حـمـلـةـ الـدـكـتـورـاهـ لـاـ يـعـرـفـ الـعـقـيـدـهـ.  
وـالـعـجـوزـ خـيـرـ مـنـهـ فـيـ الـعـقـيـدـهـ.

أـعـرـابـيـ يـصـلـيـ فـيـ الصـحـراءـ، قـالـواـ لـهـ: لـمـنـ تـصـلـيـ؟

قال: الله الواحد الأحد.

قالوا: بم عرفته؟

قال: البعثة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، وسماء ذات أبراج وليل داج، ألا يدل على السميع البصير؟

وكردي في العراق من الأكراد مسلم موحد من العراق، في مزرعة يزرع البطيخ والقرع عنده مسحاة.. جاءه ملحد من الشيوعية يوم دخلت العراق فدخل عليه المزرعة، والشيوعية انتشروا في فترة ما قبل الأربعين يبيّثون منهج ستالين ولينين المبني على الإلحاد، فأتى عند المزارع فأجلسه عند الماء، وهذا المزارع يصلّي خمس صلوات ويعتقد اعتقاداً جازماً مثل الجبال أن لا إله إلا الله.

فجلس هذا المتحدث المتأثر بثقافة الإلحاد ودعاه وقال: الخرافة التي تقول في ذهنك أن الله موجود، هذه كذب، فلا إله.

فقال له: أنت عاقل أم مجنون؟

قال: أنا عاقل.

قال: أرجوك أن تنتظري قليلاً وسأريك.. فذهب وأخذ مسحاته وضرب بها هذا، فأنزل رأسه في الأرض ودماغه.. هذا جزاؤه.

سبحان الله! أفي الله شك؟ ﴿فَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ .

ولذلك كان عمر يقول: كونوا على دين العجائز.

رأيت شيئاً كبيراً في السبعين أصابه جرح في رجله فقلت: اذهب إلى المستشفى.

قال: لا.. حسبنا الله ونعم الوكيل. الله هو الذي يشافيها مع العلم أنها نعارضه في بعض الجزئيات، ونقول أن هذا المستشفى طب،

وطلب الطب مطلوب، وقد تداوى السلف، وتعالج محمد ﷺ، لكن انظر إلى توكله على الله.

قلت: لا بد له من علاج لأنه جرح غائر.

فقال: أعلمك بعلاجه.

قلت: ما هو؟

قال: أقوم في آخر الليل وأصلّي ركعتين، وأسأل الله أن يشافيني!.. هذه العقيدة والتوكّل على الواحد الأحد.

٣ - يقول ﷺ وهو حديث صحيح: «قدّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة». هل قام أحد الصحابة ورفع أصبعه وقال: يا رسول الله، قبل الخلق أو بعد؟ قدرها في دفاتر أو في كتيبات!

مثل ما فعل المناطقة: العلة الغائبة، والعلة السببية، والجوهر، والعَرَض، والمنفصل، والمتصل.. «ظلمتُ بعضًا فوقَ بعضٍ إِذَا أَخْرَجْتُ لَرَّيْكَدَ يَرَهَا» بل الصحابة سلّموا وأيقنوا وقبلوا.. لأنَّه المعصوم ﷺ.

٤ - حديث طريف في الصحيحين، وهي مقابلة ساخنة حارة بين آدم أبو البشر وبين موسى عليه السلام.. بينهما في الميلاد آلاف السنوات، لكنهما التقى لقاء رائعاً نقله لنا رسول الهدى ﷺ.

وأهل السنة يختلفون يقولون: أين التقا؟

بعضهم يقول: التقا في قبورهم.

وبعضهم يقول: بل في البرزخ.

والصحيح إن شاء الله أنهم التقا في السماء.

وموسى كان جريئاً عليه السلام وكان شجاعاً، يسأل أسئلة هائلة،

ما كَلَمَ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا مُوسَى، فَلَمَّا كَلَمَهُ اللَّهُ قَالَ: «رَأَيْتَ أَرْفَعَ أَنْظُرَ إِلَيْكَ»، وَهَذِهِ لَا يُسْتَطِعُهَا إِلَّا مُوسَى.

التقى بآدم فقال: من أنت؟

قال: أنا آدم.

قال: خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفح فيك من روحه وأخرجتنا من الجنة.. نهاك الله أن تأكل من الشجرة فأكلت.

قال آدم: أنت موسىبني إسرائيل؟

قال: نعم.

فقال: أنت الذي كتب لك الله التوراة بيده وكلمك وشرفك برسالاته.. بكم وجدت أن الله كتب عليًّا ذلك قبل أن يخلقني؟

قال: وجدته قبل أن يخلقك بأربعين سنة.

قال: أفتلومني على شيء قدّره الله عليًّا.

فقال ﷺ: «فَحَجَّ أَدْمُ مُوسَى.. فَحَجَّ أَدْمُ مُوسَى» (يعني غلبه).

٥ - يقول ﷺ وهو يقوم في الليل: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَأَنْتَ قَيْمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَأَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث معاني: اسم الله نور، وسماءه قيّم السموات ورب السموات، ثم شهد له بالوحدانية.

فتقبل الصحابة هذه الأحاديث فوصلت إلى سويداء قلوبهم فربت فيهم عالم من اليقين.

---

(١) متفق عليه.

بخلاف بعض كتب العقيدة التي في الساحة، ما فيها آية ولا حديث، كلها قال الرازى، وقال الجويني، وقال الغزالى، وقال ابن رشد.

هذه لا تربى العقيدة، بل تميت العقيدة في القلوب.

٦ - في صحيح البخارى قال أبو هريرة: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة؟

قال: «القد ظنت ألا يسألني قبلك أحد يا أبو هريرة، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه».

ولهذا الحديث أحاديث تشرحه، لكن انظر إلى الجواب.

فلما سمعها أبو هريرة ما استشكل ولا قال: كيف مخلصاً من قلبه؟ وما معنى الشهادة؟ هل يصدق بقلبه؟ أو ينطق بلسانه بلا قلبه؟ أو ينطق بلسانه وقلبه؟

٧ - أتى رجل كما عند أبي داود إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، قحطنا وجاع العيال وهلك المال، فادع الله ليغيثنا، فإن نستشفع بالله إليك ونستشفع بك إلى الله.

فقال ﷺ: «سبحان الله! ويحک! ويیلک! إن شأن الله أعظم أن لا يستشفع به إلى أحد من خلقه».

لأن الشافع أصغر حالاً وقدراً من المشفوع.

والقصد من الحديث أن الرسول ﷺ بين للناس، بين أن يكون رسولاً إماماً متبعاً عبداً لله، وبين أن ينزل في منزلة الألوهية، وبين أن يُجْفَى.. فلا نجفوه ولا ننزله في منزلة الألوهية، ولكن نجعله وسطاً.

وأما غيرنا فلا، كالبرعي الشاعر اليمني الذي يقول عند قبر  
الرسول ﷺ:

يا رسول الله يا من ذكره في نهار الحشر رمزاً ومقاماً  
فأقلني عشرتي يا سيدى في اكتساب الذنب في خمسين عاماً  
انتهينا من سبعة أحاديث أوردتها لأن فيها حرارة الإيمان من  
كلامه ﷺ دون كلامنا، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

فالصحابة فهموا العقيدة عبر قواعد:

**القاعدة الأولى:** دليل التوحيد عند الصحابة آيات الله في الكون  
خلاف أدلة علماء الكلام.

علماء الكلام يقولون: النظر والاستدلال، فعندهم طريقه تقول  
قبل أن تشهد أن لا إله إلا الله، لا بد أن تنظر وتستدلّ وتفكر في  
العلة والسبب والغاية.

والصحيح عند أهل السنة والجماعة أن المطلوب من المكلف إذا  
أسلم أن يقول:أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده  
ورسوله، لا النظر ولا الاستدلال، والصحابة آمنوا برسالته ﷺ  
وبأدلة الله في الكون وبالأدلة الشرعية.

اسمع إلى أسلوب القرآن الذي يعرضه على الصحابة ومن سار  
مسارهم، يقول سبحانه: ﴿فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَيْلِكَيْفَ خُلِقَتِ﴾ ١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ  
كَيْفَ رُفِعَتِ ١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتِ ١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتِ ٢٠﴾.

هذا الكلام لو قرأته على بدوي أو أعرابي أو عجوز أو أعلم  
العلماء فإنهم يفهمونه لأنه كلام باللغة العربية، وكلام سهل ويسير  
وميسّر.. لكنه عميق.

والعربي الذي خوطب بهذه اللغة يعرف الجمل ويعرف السماء  
ويعرف الجبال ويعرف الأرض.

وفي الصحيحين من حديث أنس قال: قدم ضمام بن ثعلبة أخو  
بني سعد بن بكر فعقل ناقته في طرف المسجد والرسول ﷺ كان متكتأً  
بين أصحابه، فقال هذا الأعرابي: أين ابن عبدالمطلب؟

ولم يقل الرسول ﷺ .. لأنَّه جاهل أو أنه قريب العهد  
باليُسْلَامِ .

فتقدم وقال: يا ابن عبدالمطلب.

قال ﷺ: «قد أجبتك».

قال: إني سائلك فمشدُّ عليك في المسألة.

قال ﷺ: «سل ما بدا لك».

وظن المصطفى ﷺ أنَّ الأسئلة قد تكون فرعية.

قال: يا رسول الله من رفع السماء؟

قال: «الله».

قال: من بسط الأرض؟

قال: «الله».

قال: من نصب الجبال؟

قال: «الله».

قال: أَسْأَلُكَ بِمَنْ رَفَعَ السَّمَاوَاتِ وَبِسَطَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ الْجَبَالِ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟

فجلس ﷺ وقال: «اللهم نعم».

قال: أَسْأَلُكَ بِمَنْ رَفَعَ السَّمَاوَاتِ وَبِسَطَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ الْجِبَالَ، اللَّهُ أَمْرُكَ أَنْ تَأْمُرَنَا بِخَمْسِ صَلَواتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟  
قال: «اللَّهُمَّ نَعَمْ».

فَلَمَّا انتهىَ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ قَالَ: أَشَهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشَهِدُ أَنَّكَ رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا أَزِيدُ عَلَى مَا سَمِعْتُ وَلَا أَنْقُصُ، أَنَا ضَمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بْنِي سَعْدٍ بْنِ بَكْرٍ، ثُمَّ وَلَى وَخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ.  
قال ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلِيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»<sup>(١)</sup>.

فَهَذِهِ عَقِيدةُ فَهْمَهَا فِي دَقْيَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ دَقَائِقٍ، لَأَنَّهَا عَقِيدةُ سَهْلَةٍ  
بِلَا تَوَاءٍ.. بِلَا اضْطِرَابٍ.

عَقِيدةُ عَرَفَهَا هَذِهِ الْأَعْرَابِيُّ وَهُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ الرَّسُولِ ﷺ وَشَهَدَ بِهَا  
وَشَهَدَ لِهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ إِذَا صَدَقَ مَعَ اللَّهِ.

يَقُولُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آيَاتِهِ الْكَوْنِيَّةِ: «وَالْمَمَّأَةَ بَيْتَهَا يَأْتِيهِرُ وَإِنَّا  
لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشَتْهَا فَنَعَمَ الْمَنِهُدُونَ ﴿٤٨﴾»، لَقَدْ اكْتَشَفَ الْعُلَمَاءُ  
فِي الْعِلْمِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْكَوْنَ أَوَ السَّمَاءَ تَنْسَعُ كَمَا تَنْسَعُ الْفُقَاعَةُ فِي  
الْبَالُونِ، أَوَ الْكِيسِ الْمَطَاطِيِّ مِنَ الْبَالُونِ، كُلُّ يَوْمٍ تَنْسَعُ اتْسَاعًا هَائِلًا.

وَقَالَ سَبَحَانَهُ: «وَالشَّمْسُ بَجْرِيٌّ لِمُسْتَقْرِرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ  
الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾ وَالْقَمَرُ فَدَرَنَةً مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْمُرْجُونَ الْقَدِيرِ ﴿٢٩﴾»، أَقْسَمَ  
بِالشَّمْسِ وَأَقْسَمَ بِالْقَمَرِ، أَوْ ذَكَرَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى الشَّمْسَ مِنْ آيَاتِهِ وَالْقَمَرَ  
وَفَهْمَهَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَزَادُهُمْ ذَلِكَ إِيمَانًا وَلَمْ يَتَكَلَّفُوا أَوْ  
يَرْدُوا هَذِهِ النَّصْوَصَ.

قَرَأْتُ فِي سِيرَةِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسِيبِ رَحْمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ

(١) رواه البخاري.

عمر بن أبي ربيعة شاعر مكة القرشي المخزومي وهو يقول:  
وَغَابَ قُمِيرَ كُنْتَ أَرْجُو غَيَابَهُ      وَرَوْحَ رَعِيَانَ وَرَقْدَ سَمَرَ  
فِي قَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ لَهُ.

فقال سعيد: قاتله الله! صغر ما عظّم الله، يقول: (قُمِير) والله سبحانه  
وتعالى يقول: ﴿وَالْقَمَرُ فَدَرَّتْهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونَ الْقَدِيرِ﴾ (٢٩).

**القاعدة الثانية:** العقيدة عندهم هي المؤثرة في حياتهم عملاً  
وسلوكاً وأخلاقاً ومشاعراً، يعكس غيرهم فقدقرأوا القرآن رضوان الله  
عليهم، فكان يقول لهم سبحانه وتعالى في القرآن: ﴿الَّذِي يَرِيكُمْ جِنَّةٌ  
تَقُومُ وَتَقْبِلُكُمْ فِي السَّلَيْدِينَ﴾ (٢٩) ما معنى هذا؟ معناه أن نراقب  
الواحد الأحد.

يقول سبحانه: ﴿أَتَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا  
يَكُوْثُ مِنْ بَحْرٍ ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَأَيْهُمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا  
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَنَّ مَا كَانُوا﴾.

قيل للإمام أحمد لما سئل: أليس الله في كل مكان؟ بهذه الآية.

قال: لا، أما رأيت أنه بدأ بالعلم وختم الآية بالعلم ﴿أَتَمْ تَرَ أَنَّ  
الَّهَ يَعْلَمُ﴾ يعني بعلمه مع الإنسان، وإلا فالله على عرشه مستوي تبارك  
وتعالى.

فالعقيدة عندهم هي المؤثرة في حياتهم عملاً وسلوكاً وأخلاقاً  
ومشاعراً.

نعم، يوجد عند المتأخرین من يعتقد لكن لا أثر لعقيدته، فهو  
يعلم أن الله لا إله إلا هو، وأنه يعلم الغيب وأخفى، لكنه لا أثر  
لذلك في حياته، ولم يتم ثمر لا خوفاً من الله ولا مراقبة ولا خشية ولا  
محاسبة للنفس ولا أمانة، وهذا خلاف المعتقد الصحيح.

المعتقد عند المتأخرین أصبح مجرداً، أصبح أن يقول: عقیدتنا في الملائكة، عقیدتنا في الكتب، عقیدتنا في الميزان، عقیدتنا في الحوض، لكن ما أثر العقيدة؟

أما الصحابة فقد عاشوا متأثرين بهذه العقيدة ومطبقين قوله ﷺ: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سالت فاسأل الله، وإذا استعن فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وإن اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»، وفيه: «واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك».

فلماذا لا تعرض الدروس العقائدية عرضاً أبيضاً نيراً مشرقاً على طلبتنا وشبابنا وأمهاتنا وأخواتنا في البيت؟

لماذا لا نأتي بالعقيدة نعلمهم في البيت وفي المدرسة وفي الجامعة كما علم الرسول ﷺ أصحابه؟

وأنا أقول هذا لأن العقيدة اليوم أصبحت ردوداً.. قالت المعزلة، ورد عليهم أهل السنة.

قالت الرافضة، ورد عليهم أهل السنة.

قالت الأشاعرة، ورد عليهم أهل السنة.

حتى يقول بعض الأساتذة العلماء الأذكياء: تحولت الأقسام في بعض الجامعات إلى أقسام ردود.

نعم لا نغفل الردود، ولكن لماذا أولاً لا نطعم أبناءنا وطلابنا وجيئنا بعقيدة أهل السنة فنقدمها من القرآن والسنة ثم نأتي نرد فيما بعد.

ولذلك تجد الإنسان بعد أن يتخُرَّج من الجامعة يعرف يرد على الفرق، لكن سلوكه في وادي والعقيدة في وادٍ آخر.

أتى سفيان بن عبد الله إلى الرسول ﷺ فقال له: يا رسول الله قل لي في الإسلام قوله لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ.

قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» رواه مسلم.

«آمنت بالله» كلمة، «ثم استقم» فربط العقيدة بالعمل، اعتقد واعمل.

**القاعدة الثالثة:** الصحابة تقبلوا العقيدة بلا اعتراض، وفهموها بلا إشكال، وعملوا بها بلا توقف.

الرسول ﷺ أتى ليقول للناس قوله سبحانه وتعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى» ﴿٥﴾ فلم يقم صحابي ويقول: يا رسول الله كيف استوى؟ هل سمعتم عن صحابي يقول: يا رسول الله كيف استوى؟ إلى أن أتى آخر القرن الثاني فقام بعض الناس من الذين ليس عليهم من العجم، فدخلوا مدسوسين في البلاد الإسلامية وقالوا: كيف استوى؟ وهذا يلزم جسمًا، وهذا يلزم أن يشغل حيزاً، وهذا يلزم أن يكون في مكان، وهذا يلزم أن يخلو عنه المكان إذا نزل في الثالث الأخير.

قلنا: حسبكم الله! الرحمن يقول: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى» ﴿٥﴾.

فهل قام أبو بكر وقال: كيف استوى؟

أو قام عمر وقال: هل ينزل إذا استوى؟ سبحان الله!

لا تقل كيف استوى كيف النزول أنت لا تعرف من أين تبول!  
أنت لا تعرف كيف تنام أو كيف تصحو، فلا تسأل أسئلة فوق عقلك، ولذلك سلّموا.

قال الشافعي في كلمة حفظت عنه رضي الله عنه وأرضاه، وهي تكتب بماء الذهب: أمنت بالله وبما جاء عن الله على مُراد الله، وأمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مُراد رسول الله.  
وهذا هو المطلوب من المسلم.

يقول سبحانه وتعالى: «بِلَّ يَدَاهُ مَبْسُطَاتِنِ» ثُلِيتْ هذِهِ الْآيَةِ عَلَى الصَّحَابَةِ، عَلَى ابْنِ مُسْعُودٍ وَمَعاذِ وَسَهْلٍ وَجَابِرٍ وَعُثْمَانَ، فَمَاذَا قَالُوا؟  
أَبْتَوَ اللَّهَ يَدِيهِنَ تَلِيقَانَ بِجَلَالِهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى بِلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ  
وَلَا تَمْثِيلٌ وَلَا تَأْوِيلٌ، بَلْ قَبْلُهَا لَأَنَ الرَّسُولَ ﷺ عَرَبِيٌّ وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ  
وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِلُغَتِهِمْ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ هِيَ مَجَازٌ عَنِ النِّعْمَةِ لَقَالَ:  
نَعَمَّا!

والشاهد هنا أنهم سَلَّمُوا بِلَا اعْتِراضٍ، وَعَمِلُوا بِلَا تَوْقُفٍ،  
وَفَهُمُوا بِلَا إِشكَالٍ.

يقول ﷺ في الحديث الذي مرّ معنا في حكاية آدم وموسى: قال آدم لموسى: وَكَتَبَ اللَّهُ لَكَ التُّورَةَ بِيَدِهِ، فَأَفَقَرَ مُوسَى وَاعْتَرَفَ وَلَمْ يَنْكِرْ  
الصَّحَابَةِ وَلَمْ يَقُولُوا: كَيْفَ كَتَبَهَا؟ وَبِأَيِّ قَلْمَنِ؟ هَلْ كَتَبَهَا فِي دَفْتَرٍ أَوْ فِي  
كِتَابٍ؟

سَبَحَانَ اللَّهِ! لَا نَشْبُهُهُ وَلَا نَمِثِلُهُ وَلَا نَعْطُلُهُ وَلَا نَؤْوِلُ صَفَاتَهِ  
«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

في الصحيحين قال ﷺ: «يَضْحِكُ رَبُّكَ لِرَجُلَيْنِ يُقْتَلُ أَحدهُمَا  
الآخَرُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ».

قالوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: «يُقْتَلُ هَذَا هَذَا كَافِرٌ وَهَذَا مُسْلِمٌ، فَيَدْخُلُ الشَّهِيدَ  
الْمُسْلِمَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُسْتَشَهِدُ

**فيدخلان الجنة**، فيلتقيان في الجنة القاتل والمقتول يراه في الجنة  
فيقول له: دخلت بسيبك الجنة، أنت أدخلتني الجنة، فجزاك الله خيراً،  
قطعت رأسي في الدنيا وأدخلتني الجنة! فالله عز وجل يصحح لذلك.

فماذا قال الصحابة لما تلا عليهم ﷺ الحديث؟ هل التفت  
بعضهم لبعض واستغربوا.. لا.. بل قالوا: آمنا وسلمنا.

وعند النسائي وأحمد بسنده صحيح يقول ﷺ: «يعجب ربك من  
رجل يرعى غنمه برأس شظية يؤذن ويقيم، يقول الله عز وجل: يا  
ملائكتي أشهدكم أني غفرت له وأدخلته الجنة».

بدوي مسلم يرعى غنماً ضائعاً أو ماعزاً في رأس شظية في جبل  
ما عنده إلا الله، ما هناك هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! ولا  
محاسبة ولا شرطة ولا بوليس، بل هو وحده، لما حانت الصلاة توضاً  
وقام في رأس الجبل يرفع صوته: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله  
أكبر.

الله فوق سبع سموات يعجب من هذا لأن إيمان خالد وإيمان  
راسخ، ويجازيه ويدخله الجنة ويغفر له ذنبه.

قال ﷺ في صحيح البخاري لأحد الصحابة: «إني أراك تحب  
الغم والبادية، فإذا كنت في غنمك وبادتك فأذن وارفع صوتك فإنه لا  
يسمع صوتك جن أو إنس أو شيء إلا وشهادوا لك يوم القيمة».

فما قال الصحابة: يا رسول الله كيف يعجب؟ ولكن قالوا: هو  
عجب يليق به سبحانه وتعالى بلا تشبيه ولا تكيف ولا تمثيل.

قال ﷺ في بدر والحديث صحيح: «يا أهل بدر إن الله أطلع  
عليكم قبل المعركة فقال: اعملوا ما شتم فقد غفرت لكم».

ما قالوا: كيف أطلع؟

ثم قال ﷺ: «يا أهل بدر والذى نفسي بيده ما بينكم وبين الجنة إلا أن يقتلكم هؤلاء فتدخلون الجنة»، وكان عمر بن الخطاب عند تمرات يأكلها، لكنه صاحب عقيدة عربي يفهم، فرمى التمرات وكان يأكلها من جوع وقال: يا رسول الله، ما بيننا وبين الجنة إلا أن يقتلنا هؤلاء؟

قال: «إي والذى نفسي بيده».

فالقى التمرات وقال: إنها لحياة طويلة إذا بقيت آكل هذه التمرات، فتقدّم فقاتل حتى قُتل إلى علیین رحمة الله<sup>(۱)</sup>.

**القاعدة الرابعة:** أجمع الصحابة على مسألة المعتقد، وسلموا لمعانيها ولم يختلفوا بحمد الله في مسألة منها. وابن القيم له كلام يشبه هذا في إعلام المؤمنين، بل كانت كل أسئلتهم في القرآن - بحمد الله - عن مسائل فقهية «وَسْأَلُوكَ عَنِ الْمَحِيطِ»، «وَسْأَلُوكَ عَنِ الْخَمْرِ»، «وَسْأَلُوكَ عَنِ الْأَهْلَةِ»، «وَسْأَلُوكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ»، «وَسْأَلُوكَ عَنِ الْأَيْتَمِ»، فماذا كانوا يسألون: كيف يضحك الله؟ كيف استوى الله؟ كيف يعجب الله؟

لا، بل سلموا ولم يختلفوا، فلما أتى المتأخرن، أتوا يتمحّلون ويتساءلون حتى يقول بعض العلماء: سبحان الله! المتأخرن سالوا في موضع الجمود، وجمدوا في موضع السيلان. مثل ابن حزم رحمة الله في المحل أتى للصفات فسأل.. سال قلمه ليؤول الصفات.

ويوم أتى في الفرعيات جمد مثل الثلج، فأخذ بالظاهر وأبطل القياس.

حتى يقول ابن تيمية: أبو الحسن الأشعري خير من ابن حزم في

(۱) رواه مسلم، وانظر: الإصابة (١٦٢٧).

الأسماء والصفات، وهذا صحيح وليس شاهدنا ابن حزم لوحده إنما أقول: المتأخرین حتى يقول بعضهم: (طريقة الخلف أعلم وطريقة السلف أحکم وأسلم).

فقال أهل السنة: (طريقة السلف أعلم وأحکم وأسلم، وطريقة الخلف أغشم وأظلم).

يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الرَّسُولَ يُبَشِّرُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ مَنِ اتَّبَعَ إِلَّا وَمَلَكَتِكَهُ وَكُلُّهُ وَرَسُولُهُ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَاتَلُوا سَيِّئَاتِنَا وَأَطْعَنُوا عُذْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

قالوا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه ونقلت الكلمة عن علي بن أبي طالب: والله لو كشف لي الله الغطاء فرأيت الجنة والنار ما زاد على ما عندي من إيمان مثقال ذرة.

وكان أبو بكر وقد ذكرها الإمام أحمد في كتاب الزهد يقول: يا أيها الناس استحوذا من الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إني أذهب إلى الخلاء لقضاء حاجتي فأضع ثوابي على وجهي حباء من ربي.

«اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك»، ولذلك يقول أحد السلف: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل).

وقال مطرف: ما غلبهم أبو بكر بكثرة صيام ولا صدقة ولا صلاة، ولكن بإيمان وقر في قلبه.

فأسئلة الصحابة كما قلت لكم في الفرعيات لا في الأصول.

وابن تيمية رحمه الله يقول بأن تقسيم الدين إلى أصول وفروع تقسيم متأخر وليس في الكتاب ولا في السنة ولا له أثر.

وبعضهم يقول: مسائل الأصول هي المعتقد، والفرع هي العبادات والمعاملات.

وبعضهم يقول: الأصول ما ثبت بأدلة قطعية، والفرع بأدلة ظنية.

والصواب ما سبق.

**القاعدة الخامسة:** معرفة الصحابة لدلائل الألفاظ ومعاني الأسماء والصفات.

في الصحيح أن الرسول ﷺ علم الصحابة دعاء الاستخارة فقال: «إذا هم أحدهم بالأمر فليصل ركعتين من غير الفريضة وليرسل: اللهم إني أستخلك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب»<sup>(١)</sup> الحديث.

والشاهد قوله ﷺ: «اللهم إني أستخلك بعلمك». فقد علم الناس العلم فجعلوا الاستخارة بالعلم، لأن العالم بالشيء يعرف الخير فيه فنسب العلم الله، ما دام الله يعرف سبحانه وتعالى عواقب الأمور فهو الذي يعرف سبحانه وتعالى الخير من الشر.

«وأستقدرك بقدرتك» ما دام أنك تقدر على هذه الأمور وغيرها فأطلب قدرتك يا الله.

فالصحابة أعظم الناس بمعرفة الألفاظ.. فكانوا ينزلون اللفظ منزلته ويفهمون معناه بالتمام.

**القاعدة السادسة:** لم يتعقّل الصحابة في الألفاظ ولم يتكلّلوا في المعاني ولم يتنطّعوا في المعتقد، يعني عقيدة الصحابة سهلة وعلمهم

---

(١) رواه البخاري بنحوه.

سهل وسلوكهم سهل، حتى العلم والتحصيل العلمي عند الصحابة بسيط.

فعلي رضي الله عنه وأرضاه في أول حديث عند أبي داود في السنن جمع أهل العراق في الكوفة فتوضاً أمامهم وضوءاً يعلمهم مما علّمه الله، فلما توضأ قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ نحوه وضوئي هذا.

كان العلم عند السلف يسيراً وكان سهلاً فهو آية أو حديث.

العلم قال اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ      قال الصحابة هم أولوا العرفان  
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة      بين الرسول وبين رأي فلان  
أما المتأخرون فتتطعوا في الألفاظ وتتكلفوا حتى خرج عندهم ما يُسمى بالجوهر والعرض والانفصال والتمايز ... إلخ خزعلاتهم.

فاحذركم ونفسي من نهجهم، بل عليكم بنهج أصحاب  
محمد ﷺ «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَإِهْدَاهُمْ أَفْتَدَهُمْ».

المتأخرون أدخلوا ثقافات الأمم الكافرة في المعتقد كبشر المريسي والجعد بن درهم، والجهنم بن صفوان وأمثالهم، وكذا أسيادهم كسرساط وبقراط وأمثالهم.

والمتأخرون أخضعوا اللغة العربية لغة الكتاب والستة للمنطق.  
فإذا جئت لتقرأ في كتبهم لا تفهم شيئاً ولا تدرى أين أنت! يصييك صداع في رأسك من العلة الغائبة والسببية والجوهر والغاية والغرض وما قبل وما بعد وما فوق وما تحت حتى تصبح في دوران!

بينما تعالى إلى كتب أهل السنة، فأخرج كتاب الإمام أحمد أو الصحيحين أو كتب العقيدة ككتاب الالكائي، ستتجده مثل الماء البارد.

فالمتأخرون صعبوا فهم العقيدة على الناس، حسبنا الله عليهم.

وهنا أمر مهم وهو أن الصحابة اتبعوا ولم يبتدعوا.  
وفي أول خطبة لأبي بكر الصديق يقول: يا أيها الناس إني متبع  
ولست بمبتدع.  
ولذلك ما وُجدت البدع إلا عند المتأخرین كبدعة المولد  
وغيرها.

والله يقول: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ  
لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»، ويقول المبتدع: لا، ما أتممت علينا النعمة، وما  
أكملت لنا الدين، وما رضيت لنا الإسلام دينا! هذا المبتدع لسان حاله  
يقول هكذا.

فأقول: الصحابة اتبعوا فلم يفعلوا شيئاً إلا بأثر.  
طرق أبو موسى الأشعري على عمر فما فتح عمر، فضرب ثانية  
فما فتح عمر، فضربثالثة فما فتح، فمضى أبو موسى.  
فتح عمر الباب فإذا بابي موسى قد ذهب.

قال: يا أبا موسى تعال، فأتى، فقال: لماذا ذهبت؟

قال: يا أمير المؤمنين سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا استأذن  
أحدكم ثلاثة فلم يؤذن له فليرجع»، حديث صحيح متفق عليه، لكن  
عمر لم يكن قد سمعه.

قال عمر: والله الذي لا إله إلا هو لا أتركك حتى تأتي بشاهد  
يشهد لك أن الرسول ﷺ قال هذا الحديث.

فذهب أبو موسى خائفاً وجلاً إلى الأنصار وقام في مجلسهم  
وقال: أتيت إلى عمر فطرقت عليه ثلاثة فلم يأذن لي فرجعت، ثم  
أتيت بحديث فحلف أن آتي بشاهد.

فقال الأنصار: والله لا يقوم معك إلا أصغرنا.. قم يا أبا سعيد.

فقام أبو سعيد إلى عمر فقال له: أشهد أنني سمعت الرسول ﷺ يقول: «إذا استأذن أحدكم ثلاثة فلم يؤذن له فليرجع».

فقال له عمر: ما كذبتك، لكن يا أبا موسى أردت أن أتأكد  
ويطمئن قلبي.

فهم يتبعون النص، ولا يتدعون.

والله أعلم، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



## التوحيد أولاً

«الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ وَالنُّورَ شَرَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ». ﴿١﴾

«الْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ جَاعِلَ الْمَلِئَكَ رُسُلًا أُولَئِنَّ أَجِنْحَةَ مَسْقَى  
وَثَلَاثَ وَبِعَدَ يَرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». ﴿١﴾

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله بالتوحيد، فهدي به الله البشرية وأنار به أفكار الإنسانية وزلزل به كيان الوثنية، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

التوحيد أولاً.. قبل أن نبدأ في أعمالنا وفي أمورنا وعبادتنا ومعاملاتنا.

التوحيد أولاً.. قبل أن نتكلم مع الناس ونفقه الناس.

التوحيد أولاً.. هذا منهج الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكل نبي وكل رسول يقول: «يَقُولُ أَعْبُدُوا اللّٰهَ مَا تَكُونُ مِنْ إِلَهٍ  
غَيْرُهُ». ﴿١﴾

بعث الله محمداً ﷺ من الأرض الجرداء والمرداء السوداء فقال له: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنِيْكَ» فقبل أن تدعوا الناس.. اعلم أنه لا إله إلا الله.. قبل أن تفهم الناس وتجahد الناس فاعلم أنه لا إله إلا الله.

عند أحمد في كتاب الزهد بسته جيد عنه عليه السلام أنه قال: «يقول الله تبارك وتعالى: عجبًا لك يا ابن آدم، خلقتك وتعبد غيري، ورزقتك وتشكر سوالي، أتحبب إليك بالنعم وأنا غني عنك، وتتبغض إلى المعاصي وأنت فقير إليّ، خيري إليك نازل وشررك إلي صاعد».

فلا إله إلا الله ما أضل الإنسان! وما أجهل الإنسان! وما أعمى الإنسان! يوم يعرض عن توحيد الواحد الديان.

يقول سبحانه: «ولَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِئَنَّ أَشْرَكَتْ لِيَجْعَلَنَّ  
عَمَلَكَ وَلَا تَكُونَ مِنَ الْخَانِثِينَ ﴿٦٥﴾ بِلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾».  
فالتوحيد أولاً.. صفاء واعتقاداً وتوجهاً وعملاً وحياة، فهذه  
رسالتنا في الحياة.

جاء المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: انسِب لنا ربك.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ :

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لِّهِ شَرِيكٌ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

ونحن كنا قبل التوحيد وقبل لا إله إلا الله أمة عربية مبعثرة جاهلة عمياً، تطوف بالصنم وتسجد للوثن وتشرب الخمر وتنهب وتسرق، لا حضارة ولا ثقافة ولا عرفان.. فلما بعث الله محمداً ﷺ رفع رؤوسنا بين الرؤوس، وشرح صدورنا بلا إله إلا الله، ويني لنا منارة الحضارة.

إن البرية يوم مبعث أحمٰد  
بل كرم الإنسان حين اختار من  
لبس المرقع وهو قائد أمة

(١) صحيح الترمذى (٢٦٨٠).

لما رأها الله تمشي نحوه لا تبتغي إلا رضاه سعى لها  
هذا الرجل العظيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي سكن بيت الطين وما وجد من خبر  
الشاعر ما يشع به ثلاثة ليال، ففتح بجيشه الدنيا. ولذلك فهذه البلاد  
لا تصلح إلا بالتوحيد.. ومنذ أن جاء المجدد محمد بن عبد الوهاب  
رحمه الله واستقامت هذه الجزيرة على (لا إله إلا الله) وهي تزداد من  
حسن إلى أحسن.. ومن أصالحة إلى أصالحة.. ومن مجد إلى مجد.

والتوحيد هذا ليس علوماً تقال بلا عقيدة وبلا عمل.. بل هو  
يجمع ذلك كله. أعرف رجلاً عامياً لا يستطيع أن يقرأ.. ولكن  
التوحيد في قلبه كالجبل.. سمع ابنه يقرأ في كتاب عن أدلة  
وجود الله.. فغضب وقال: هذا كلام الكفار.. الله لا يحتاج وجوده  
إلى دليل!

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد  
فيما عجبأ كيف يعصى الإله أو كيف يجحده الجاحد  
قيل للإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة رحمهم الله: ما هو  
التوكل؟

قال: التوكل مثل توكل إبراهيم عليه السلام، رماه الكفار في النار  
فقال: «حَسِبْنَا اللَّهَ وَرَبِّنَا الْوَكِيلَ».

قال ابن عباس في صحيح البخاري: «حَسِبْنَا اللَّهَ وَرَبِّنَا الْوَكِيلَ» قالها إبراهيم فجعل الله له النار برداً وسلاماً، وقالها  
محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم قيل له: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ فَخْشَوْهُمْ فَزَادُوهُمْ إِيمَانًا  
وَقَاتَلُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَرَبِّنَا الْوَكِيلَ فَأَتَقْلَبُوا بِشَعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضَلِّلُ لَمَّا يَمْسِيْهُمْ  
سُوءٌ وَأَتَبْعَدُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ». (١٧)

جاء حصين بن عبيد إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يُسلم فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
«كم تعبد يا حُصين؟»..

قال: أعبد سبعة.

قال: «أين هم؟».

قال: ستة في الأرض وواحد في السماء.

قال: «من تُعد لرغبك ورهبك؟».

قال: الذي في السماء.

قال: «فأترك التي في الأرض واعبد الذي في السماء».

قال: أشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله<sup>(١)</sup>.

التوحيد معناه أن نعيش به في الحياة عاملين الله.. لأن بعض المرجئة يقول: يكفي أن تقول لا إله إلا الله دون أن تعمل صالحاً وهذا حمق وجهل بمعنى التوحيد.

فمن الناس من يقولها ولكن لا يعرف المسجد ولا يعرف القرآن ولا يغار لدين الله، ولا يحب أولياء الله، ولا يتبع رسول الله ﷺ، يقول: لا إله إلا الله.. لكن سهرته حمراء، وقرآنـه الأغنية، وأتباعـه الشياطين والفسقة.

يا مدعـي حبـ طـهـ لاـ تـخـالـفـهـ  
الخـلـفـ يـحـرـمـ فـيـ دـنـيـاـ الـمـحـبـيـنـ  
أـرـاكـ تـأـخـذـ شـيـئـاـ مـنـ شـرـيـعـتـهـ  
وـتـرـكـ الـبـعـضـ تـدـوـيـنـاـ وـتـهـوـيـنـاـ  
خـذـهـ جـمـيـعـاـ تـجـدـ فـوـزاـ تـفـوزـ بـهـ  
أـوـ فـاطـرـحـهـ وـخـذـ رـجـسـ الشـيـاطـيـنـاـ  
وـيـوـمـ نـصـدـقـ فـيـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ مـنـ اللهـ.  
وـيـوـمـ نـصـدـقـ فـيـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ مـنـ اللهـ.

يدخل ﷺ في غار ثور فاراً من المشركين الذين طاردوه بالسيوف والرماح يريدون اغتياله.. فدخل في الغار مع أبي بكر الصديق كما يقول تعالى: «ثَاقِرَ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْكَارِ».

(١) رواه الترمذى، وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى (٦٩٠).

فطوق المشركون على الغار وأرادوا دخوله، فأرسل الله عز وجل العنكبوت فبنت بيتها عليه، وأرسل الحمام فبنت عشها على فم الغار، فلما أراد المشركون دخوله، رأوا ذلك فرجعوا اعتقاداً منهم أنه غار مهجور.

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم عنابة الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عالم من الأطم فصعدوا على ظهر الغار وأخذوا ينظرون من ثقب الغار بداخل الغار.. فقال أبو بكر وهو يرتجف: يا رسول الله، والله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأى.

فقال ﷺ وهو يتبرّأ: ﴿لَا تَحْرِنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَّا﴾ ... هذا هو التوحيد ﴿لَا تَحْرِنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَّا﴾، ومن كان الله معه فمن يخاف؟ ولماذا يخاف؟ يقول أبو بكر رضي الله عنه: يا أيها الناس استحيوا من الله حق الحياة، فوالذي نفسي بيده إني لأخرج لقضاء حاجتي فأضع ثوابي على وجهي حباء من ربِّي.

لأنه أصبح في منزلة اليقين، أو أصبح في منزلة الإحسان، أو درجة الإحسان، «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فالتوحيد ليس معاني مجرد تؤخذ من بطون الكتب، وإنما هو استشعار رقابة الله تعالى عليك وأنه متابع لأعمالك كلها، وهذا ما يجعلك تخلص فيها ولا تصرفها لغيره، وتحسنها فلا تقصُّر في شيء منها.

ولما ضيّع الناس التوحيد في عقائدهم وفي عبادتهم وفي معاملاتهم خسروا والله سعادة الدنيا وأثems من الغموم والهموم ما الله به عليم، لأنَّه كما يقول ابن تيمية رحمه الله: يقرن الله بين الاستغفار والتَّوْحِيد دائمًا لأنَّ العبد دائمًا يقصُّر ولا يكمل تقصيره إلا التَّوْحِيد، ويذنب فلا يذهب ذنبه ويمحوه إلا الاستغفار.

يقول سبحانه: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ»،  
وقال حكاية عن يونس عليه السلام: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي  
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَبِعِينَتْهُ مِنَ الْفَمِ وَكَذَّلِكَ ثَسِّي  
الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) فَانْقَذْهُ اللَّهُ». 

فالتوحيد والاستغفار هو العقيدة المثلثة التي يعيشها المسلم.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما عند البخاري في الصحيح إذا اهتمَ يقول: «لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».

وكان يقول كما عند مسلم من حديث عائشة إذا قام في صلاة  
الليل: «اللَّهُمَّ رَبُّ جَبَرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فاطِّرِ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ، عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ  
يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مِنْ تَشَاءُ  
إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ».

وفي صحيح البخاري أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام يصلي من الليل صلاة الليل فقال:  
«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ  
أَنْتَ إِلَهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيُومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ،  
وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقُّ وَالنَّارُ حَقُّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
حَقُّ وَالنَّبِيُّونَ حَقُّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، فَاغْفِرْ  
لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخْرَجْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي،  
فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أو كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عقائد الناس فسدت لأمور كثيرة، منها: تقديس بعض الناس  
لمشائخ الصوفية وصرف بعض العبادات لهم، واعتقاد أن النافع والضار  
منهم. فهم يتربكون التوجّه لله ويلجأون إلى غيره.. ولو كاننبياً أو  
ملكاً.

فهذا البوصيري الصوفي يقول:

يا سيد الخلق ما لي من أذوه به  
سواء عند حدوث الحادث العم  
إن لم تكن في قيامي آخذنا بيدي  
فضلاً أو فُلْ: يا زلة القدمِ  
والصوفي الآخر يقول:

يا رسول الله يا من ذكره في نهار الحشر رمزاً ومقاماً  
فأقلني عشرة يا سيد باكتساب الذنب في خمسين عاماً  
فلا إله إلا الله! كم خُدش التوحيد وكم غُير عند هؤلاء الجهلة.

عند أبي داود بسند جيد أن وفد عامر بن صعصعة وفدوا على  
الرسول ﷺ فجلسوا عنده، فقالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا وأفضلنا  
فضلاً.

فغضب ﷺ وقال: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم أو بعض قولكم  
ولا يستجرينكم الشيطان»<sup>(١)</sup>، لأنه خاف أن يُطروه فيرفعوه عن منزلته  
التي جعلها الله له.. «فَقُلْ إِنَّمَا بَشَرٌ مُّتَكَبِّرٌ يُوَحِّدُ إِلَيْهِ أَنَّمَا إِلَهُ  
وَيَجِدُ» .. فهو بشر يأكل ويشرب وينزل السوق «وَقَالُوا مَالَ هَذَا الرَّسُولُ  
يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَتَشَبَّهُ فِي الْأَشْوَاقِ»، فهو بشر ﷺ.

جاء أعرابي من الصحراء فقال: يا رسول الله، جاء العيال وضعاف  
المال وانقطع الغيث فاستسق لنا الله، فإنما نستشفع بك إلى الله،  
ونستشفع بالله لك.

فقال ﷺ: «سبحان الله! سبحان الله! سبحان الله! وبذلك أجعلتني  
لله بِنِداً؟ إن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع به إلى أحدٍ من خلقه»<sup>(٢)</sup>.

فقد قطع ﷺ الطرق الموصلة إلى توهين الشرك أو إضعاف

(١) رواه أحمد بسند صحيح.

(٢) رواه أبو داود.

الشرك في النفوس أو إلى إماتة التوحيد في القلوب.. قطع ﷺ العلائق التي توصل إلى الشرك أو تضعف التوحيد.

وقال ﷺ: «يا أيها الناس إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»<sup>(١)</sup>.

وقال أعرابي: يا رسول الله، ما شاء الله وشئت.

قال: «بل ما شاء الله وحده»<sup>(٢)</sup>.

واعلموا بارك الله فيكم أن للتوحيد أعداء.. وأن أول أعدائه إبليس، فقد رفض (لا إله إلا الله) ورفض أن يسجد لرب لا إله إلا الله، وسار على منواله فرعون وكل من سار إثر موكب فرعون.

يقول فرعون في التوحيد: «مَا عِلِّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي»، وقال: «أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَرُ تَجْرِي مِنْ تَحْقِيقٍ»، فقال موسى تكذيباً لعدو التوحيد فرعون: «لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا أَنْزَلَ هَذُولَةً إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارَتِ».

يقول ابن تيمية عند هذه الآية: لم ينكر الصانع في الظاهر إلا فرعون، وإنما فالآباء جميعاً أقرُوا بالصانع: أنه الله وهو الخالق «وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ». .

فكفار قريش أبو جهل وأبو لهب وأبي بن خلف إذا ركبوا في السفينة وأرسل الله عليهم الريح ذات الصرصار وتمايلت بهم السفينة يقولون: يا الله.. يا الله.. يا الله.. قال سبحانه: «فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْقُلُكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخِلِّصِينَ لَهُ الْأَلْيَنَ».

ومن أعداء التوحيد النمرود بن كنعان الذي قال تعالى عنه: «أَلَمْ

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد، وسنده حسن.

تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِيعِهِ أَنْ عَانَهُ اللَّهُ الْمُلَكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِيعَ الَّذِي يُحِيِّيهِ وَيُمِيتُ لَمْ يَقُلْ إِبْراهِيمُ: رَبِيعٌ عَلِيمٌ لَأَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مُشْتَرِكَةٌ، فَلَوْ قَالَ: عَلِيمٌ، لَقَالَ النَّمْرُودُ: وَأَنَا عَلِيمٌ.

ولَوْ قَالَ: رَبِيعٌ حَيٌّ، لَقَالَ: وَأَنَا حَيٌّ، فَجَاءَ إِبْراهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصَفَةٍ لَا يُنَازِعُ بَهَا قَالَ: «رَبِيعَ الَّذِي يُحِيِّيهِ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحِيَّ وَأُمِيتُ».

قَالَ إِبْراهِيمُ: كَيْفَ تُحِيِّي وَتُمِيتُ؟

فَأَخْرَجَ مَسْجُونَيْنَ وَقَالَ: هَذَا أَعْفُوْ عَنْهُ، وَهَذَا أَقْتُلُهُ.

قَالَ إِبْراهِيمُ: «فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّفَّافِينَ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَى بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبَهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّلَمِيْمِ».

فِي السَّنَنِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خِيطٌ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ.

قَالَ: «أَلْقُهَا فَإِنَّهَا لَا تُزِيدُكَ إِلَّا وَهُنَّا»، فَأَلْقَاهَا.

وَقَالَ ﷺ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ: «مَنْ تَعْلَقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ»<sup>(۱)</sup>، يَعْنِي مَا أَتَمَّ اللَّهُ أَمْرَهُ وَلَا ضَحَّتْهُ وَلَا عَافَيْتَهُ، لَأَنَّهُ جُرْحُ التَّوْحِيدِ، وَالْتَّمِيمَةُ قَرْطَاسٌ يَعْلَقُ، أَوْ كِتَابٌ يَكْتُبُ فِيهِ، أَوْ خِيطٌ يَرِبِطُ يَتَشَافَّى بِهِ الْمَرِيضُ مِنَ الْعَيْنِ.

فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا حَقًّا التَّوْحِيدِ.. وَحَرَصَ عَلَى أَنْ لَا يَخْدُشَهُ أَوْ يَجْرِحَهُ بِأَيِّ مَوْثِرٍ.

فِي التَّوْحِيدِ.. يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ وَلَوْ كَانَتْ كَثِيرَةً، قَالَ سَبَّاحَهُ:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ».

(۱) حَدِيثٌ صَحِيفٌ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

قال أبو نواس :

تأمل في نبات الأرض وانظر  
عيون من لجين شاخصات  
على كثب الزبرجد شاهدات  
إلى آثار ما صنع الملائكُ  
بأحداق هي الذهب السبيكُ  
بأن الله ليس له شريكُ  
فأدخله الله الجنة كما ذكر ذلك أهل التاريخ لأنه وحده وعرف أنه  
المؤثر سبحانه وتعالى في هذا الكون برغم اشتئاره بكل قبيح في  
حياته .

أيها المسلمون .. (التوحيد أولًا) فيها قضيائنا :

**القضية الأولى:** أن نكثر من ترديد الأذكار عند كل صباح ومساء  
ولا نفتر عن ذلك .

يقول حبيبي ﷺ كما في صحيح البخاري: «من قال لا إله إلا الله  
وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل  
شيء قادر، في يومه مائة مرة كتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة  
سيئة، وكانت له عدل عشر رقاب، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه  
ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل  
بعمله وزاد عليه»، أو كما قال ﷺ.

ثانياً: أن نتدبر معنى لا إله إلا الله وأن نفهم محتواها وأن نعيش  
معها بقلوبنا، لأنها هي الكلمة التي زلزلت من أجلها الأرض، فالطوفان  
أتي من أجل لا إله إلا الله، والريح الصرصري والحاقد والبركان كلها  
أتت من أجل إقامة لا إله إلا الله .

والرسل عليهم الصلاة والسلام، ونزول الكتب، والميزان، والجنة  
والنار، والصراط، من أجل لا إله إلا الله .

فلا بد أن نعرف معنى لا إله إلا الله .

و معناها أن لا معبود بحق إلا الله، ولا نافع ولا ضار ولا مقصود إلا الله، ولا كاشف للضر إلا الله، ولا مشافي ولا معافي إلا الله.

ثالثاً: أن نعيش لا إله إلا الله عملاً وأخلاقاً وسلوكاً، فإذا عشنا بلا إله إلا الله فليس بنا حاجة إلى علم النفس والتربية إلا من باب الاستقراء والسبر والمقارنة.

والله يعرض التوحيد في القرآن بأسلوبين:

أسلوب الابتداء.

وأسلوب القصص والأمثال.

يصف لك الورد والحدائق والبساتين فيردهك إلى التوحيد، ويصف لك الجبال والسماء والأرض فيردهك إلى التوحيد. فلا بد أن نعيش لا إله إلا الله في حياتنا وفي سلوكنا وفي علومنا.

والله أعلم وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ.



## كلمة التوحيد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، وننحوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضللا فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كثِيرًا.

أما بعد:

عن معاذ رضي الله عنه وأرضاه قال: ردت رسول الله ﷺ على حمار اسمه (يعفور).

يقول بعض الزنادقة: لماذا يذكر المحدثون اسم الحمار؟ وما هي الفائدة منه؟ ولماذا يذكرون لنا أن الرسول ﷺ ركب حماراً؟

وهذا خطأ في فهمهم، فإنه يترب على هذا فوائد جمة ذكرها العلماء، منها:

جواز الركوب على الحمار.

ومنها: أن ملامسة الحمار لا تنجرس.

ومنها: طهارة لعب الحمار عند بعض أهل العلم.

ومنها: جواز الإرداد على الدابة.

ومنها: تواضعه عليه السلام.

قال معاذ: فركب عليه السلام ثم قال: «اركب يا معاذ»، وعند أبي داود حديث: «الرجل أحق بتصدير دابته» والرسول عليه السلام هو صاحب الدابة. وهذا الحمار أهداه إليه مُوقوس مصر.

قال: «اركب يا معاذ».

قلت: امض يا رسول الله.

أي: رفض أن يركب معاذ خجلاً وحياء من الرسول عليه السلام.  
قال: «اركب».

قال: فركبت.

فمضينا قليلاً فعثر الحمار فسقطنا!

قال: فقمت أذكر أسفًا وخجلاً وقام عليه السلام يضحك.  
انظر التواضع.

قال: فركبنا مرة ثانية فمضينا قليلاً فعثر الحمار فسقطنا!  
فقام عليه السلام يضحك وقمت خجلاً.

ثم ركبت مع الرسول عليه السلام فقال: «يا معاذ».

قلت: لبيك وسعديك يا رسول الله.

وهذه أحسن كلمة يقولها المسلم.

قال: «أندري ما حق الله على العباد؟».

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً».

ثم مضى قليلاً فقال: «يا معاذ، أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟».

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «فإن حقهم إذا فعلوا ذلك ألا يعذبهم» متفق عليه.

وهذا الحديث أصل من أصول أحاديث التوحيد.

وهو يحتوي على الكلمة العظمى التي أتى بها ﷺ.

وأما فضلها: فهي التي يخرج بها العبد من الكفر إلى الإيمان، وقد صحّ عنه ﷺ من حديث معاذ أنه قال: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(١)</sup>، والمعنى: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فنسأل الله أن يتوفانا وإياكم على هذه الكلمة.

سمع ﷺ رجلاً يقول في ظلام الليل: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فقال ﷺ: «نجوت من النار وربّ الكعبة».

إذا علم هذا فإن الرسل عليهم الصلاة والسلام إنما جاؤوا من أجل لا إله إلا الله.

بل الأرض ما دُمْرَت إلا من أجل الكفر بلا إله إلا الله.

بل الجنة والنار ما أقيمت سوقة إلا من أجل لا إله إلا الله.

فهي أعظم كلمة أتى بها ﷺ، وهي كلمة التوحيد، وليس في الدنيا كلمة أعظم منها، نسأل الله أن يتوفانا عليها.

---

(١) رواه أحمد (٢٣٣/٥) وأبو داود (٣١١٦).

عند الحاكم وغيره عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: يقول رسول الله ﷺ: «يقول موسى عليه السلام - وكان موسى يكلم الله كفاحاً بلا ترجمان - يا رب أسألك كلمة أدعوك بها وأناجيك.

قال الله عز وجل: يا موسى قل لا إله إلا الله.

قال موسى عليه السلام: يا رب كل عبادك يقولون: لا إله إلا الله.

فهو يريد كلمة جديدة ما سمع الناس بمثلها.

«قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعمرهن غيري والأراضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله».

الله أكبر كل هم ينجلي عن قلب كل مكبّر ومهملٍ  
لقد قدم أصحاب محمد ﷺ أرواحهم من أجل لا إله إلا الله،  
وقطعت رؤوسهم من أجل أن ترتفع لا إله إلا الله، و Mizqat لحومهم  
من أجل بقاء لا إله إلا الله.

وهي الكلمة التي من أتى بها يوم القيمة سعد سعادة لا يشقي بعدها أبداً.

ومن أعرض عنها وكفر شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً «إِنَّمَا  
كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝».

وأنزل سبحانه وتعالى على رسولنا ﷺ كلمة التوحيد وقرنها بالاستغفار من الذنب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: يقرن سبحانه وتعالى بين التوحيد الذي هو تنزيهه عن الأضداد والأنداد وبين الاستغفار من الذنوب فيقول: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ».

وقرن سبحانه وتعالى بين ذلك في قوله في قصة ذي النون بن متى «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ».

فانظر كيف اعترف بالوحدانية ثم اعترف بالذنب، فإنه لما أصبح في ظلمات ثلاث انقطع حبله عن الأولاد وعن الزوجة وعن الأحباب وعن الأقارب، وما بقي إلا حبل الله.

وهذه هي الكلمة التي تُستخدم في وقت الأزمات وساعة الصفر، فقد قالها ﷺ في الغار وهو مطوق بالمسركين فقال لصاحبه: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»، ويقول: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

وقالها فرعون في لُجَّة البحر فلم تنفعه.

قال: «أَمَّا مَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَّا مَنْ يُهْدِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

وورد عن نوح عليه السلام أنه جمع أبناءه عند الوفاة فقال: يا أبني قولوا: لا إله إلا الله، فإن لا إله إلا الله لو كانت في حلقة من حديد لفصمتها.

والمعنى أنها تندى صاحبها إذا أتى بها صادقاً مخلصاً.

وعند البخاري من حديث أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة؟

قال: «لقد ظنت ألا يسألني أحد قبلك يا أبا هريرة لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه».

قالوا: أي عمل بمقتضى لا إله إلا الله، فهذا هو المخلص من قلبه.

فإننا نجد بعض الناس يقول لا إله إلا الله، لكن قوله في واد وعمله في واد آخر.

ومنها: ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له عَذْلٌ عشر رقاب، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بمثل عمله إلا رجل عمل بمثل عمله أو زاد عليه»، أو كما قال ﷺ.

فأوصي نفسي وإياكم أن نكررها كثيراً، وأن نجلي بها الهموم، وأن نزيل بها الغموم، وأن نذهب بها الأحزان، وأن نرددتها صباح مساء، فإنها بإذن الله عز وجل شافية للأمراض التي يعيشها الناس.

أما الأمة قبل لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقد كانت أضعف أمة وأذل أمة وأبعد أمة عن الله.

أمة تسفك الدم وتزنني وتخون وتعبد الصنم وتسلب وتنهب، فأراد الله عز وجل أن يرفع قدرها فأنزل عليها لا إله إلا الله.

إن البرية يوم مبعث أَحْمَد نظر الإله لها فبدل حالها بل كرم الإنسان حين اختار من خير البرية نجمها وهلالها لبس المرقع وهو قائد أمة جبت الكنوز فكسرت أغلالها بعض الناس يكتبون في بعض الصحف وهملاً فريق يرون أن الأمة العربية قبل الإسلام كانت ذات حضارة وتقديم.

فكل هذا من التعجب القومي الكاذب، ويكتفي في الرد عليه قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمَمِ بَعْثَةً رَسُولًا مِّنْهُمْ يَشْلُوْا عَلَيْهِمْ أَيْمَنَهُمْ وَيُرَكِّبُهُمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَافُوا مِنْ قَبْلِ لِفْنِ ضَلَالٍ مُّبِينٍ».

فالعرب كانوا في ضلال، وليس هذا فقط.. بل ضلال مبين واضح، أما تاريخنا نحن فهو يبدأ من رسول الله ﷺ ومن الإسلام. تاريخنا من رسول الله مبدئه وما عداه فلا ذكر ولا شأن

أَتَى اللَّهُ فِيْ جَمْعِ النَّاسِ حَوْلَ الصَّفَا فَاجْتَمَعُوا.

فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنِّي أَخْبَرْتُكُمْ بِأَنَّ خَيْلًا بِهَذَا الْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تَصْبِحَ حُكْمَ أَكْتَمَ مُصْدَقَيْ؟».

قَالُوا: مَا جَرَبْنَا عَلَيْكُمْ كَذِبًا.

أَيْ: أَنْتَ الْأَمِينُ الصَّادِقُ.

قَالَ: «إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدِي عَذَابٌ شَدِيدٌ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»<sup>(۱)</sup>.

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّاكُ لَكَ أَهْذَا دَعْوَتَنَا؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾، وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ انطَلَقَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ جَدِيدٍ لِتَجْلِجَلُ فِي الْأَرْضِ فَيُؤْمِنُ بِهَا الْمُوْقَنُ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ هُدَائِهِ، وَيُكَفِّرُ بِهَا الَّذِي اسْتَكَبَرَ وَنَفَرَ كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ»<sup>(۲۵)</sup>.

يُسْتَكْبِرُونَ لِأَنَّهُمْ اعْتَادُوا عَلَى عِبَادَةِ الْآلهَةِ الْبَاطِلَةِ وَعَلَى الشَّرِكِ.

لَقَدْ كَانَ الْعَرَبِيُّ يَجْمِعُ الصَّخْرَ وَالْتَّمَرَ فِي بَيْتِهِ فَيَصْنَعُ مِنْهَا تمثِيلًا لِيَعْبُدَهُ.

جاءَ أَحَدُهُمْ إِلَى بَيْتِهِ فَوْجِدَ تَمَثِيلَهُ يَبْولُ عَلَيْهِ أَحَدُ الثَّعَالَبِ فَاسْتَفَاقَ مِنْ جَهْلِهِ وَقَالَ:

أَرْبَبُ يَبْولُ الثَّعَالَبَانِ بِرَأْسِهِ      لَقَدْ خَابَ مِنْ بَالِتِهِ الثَّعَالَبُ  
لَقَدْ كَانُوا بِلَا عِقْلٍ حَتَّى صَحُوا عَلَى صَوْتِ الْمُصْطَفَى وَهُوَ يَعْلَمُ  
الْتَّوْحِيدَ وَيَرْفَعُ هَذِهِ الْكَلْمَةَ الْحَقِّ الَّتِي حَطَّمَتْ بَاطِلَهُمْ.

(۱) رواه البخاري.

فقال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا ففرقنا سعد فما نحن من سعد  
يقول : أتيناه ليجمع علينا الإبل وينزل الرحمة ، فشردت الإبل  
منه .

عقول ضحكت عليها الجاهلية والخرافة .

يقول ﷺ في سنن أبي داود لحسين بن عبيد الخزاعي : «كم  
تعبد يا حسين؟». .

لأن العربي كان عنده أحياناً ثلاثة آلهة أو أربعة أو خمسة!  
قال : سبعة .

قال : «أين هم؟».

قال : ستة في الأرض وواحد في السماء .  
قال : «من لرغبك ورهبك؟».

يسأله ﷺ : من تدعوا إذا اشتدت عليك الدوائر وضاقت عليك  
الحيل وانقطعت عنك الحال؟  
قال : الذي في السماء .

وقد ذكر الله ذلك فقال : «إِنَّمَا يَرْكِبُونَ فِي السَّمَاوَاتِ إِذَا دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ  
لَهُ الدِّينَ» ويقول سبحانه وتعالى : «وَإِذَا مَسَكْمُ الْقُرْبَى فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ  
تَدْعُونَ إِلَّا إِلَيْهِ» .

هذا هو واقع العرب قبل لا إله إلا الله ، واقع سوء وواقع لا  
يرضي الله .

فلما أتت لا إله إلا الله محمد رسول الله أخرجت لنا أبا بكر  
وعمر وعثمان وعلياً وابن عباس ومعاذًا وأبيتاً ، فأصبحنا كما قال

سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاكُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنْهَمُونَ بِإِلَهٍ لَّا يَلِهٌ﴾.

أما معنى لا إله إلا الله: فهو لا معبود بحق إلا الله.

فواجِب على المسلم أن يصرف عبادته له سبحانه وتعالى، وأن يتوجه إليه، وأن يدعوه رغبة ورهبة ولا يخاف إلا منه، ولا ينذر إلا له، ولا يدبح إلا له، ولا يتقرّب إلى غيره سبحانه وتعالى.

ويعندها أن تكون الحياة لا إله إلا الله ﴿إِنَّ صَلَافِ وَشَكِيَّ وَتَحْيَىٰ وَمَمَّاقِ إِلَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُشْرِكِينَ﴾.

أقول هذا لأن بعض الناس يتصرّف أن لا إله إلا الله في المسجد فقط.

ويرفض أن يدخل لا إله إلا الله في غير المسجد والعبادات الازمة، كالآدب والاقتصاد وغيرها مما يهم الناس وبهم المجتمع. وهذا في الحقيقة لم يؤمن بلا إله إلا الله.

ورد عند الدارقطني وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»، قال النووي: حديث روينا في كتاب الحجة بسند صحيح.

فإذا كان هواك تبعاً للرسول ﷺ فلا يأمر بشيء إلا وافقته ولا ينهى عن شيء إلا تركته، فقد آمنت بلا إله إلا الله محمد رسول الله.

أما نواقض لا إله إلا الله فهي كثيرة، منها:

١ - ترك فريضة من فرائض الدين التي قام عليها الدليل وقام عليها الوجوب من الشارع الحكيم.

فإن بعض الناس يظن أنه إذا قال لا إله إلا الله كفته.

فتراءه يترك الصلاة ويقول لا إله إلا الله.

ويجحد وجوب الزكاة ويقول لا إله إلا الله.

٢ - ومن نواقضها الاستهزاء بشيء مما أتى به رسول الهدى ﷺ .

قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِيَّالَهٖ وَمَا يَنْبَغِي وَرَسُولُهٖ كُنْتُمْ تَسْتَهِزُونَ لَا تَعْنِدُوا فَمَّا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾ .

فإن كثيراً من الناس يكفر ببعض الكلمات أو بكلمة واحدة عندما يستهزئ بالدين أو بالقرآن أو بالرسول ﷺ أو بأهل العلم، فيكفر.

وسبب نزول هذه الآية أن الرسول ﷺ كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير وأبن جرير وغيرهما، كان في غزوة تبوك فأتى المنافقون فجلسوا في طرف المخيم وأخذوا يتحدثون.

فقال أحدهم لزملائه: ما رأينا كفرانا هؤلاء أرغم بطنوا وأجبن عند اللقاء.

يعني أصحاب محمد ﷺ .

فأخبر الله رسوله بهذه المقالة الشنيعة.

فجاء المنافق وأخذ بزمام ناقة الرسول ﷺ وقال: يا رسول الله اعف عننا إنما كنا نخوض ونلعب.

فأنزل الله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ ۗ قُلْ إِيَّالَهٖ وَمَا يَنْبَغِي وَرَسُولُهٖ كُنْتُمْ تَسْتَهِزُونَ ۚ ۱۰ لَا تَعْنِدُوا فَمَّا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾ ، فالحذر الحذر يا مسلم من التساهل بهذه الكلمات التي فيها طعن وسخرية بالدين أو بالصالحين.

٣ - ومن نواقضها أن يعتقد الشخص أن شريعة غير الله أحسن من شريعة الله عز وجل، وأن شريعة الله ليست صالحة ولا تناسب الزمن ولا توافق الدهر ولا تستطيع أن تكفل حاجة الإنسان.

وهذا ي قوله أصحاب القلوب المريضة من أذناب الغرب ورباته.

ومن اعتقاد هذا الكلام فقد كفر، يقول تعالى: «أَفَحُكْمُ الْجَهَنَّمَ  
يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنْ وَمَنْ أَلَّهُ حَكْمًا لِقَوْمٍ يُؤْقَنُونَ ﴿٥٥﴾»، «وَمَنْ لَئِنْ يَخْكُمْ بِمَا  
أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»، «فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»، «فَأُولَئِكَ  
هُمُ الظَّالِمُونَ»، هذا كلام الله عز وجل.

٤ - ومنها أن يرى أن شريعة غير الله مثل شريعة الله عز وجل، أي: يساوي بين القرآن وقواعد وشريعة نابليون الفرنسي مثلاً.

٥ - ومن نواقضها موالة أعداء الله ومحبتهم وتقربهم ورفع  
مقامهم واعتقاد أنهم على حق أو أنهم أولى بالتبجيل والاحترام من  
المسلمين، سواء كانوا من الكتابيين أو من غيرهم.

٦ - ومن نواقضها محبة خذلان المسلمين وعدم نصر الإسلام  
وأهلها والفرح بنصر أعدائهم والعياذ بالله.

٧ - ومن نواقضها تعلم السحر وإضرار المسلمين به.

ومن أراد الزيادة في نواقض لا إله إلا الله فليطالع كتب أهل  
العلم كشرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله<sup>(١)</sup>.

ولكن لا بد أن يفهم أنه لا يكفي قول لا إله إلا الله حتى  
ينجيك الله من النار حتى تأتي بمقتضياتها وتبتعد عن نواقضها، وإنما  
فإن المنافقين يقولونها ولكنها لم تنفعهم لأنهم نقضوها.

ولذلك قَيَّدَ رسول الله ﷺ قولها بالإخلاص والصدق.

والإخلاص والصدق هو الذي يحملك على القيام بحقوقها وعدم  
الوقوع في نواقضها.

فلا بد معها إذن.. من القيام بالفرض وأركان الإسلام وأن  
تجتنب نواقضها السابقة.

---

(١) وانظر: كتاب (الشهادتان) للشيخ ابن جبرين حفظه الله.

أما المعاشي والكبائر فهذه لا تمنع من رحمة الله لكنها قد تعرضك إلى عقوبة المولى الواردة في الآيات والأحاديث الخاصة بهذه المعاشي.

وأما النوافل فاجتهد فيها بحسب جهودك واستطاعتك.

وليعلم أنه لا يكفي للمرء أن يقول: (لا إله إلا الله) دون (محمد رسول الله) وهذا واضح، لأنه إن لم يقلها فهو لا يقر بنبوة محمد ﷺ. ولذلك فاليهود والنصارى يقولون: لا إله إلا الله، ولكنهم لا يعترفون بنبوة محمد ﷺ.

فلذلك عدّهم الله من الكافرين وقال: «وَمَن يَبْتَغِ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾»، وقال: «إِنَّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ الْأَيْسَلَمُ».

وقال ﷺ: «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا أدخله الله النار»<sup>(١)</sup>.

أما المسلم فهو وإن قال: (لا إله إلا الله) وحدها فهو مؤمن حتماً بمحمد رسول الله لأنّه يقولها في صلاته وفي تشهّده.

وأما أول واجب على المكلّف: فهو قول لا إله إلا الله، والعبد منذ ولادته وهو معترف ومقر بهذه الكلمة.

لقوله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه»<sup>(٢)</sup> ولم يقل: (يُمسِّلِمانه).

لأنه قد ولد على التوحيد، لكن أهله ومجتمعه يعبث بفطرته و يجعله كافراً بعد أن كان مؤمناً.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

فلذلك فأول واجب على المكلف هو قول لا إله إلا الله  
لقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

وقوله لأسامة بن زيد لما قتل الرجل الذي قال لا إله إلا الله:  
«أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟»<sup>(٢)</sup> قالها منكراً على أسامة، لأن  
الرجل بهذه الكلمة يعتبر قد دخل الإسلام.

وأما قول أهل الكلام بأن أول واجب على المكلف هو النظر أو  
القصد إلى النظر فهذا من بدعهم التي أحدثوها في الأمة، وقد ردّ  
عليهم العلماء كثيراً، وراجع تعليقات الشيخ ابن باز على (فتح الباري)  
لابن حجر.

أما عوامل تقوية (لا إله إلا الله)، فهي كما سبق: التزود من  
الطاعات والنوافل حتى يزداد الإيمان بزيادتها وحتى تصلب شجرة لا إله  
إلا الله في القلب فلا تؤثر بها الرياح والأعاصير وقت الفتن والأزمات.

يقول ﷺ عن الله في الحديث القدس: «ولا يزال عبدي يتقرب  
إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره  
الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن  
سألني لأعطيته ولئن استعاذه لأعيذه»<sup>(٣)</sup>.

أسأل الله لي ولكم التزود من الطاعات حتى يحبنا رب الأرض  
والسموات.

والله أعلم، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

## كلمة التوحيد توحيد الكلمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعتوذ بالله من شرور أنفسنا وسعيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.  
يوم يأتي المسلم ليستقر في سيرته يجد أنه قد بدأ حياته بلا إله إلا الله وختمتها بلا إله إلا الله.

وقف ﷺ على الصفا فقال: «يا بني هاشم، يا بني عبد مناف، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، يا بني كعب بن لؤي قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». حينها آمن من آمن بلا إله إلا الله فدخل الجنة، وكفر من كفر بلا إله إلا الله فدخل النار.

يقول عميه أخوه أبيه أبو لهب: أهذا دعوتنا؟

قال: «نعم».

قال: «تباً لك! <sup>(١)</sup>

(١) متفق عليه.

فأنزل الله قوله المحرق لهذا الرّعديد الفاجر: ﴿تَبَّأَتْ يَدَّاً إِلَى لَهَبٍ  
وَتَبَأَ مَا أَغَصَّ عَنْهُ مَالُّ وَمَا كَسَبَ﴾.

أما صهيب الرومي، أما سلمان الفارسي، أما بلال الحبشي، أما خباب بن الأرت فملؤوا قلوبهم بلا إله إلا الله.

يقول الله سبحانه وتعالي لرسوله ﷺ قبل أن يدعو الناس وقبل أن يتكلم إلى البشر: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنْكَ»، فإذا أردت أن تدعو الناس وإذا أردت أن تبدأ في طريقك وتزاول عملك «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

فهل تعلم أكبر من الله؟ هل تعلم أعظم من الله؟ لا والله.

في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة.

قال: «القد ظننت ألا يسألني أحد قبلك يا أبو هريرة.. أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه».

لكن ليس معنى لا إله إلا الله أن ترددها أيها المسلم بلسانك وعملك يخالفها.. فكثير من الناس يتصور أنه إذا قال: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) يكفيه للنجاة عند الله.

وهذا فهم خاطيء، فلا إله إلا الله اعتقاد وقول وعمل.

فإن بعض المشركين قال لا إله إلا الله بما نفعهم ذلك لأنهم ما اعتقدوا وما عرفوا العمل بلا إله إلا الله.

من يقول لا إله إلا الله لا تفوته الصلوات الخمس في الجماعة.

من يقول ويعتقد لا إله إلا الله لا يتعدى حدود الله ولا ينتهك حرمات الله.

من يقول لا إله إلا الله لا يجعل بيته وثناً ولا يجعل بيته مسرحاً للمعاصي.

أيها المسلمين لتعلموا أن من أكبر قضايا لا إله إلا الله هي الإيمان بالله تبارك وتعالى، «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُهُمْ أَرْحَمَنَ وَدًا» (٩٦)، «وَالْعَصِيرُ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خَيْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ».

والإيمان أكبر راقد من روافده تقوى الله سبحانه وتعالى، «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا أَللَّهُ حَقٌّ تُقَاتِلُهُ وَلَا يَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمُ مُسْلِمُونَ».

«يَأَيُّهَا النَّاسُ أَتَقُولُو رَبُّكُمْ إِنَّ زَلَّةَ السَّاعَةِ شَدِيدَةٌ عَظِيمَةٌ» (١).

«يَأَيُّهَا النَّاسُ أَتَقُولُو رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفِيسٍ وَجَعَلَهُ وَهَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا».

«يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا أَللَّهُ وَقُولُوا فَوْلًا سَيِّدِنَا يُصْلِحَ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا» (٧٠).

لكن ما هي التقوى؟ وما تعريفها؟

يقول علي بن أبي طالب فيما أثر عنه: التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضى بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل. الجليل هو الله الواحد الأحد.

الجليل هو الذي يراك إذا تسّرت بالجدran.

الجليل هو الذي يراقب حرركاتك إذا اختفيت خلف الحيطان.

وكثير من الناس لا يعرف الجليل بل يخاف من السلطة والقائد والقيادة أشد مما يخاف من الله الواحد الأحد.

يخاف من مراقبة المسؤول أكثر من مخافته للجليل سبحانه وتعالى.

الجليل هو الذي خلقك وهو الذي صورك، «يَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ» (٦) ألمى خلقك فسونك فعدلك في أي صورة مَا شاء ربك (٨)، «يَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَاذِبٌ إِلَى رَبِّكَ كَذَّابٌ فَمَلَأْتِهِ»،

﴿هَلْ أَنَّ عَلَى الْإِنْسَنِ حِينٌ إِنَّ الدَّهْرَ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذَكُوراً ① إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجَ بَنَتِيلِهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ②﴾.

والإمام أحمد يقول لأحد الشعراء: أنت قول الشعر؟

قال: نعم.

قال: ماذا قلت؟

قال:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوق ولكن قل عليٰ رقيب ولا تحسبي الله يغفل طرفة ولا أن ما يخفى عليه يغيب فقام وأغلق الباب وأخذ يبكي حتى سمع بكاؤه من خارج البيت وهو يردد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوق ولكن قل عليٰ رقيب يقول: (والعمل بالتنزيل): العمل بالكتاب والسنّة، فنحن أمة ليست مخيرة فيأخذ شرائعها وفيأخذ منهاجها ومبادئها. أمة تسير بالكتاب والسنّة.

فإذا علم ذلك.. فليعلم الأخ الفاضل أنه لا بد أن يعمل على ضوء الكتاب والسنّة وأن يتقي الله في الكتاب والسنّة.

قال: (والرضى بالقليل) فما أكثر أموالنا، وما أكثر مناصبنا، وما أكثر وظائفنا، ولكنها لم تفدننا شيئاً عند مولانا، ولن تبقى معنا عند رحيلنا، ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ فِرْدَأَيْ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرَجَعْنَاكُمْ مَا حَوَلْنَاكُمْ وَرَأَيْ ظُهُورَكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شَفَعَاءَ كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَهْمَهُمْ فِيكُمْ شُرَكَوْا لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ ③﴾.

فيوم تُدفن لا يُدفن معك إلا العمل الصالح.

قيل لأحد الصالحين وهو أبو ذر الغفارى: أين متاعك؟

قال: أخبرنا رسول الله ﷺ أن أمامنا عقبة.. ولا يتجاوز العقبة  
إلا المخفف! <sup>(١)</sup>

إن الذي يُكثُر من ملذات الدنيا وشهواتها على حساب أجره  
عند الله عز وجل فهو خاسر.

أُتِيَ الرسول ﷺ بمفاتيح كنوز الأرض، فقال: «لا، بل أعيش  
عبدًا رسولًا أجوع يوماً وأشبع يوماً»، لأنه تظلل بمظلة لا إله إلا الله.

قال: (والاستعداد لـ يوم الرحيل)، فماذا هيأنا ليوم العرض  
على الله عز وجل؟ وما هي الأعمال الصالحة التي قمنا بها وحملناها  
لذاك الموقف؟

دخل علي بن أبي طالب على عمر وقد طعن ودماؤه تسيل فقال:  
طوبى لك يا أمير المؤمنين.

قال: لا تدعني بأمير المؤمنين، فأنا اليوم لست بأمير المؤمنين.  
قال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين أسلمت فكان إسلامك نصراً..  
وهاجرت فكانت هجرتك فتحاً.. وتوليت فكانت ولاتك رحمة.

فبكى عمر وقال: يا ليتني نجوت كفافاً لا لي ولا عليّ.

وتقول عائشة وهي تبكي: يا ليتني كنت نسياً منسياً.

إن الموقف ليس بالسهل، فماذا أعددنا أيها الأبرار له؟  
لقد فقدنا الأجداد والأولاد، فقدنا الآباء والأمهات، فقدنا  
الإخوة والأخوات.

---

(١) قال الهيثمي: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أسد بن موسى ومسلم الصغير  
وهما ثقنان) (٢٢٦/١٠).

إنه هادم اللذات ومفرق الجماعات وآخذ البنين والبنات.

يا أيها الأخ المسلم أسألك بالله أن تتقى الله العجليل قبل أن تتقى المسؤول.. فوالله الذي لا إله إلا هو، إن الذي لا يتقي الله عز وجل خائن لعقيدته وخائن لمبادئه وخائن لولاة الأمور وخائن بلاده.

إن الذي لا يعرف الطريق إلى الله عز وجل تحت مظلة لا إله إلا الله سوف يبقى متخلقاً وسوف يبقى فاشلاً في الحياة الدنيا والآخرة، لأن الله عز وجل كتب على نفسه عهداً أن من حفظه حفظه، ومن ضيّعه ضيّعه، ولذلك كان ﷺ يقول:

«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعن فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفت الأقلام وجفت الصحف»<sup>(١)</sup>.

أيها الإخوة الأبرار، يوم أتى ﷺ يعرض لا إله إلا الله عرضها على ثلاثة نماذج.

### أولاً: عرض الآيات الكونية للناس.

فالله عز وجل يخاطبك تحت مظلة لا إله إلا الله بالآيات الكونية ويقول سبحانه وتعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَنْسَحَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّا مَا خَلَقَ هَذَا بَطَّلَ سُبْحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>، «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَيَّلِ كَيْفَ خُلِقَ

(١) رواه الترمذى بإسناد صحيح.

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٩ وَإِلَى الْجَبَلِ كَيْفَ نُصِبَتْ ٢٠ وَإِلَى الْأَرْضِ  
كَيْفَ سُطِحَتْ ٢١ .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد فيما عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد  
سئل الإمام أحمد عن دليل قدرة الواحد الباريء.

فقال: هذه البيضة بيضة الدجاجة، أما سطحها ففضة بيضاء، وأما داخلها فذهب الإبريز.. تفقص فيخرج منها حيوان سميع بصير، إلا تدل على السميع البصير!

والشافعي يسأل: ما هو دليل القدرة؟

فيقول: هذه الورقة تأكلها الغزالة فتخرج مسكاً.. وتأكلها النحلة فتخرج عسلاً.. وتأكلها دودة القرز فتخرج حريراً.. أفلًا تدل على السميع البصير؟

وقيل للإمام مالك: ما دليل القدرة؟ فدمعت عيناه وقال: اختلاف الأصوات، وتعدد اللهجات، وتبالغ الكائنات يدل على فاطر الأرض والسموات.

من يا طبيب بطبّه أرداك  
عجزت فنون الطب من عافاك  
من الذي بالشهد قد حلاك  
فاسأله من ذا بالسموم حشاك  
أو تحيا وهذا السم يملا فاك  
حمدًا وليس لواحد إلاك  
قل للطبيب تخطفته يد الرّدّي  
قل للمريض نجا وعوفي بعدما  
والنحل قل للنحل يا طير البوادي  
وإذا ترى الشعban ينفتح سمّه  
واسأله كيف تعيش يا ثعبان  
فالحمد لله الجليل لذاته

ثانياً: من طرق عرض (لا إله إلا الله) أنه عرضها بالعمل:

فلا إله إلا الله يوم تتخلى عن العمل بها تصبح كلمة جوفاء لا تنفع ولا تفيد ولا تنجي صاحبها.

فالرسول ﷺ يوم يعرض لا إله إلا الله عرضها بالعمل.. يقول: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة ويتؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»<sup>(١)</sup>.

لا إله إلا الله بلا صلاة وبلا زكاة ولا صيام، وبلا ولاء الله ولأوليائه وبغض لأعدائه لا تنفعك أبداً.

ثالثاً: عرضها ﷺ بأن تتوقف عن الذنوب وأن تتوسل إلى الله علام الغيوب.

فالذى يقول لا إله إلا الله يراجع حسابه مع الله، والذى يشهد أن لا إله إلا الله ويعتقد أن لا إله إلا الله يفتح لنفسه باب التوبة ليدخل جنة الله ﴿قُلْ يَعْبُدُونَ الَّذِينَ آسَرَوْا عَلَيْهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣)، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَمَنْ يَعْلَمُ﴾ (١٣٥).

إن الملوك إذا شابت عبيدهم في رقّهم عتقوهـم عتق أبرارـ وأنـت يا خالقـي أولـى بما كرمـا قد شـبت في الرـق فأـعتقـني من النـارـ إذا انـغمـست في الخطـيـة إلى مشـاش رـأسـك فـعدـ إلى الوـاحـدـ الـبارـي فإـنه التـوابـ.

وإذا أظلمـ قـلـبكـ منـ الذـنـبـ وـالـمعـصـيـةـ فـعدـ إلىـ الـبـارـيـ فإـنهـ هوـ التـوابـ.

---

(١) متفق عليه.

وإذا كثرت عليك الفتن والمحن والزلزال والابتلاءات فعد إلى الباريء فإنه الذي يكشفها سبحانه وتعالى.

باب التوبة من أبواب لا إله إلا الله وتحت مظلة لا إله إلا الله.

ولذلك كان ﷺ يفتح باب التوبة للناس ويخبرهم أن من مقتضيات لا إله إلا الله التوبة، بل يذكر ابن تيمية شيخ الإسلام أن أرفع منزلة عند أهل السنة والجماعة هي منزلة التوبة.

ولذلك يقول الله للنبي ﷺ قبل سكرات الموت: «إذا جاءَ  
نَصْرٌ مِّنْ رَبِّكَ وَلَا فَتَحٌ  
وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا  
فَسَيِّدُ الْمُحَمَّدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّمَا كَانَ تَوَابًا»  
﴿٢﴾.

فلا تظن أنك قدّمت شيئاً، لأن الفضل لله والمنة لله والعطاء والخير من الله، لكن استغفره وتب إليه.

يا أيها الأخ الكريم إذا زلت بالخطأ فعد إلى الواحد الأحد وتبرأ من خطئك وتب إلى الله سبحانه وتعالى.

صح عنه ﷺ أنه قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وي sist ط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»<sup>(١)</sup>.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ول جاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»<sup>(٢)</sup>.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»، أو كما قال ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «كلكم خطاء وخير الخطائين

(١) (٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

التوأيون»<sup>(١)</sup>، وصح عنه ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لو كنتم كما تكونون عندي لصافحتم الملائكة، ولكن ساعة وساعة، ساعة وساعة، ساعة وساعة»<sup>(٢)</sup>.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «يقول الله تبارك وتعالى: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محراً فلا تظالموا، يا عبادي إنكم تذنبون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم»<sup>(٣)</sup>.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «يقول الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتي غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت خططيتك وذنبيك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بثراب الأرض خطايا ثم جشنتي لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بثرابها مغفرة»<sup>(٤)</sup>.

فيما عباد الله.. الله الله في التوبة والاستغفار، فإنها من مظلة لا إله إلا الله.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.



---

(١) رواه الترمذى (٢٤٩٩).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذى (٣٥٤٠) وحسنه.

## مقدمة التوحيد

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

لقد اخترت في هذه الأوراق أن أشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، للشيخ المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله، وذلك لأمور:

أولاً: لأن هذا الكتاب سهل و قريب وميسّر.

الأمر الثاني: أنه عاش قريباً من بعض الأمور والأحداث التي نعيشها الآن، لأن هناك بعض الشركيات وبعض العيّش في المعتقد كان في عصره ولم يزل في عصرنا بقية منه.

الأمر الثالث: لأنه لم يدخل التعمق الذي ذم.. كبعض كتب العقائد.

فهو رحمة الله نهج منهج السلف في كتابه بإيراد الآيات والأحاديث.

### ● الشرح:

قال رحمة الله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم)، هذا الكتاب مختصر ووجيز بدأ فيه بالبسملة.

قال شارحه: في بعض النسخ بسمة.. وفي بعضها ذكر بعد  
البسمة حمدأ.

و(بسم الله الرحمن الرحيم) بدأ بها ﷺ في رسائله المكتوبة وبدأ  
خطبه بالحمدلة.

ولذلك كان من السنة الثابتة عنه ﷺ أنه إذا خطب الناس بدأ  
بحمد الله تبارك وتعالى، ولم يسمُّ في أول كلامه.

وإذا كتب ﷺ في الغالب بدأ ببسم الله ولم يذكر الحمدلة، كما  
فعل في رسالته مع هرقل عظيم الروم التي رواها البخاري عن ابن  
عباس رضي الله عنهمـا.

إذن فالمؤلف قال: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله  
وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم)، وفي بعض النسخ لم  
يذكر الحمدلة وإنما قال (بسم الله) ودخل في الموضوع.

(بسم الله الرحمن الرحيم) ورد عند ابن حبان في صحيحه من  
طرق متعددة بعضها يعنى بعضاً، أن الرسول ﷺ قال: «كل أمر لا يبدأ  
فيه ببسم الله فهو أقطع»، وعند أبي داود وابن ماجه: «كل أمر لا يبدأ  
فيه بالحمد لله»، وفي لفظ: «بالحمد فهو أقطع»، وعند أحمد: « فهو  
أبتر»، وعند الدارقطني: «كل أمر لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع».

هذه كلها روایات بعضها يشهد لبعض فتصبح الحديث حسناً،  
وبعض أهل العلم يصحيحه<sup>(١)</sup>.

إذن.. فلا بد من ذكر الله سواء بالبسمة أو بالحمدلة عند  
الابتداء.

(بسم الله) الباء متعلقة بمحدوف تقديره: أبتدأء.

---

(١) وبعضهم يضعه كالألباني في الإرواء (٢).

قال ابن القيم: وهو متاخر.. يعني المقدر متاخر (بسم الله أبتدئ) ولم يقل (أبتدئ ببسم الله) للاختصاص والتعظيم، أي أن البداية تقتضي الاختصاص بالله عز وجل والتعظيم له تبارك وتعالى.

(الله) هو أعظم اسم الله عز وجل، حتى قال ابن القيم: فللله كم لهذا الاسم من معان ودلائل، به يستجير الملتهوف، وله يعود المظلوم، وبه يشتكى المهزوم، وبه يتصر المهزوم، وبه يستجير الذي أصابه من الدنيا مصائب.. إنه اسم من دعا به كشف الله كربه وأزال همه وغمّه.. إنه أعظم اسم للرب سبحانه وتعالى فيه من المحماد والمكارم والثناء العظيم ما الله به عليم.

(فالله) قيل الذي تأله القلوب.

وقيل: الذي تتحير فيه القلوب.. أي أنه من الوَلَه.

وقيل: تسكن.

والمعنى الأول والثالث متقاريان.

إذن (الله) أشهر اسم له سبحانه وتعالى «**هَلْ تَعْثِرُ لَهُ سَمِيًّا**»، ولذلك فالدجاجلة والكذابون من الذين أدعوا النبوة لم يتسموا بالله.

(الرحمن الرحيم) نقل عن بعض أئمة السلف كما نقل ذلك ابن القيم وغيره: أن الرحمن عام، والرحيم خاص بالمؤمنين، فالرحمن للكائنات والرحيم للمؤمنين والمؤمنات.

هذا معنى بسم الله الرحمن الرحيم.. وقد ذكر ﷺ البسمة في عدة مواضع:

١ - عند الوضوء، ففي الحديث الذي رواه عبدالرزاق وابن أبي شيبة وغيرهما وسنده صحيح قال: قال رسول الله ﷺ: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»، هذا حديث صحيح صححه بعض أهل العلم

حتى من المتأخرین كالأسناد الألبانی<sup>(۱)</sup> وغيره.

٢ - وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ كما عند أبي داود إذا دخل الخلاء قال:  
«بسم الله».

٣ - وصح أنه إذا دخل المسجد قال: «بسم الله»<sup>(۲)</sup>.

٤ - وكان يبتدىء عَلَيْهِ السَّلَامُ صلاته بـ«بسم الله».

٥ - وكان إذا ذبح قال: «بسم الله» وكان يقول: «اذبحوا  
بـ«بسم الله»<sup>(۳)</sup>. كما في حديث أنس وقصة البراء عن خاله أبي بردة في  
الأضحية.

٦ - وفي الرسائل كان يبدأ عَلَيْهِ السَّلَامُ بـ«بسم الله».

قال: (الحمد لله) والحمد أفضل من الشكر، ولذلك حمد الله نفسه  
ولم يذكر الشكر في مواطن الابتداء فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَتَبَلُّوْنَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال:  
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكَاتِ مُسَلَّمًا أُنَزَّلَتِ الْجِنَّةُ مَشَّنَ وَثَلَثَ وَرَبِيعَ  
بِرَبِّهِ فِي الْخَلَقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فعلم أن الحمد ابتدأ الله به لأنه بالقلب واللسان والجوارح.  
(الحمد لله).. صَحَّ عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان يحمد الله إذا قام من على  
طعام، وكان إذا أتاه أمر يسره قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم  
الصالحات»، وكان يقول إذا أتاه أمر يسوؤه كما في الحديث: «الحمد  
للله الذي لا يحمد على مكروره سواه»<sup>(٤)</sup>.

(۱) صحيح الترمذی (٢٤).

(۲) رواه الترمذی.

(۳) رواه البيهقي (٣٠٣/٩).

(۴) صحيح ابن ماجه (٣٠٦٦).

فالحمد في السراء والضراء.

قال المؤلف رحمة الله: (وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم)، صلى الله: قيل رحم، وكأنه الصحيح.. وقيل: أثاب. والرحمة تقتضي الثواب.

وقيل: ذكر الله رسوله عند الملائكة فهو يذكر سبحانه وتعالى من ذكره عند الملائكة هذه معان ثلاثة: أثاب.. ورحم.. وذكر.

والملائكة إذا صلت على ابن آدم فهي تدعوه له، ومصداق ذلك الحديث الصحيح: «إذا صلَّى أحدكم فمكث في مصلاه الذي صلَّى فيه لم تزل الملائكة تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه»<sup>(١)</sup>.

إذن.. فالصلوة من الله الثواب والرحمة والذكر عند الملائكة، والصلوة من الملائكة الدعاء للمؤمنين بالرحمة والغفران.

(على الله): من هم آله؟ قيل: أهل بيته، وصح عن الإمام أحمد أنه يقول: هم من اتبع الرسول ﷺ.

يقول رحمة الله: (كتاب التوحيد) وعنوان الكتاب: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.. لحديث معاذ لما كان رديف النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد؟». قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً». فمن هذا أخذ المؤلف قوله الذي هو حق الله على العبيد.

قال: (وقوله سبحانه وتعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا يَعْبُدُونَ»)، استدل بهذه الآية على أن التوحيد والعبادة هي

---

(١) رواه مسلم.

الحكمة من خلق الله الناس جمِيعاً، فما خلق الله الناس ليطعموه ولا ليسوقوه ولا ليكسسوه من عري ولا لينصروه ولا ليحموه، إنما خلقهم للعبادة، فالذي لا يعبد الله عَظِيل مفهوم الخلق وهو عبادة الله عز وجل.

وال العبادة يقول ابن تيمية هي: جميع الأقوال والأحوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

والعبادة عند ابن كثير هي: الإتيان بالأمر وترك المحظور.. فإذا أتيت ما أمرك الله وتركت ما نهاك الله عنه فقد أتيت بالعبادة.

والعبادة في اللغة: من التعبد أو من العبودية.. يقول: عبدت الطريق أي ذلّلته ومهدّته.. فكان العباد ذلّلوا أنفسهم لربهم سبحانه وتعالى.

والله ذكر رسوله في أشرف المواطن بالعبودية لأنها أشرف منزلة، فإذا أردت أن يشرّفك الله وأن يعظمك الله وأن يعزّك الله فاعبده سبحانه وتعالى.  
يقول ابن المسيب: الناس تحت كنف الله، فمن عصى الله أخرجه من تحت كنفه.

ويقول: ما أعزَ أحد نفسه بمثل الطاعة، وما أهانها بمثل المعصية، فإذا أردت عزة نفسك ومجدها وفخرها وبالطاعة، وإذا أردت والعياذ بالله تدسيسها وقلتها وذلتها بالمعصية.

ولذلك يقول سبحانه وتعالى في تشريف الرسول ﷺ: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ بَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا»، وقال: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ نَذِيرًا»، وقال: «وَأَنَّمَا لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا».

والعبادة بارك الله فيكم في الإسلام على ثلاثة أصناف: عبادة القلب، وعباده اللسان، وعباده الجوارح.

فعبادة القلب: أن تعتقد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتعتقد ما جاء به الرسول ﷺ حقاً يقيناً كالشمس في رابعة النهار، فهذه عبودية القلب.. وتخرج ما فيه من أمراض كمرض الكِبر ومرض العُجب ومرض التيه، نعوذ بالله من تلك الأمراض.

وعبودية اللسان أن تستخدمنها في مرضاعة الواحد الديان، بالذكر وبالتهليل وبالتكبير وبتلاؤ القرآن وبالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر.

وعبادة الجوارح أن تسخرها في مرضاعة الله، فقد خلق الله عينك لتنظر وتفكر فلا تجعلها تنظر في الحرام.. وخلق الله أذنك لتسمع ما يرضي الله فلا تسمع ما يسخطه سبحانه وتعالى.

والعبادة أقسام: إسلام، وإيمان، وإنسان.

فالإسلام: أعمال ظاهرة.

والإيمان: في القلب.

والإحسان: مرتبة عالية نسأل الله أن يوصلنا وإياكم إليها.. وهي أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

والعباد ثلاثة أقسام: كما قال سبحانه وتعالى: «ثُمَّ أَرْزَقْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُونَ بِالْخَيْرَاتِ»، وكلهم يدخلون الجنة نسأل الله من فضله.

فالظالم لنفسه الذي يأتي الكبائر ويترك بعض الواجبات، فهو مسلم موحد مؤمن لكن ظالم لنفسه.

وهذا عند الخوارج خالد مخلد في النار، وكذبوا على الله، بل رحمة الله تسع كل مذنب.

والمقتصد: هو الذي يأتي بالفرائض وحدها ولا يتناقض، ويترك الكبائر ولكنه قد يأتي بالمكرورات.

وأما السابق بالخيرات: فهو الذي يأتي بالفرائض والنوافل والمستحبات، ويترك الكبائر والمحرمات والمكرهات، نسأل الله من فضله، وهذا مثل أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي.

فلذلك أنزل نفسك إحدى المنازل الثلاث: إما ظالم نعوذ بالله من ذلك، وإما مقتصد نسأل الله رحمته وفضله، وإما سابق بالخيرات وأين الشري من الشريا.

ولذلك فأقصر الطرق إلى الله طريق النوافل بعد الفرائض، ولذلك يقول أحد الصحابة: يا رسول الله أريد مرافعتك في الجنة.

قال: «أعني على نفسك بكثرة السجود»، رواه مسلم.

فهذا هو الطريق.. فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة.

فأوصيكم ونفسي بكثرة النوافل كي لا يندم أحدكم في القبر ويقول: يا ليتني صلّيت.. يا ليتني زكيت.. يا ليتني صمت.. يا ليتني سبّحت.

وهذا الإمام العظيم محمد بن عبد الوهاب الذي نَقَرَبَ إلى الله بحبه أتى والناس في مثل الحالة التي نعيشها في بعض القرى والمدن والبوادي.. شركيات وخرافات وخزعبلات، وقسم بغير الله، وإشراك في الألفاظ، وإشراك في المعتقد، وذهب إلى الكهنة وتعلق بالسحره.. فلم يكن هناك حلًّا لذلك إلا بالتوحيد.

فيجب إذن أن نبدأ بالتوحيد ونقرر التوحيد في أذهان الناس ونقول للجماعات من هنا التصحيح.

يقول سبحانه وتعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِيْكَ»، قال البخاري: فبدأ بالقول قبل العمل.

فيوم أتى محمد بن عبد الوهاب رحمة الله، كان الناس بحاجة إلى أن يحدثهم في الاقتصاد وفي الحجاب وفي المعا�ي وفي كثير من المخالفات، لكنه بدأ دعوته بالتوحيد ليبني الأساس قبل غيره كما صنع رسول الله.

فالرسل كلهم عليهم الصلاة والسلام بدأوا بالتوحيد، وكل رسول يقول لقومه: «يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ».

ولذلك يقول ابن تيمية وهو يتحدث عن التوحيد: هو رسالة الله التي بعث بها محمداً والرسل قبله.

فكيف تصح صلاة من يأتي الكهنة، ويأتي السحراء، ويأتي المشعوذين؟

والرسول ﷺ يقول في الحديث الصحيح: «من أتى كاهناً فصداقه فقد كفر بما أنزل على محمد»<sup>(١)</sup>، فهو كافر مشرك ولو كان يصلّي ويصوم ويعتمر ويحجّ.

والإسلام يا أحباب سهل ويسقط.. والعلم سهل ويسقط، لكن نحن عقدناه لما أتينا بالمحاضرات الفضفاضة الرئانة، وتركنا الناس يموتون في البوادي ولم يعرفوا توحيد ربهم.

فيكفي الإنسان أن يأتي بكتاب التوحيد للشيخ محمد ويدخل به البوادي ليعلم البدو، ويعلم القرى، ويعلم الذين ما عرفوا حق التوحيد.

يأتي البدوي من الصحراء ويقف ولا يجلس، ويقول: يا رسول الله من رفع السماء؟

---

(١) رواه الحاكم (٨/١)، وأحمد (٤٢٩/٢)، وصحيحه صاحب كتاب النهج السديد (١٤٩).

فيقول ﷺ: «الله».

قال: من بسط الأرض؟

فيقول ﷺ: «الله».

قال: من نصب الجبال؟

فيقول ﷺ: «الله».

قال: فأسألك بمن رفع السماء، وبسط الأرض، ونصب الجبال  
آللله أرسلك إلينا رسولاً؟

قال ﷺ: «اللهمَّ نعم».

قال: أأسألك بمن رفع السماء، وبسط الأرض، ونصب الجبال:  
آللله أمرك أن تأمرنا بخمس صلوات في اليوم والليلة؟

قال ﷺ: «اللهمَّ نعم». . . حتى انتهى، ثم قال: أشهد أن لا إله  
إلا الله وأشهد أنك رسول الله، والله لا أزيد على ما جئت به ولا  
أنقص، أنا ضمام بن ثعلبة أخوبني سعد بن بكر، فتولى.

فقال ﷺ: «من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى  
هذا»<sup>(١)</sup>.

فما قال له ﷺ أبق معنا أربع سنوات حتى تحضر الماجستير أو  
الدكتوراه! لا والله لأن هذه الألقاب إن لم تنفع صاحبها عند الله فلا  
ترزده إلا مقتاً وخساراً ويعداً عن الله.

فالعلم ما رزقك الخشية.

ولذلك كان حقاً على كل مسلم يريد أن يقود الناس أو يعلم

---

(١) متفق عليه.

الناس أن يعلمهم التوحيد، لأن الشركيات تقع في الناس كثيراً في ألفاظهم وفي معتقداتهم وفي معاملاتهم وفي زياراتهم واتصالاتهم، ولكن يجب أن يكون توحيداً سهلاً بسيطاً كما علّمه الرسول ﷺ الناس.

في سنن أبي داود أن أعرابياً قال: يا رسول الله إنا قحطنا وأجدبت ديارنا أو كما قال، فاستسق الله لنا، فإننا نستشفع بك إلى الله ونستشفع بالله إليك.

فغضب ﷺ وتغير لونه وأحمر وجهه وقال: «سبحان الله سبحان الله! سبحان الله! ويلك أجعلتني الله نداء، إن الله لا يستشفع به إلى أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك».

أي كيف يجعل العبد المخلوق الضعيف كالخالق القوي سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: «وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ٥١» وهذا هو المراد من الخليقة يوم خلقهم الله عز وجل. وفي صحيح مسلم عن نعيم - أحد الصحابة - يقول ﷺ: «يقول الله عز وجل: إني خلقتخلق حنفاء فاجتالتهم الشياطين»، وفي صحيح مسلم قال: «نظر الله عز وجل إلى الناس فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، ثم بعث الله محمداً ﷺ بعقيدة التوحيد، فلما جاء ﷺ كان الناس مقرون كما قال ابن تيمية بتوحيد الريوبوبي حتى فرعون يوم أدعى الريوبوبي بقوله: «أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْتَرُ نَجَرِي مِنْ تَحْتِي؟» قال ابن تيمية: ما أنكر الصانع لأنّه في قلبه يعتقد أن الله هو الذي خلق السموات والأرض، ولذلك يقول له موسى في القرآن: «لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا أَنْزَلَ هَذِلَّاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَكْفِرُتُ مُكْبِرًا» أي: والله إنك تدرى أن الله خلق السموات والأرض، والله إنك تدرى أن الله خالق، والله إنك تدرى أن الله

رازق.. لكن كابرت، فما أنكر الصانع لكن كان الغبش في توحيد الألوهية، ولذلك من الخطأ أن يأتي الإنسان فيجعل توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية.

فإذا أقر الناس بأن الله هو الخالق الرازق قال: أحستم أحسن الله إليكم بيض الله وجوهكم!  
لماذا؟

قال: لقد أقررتם بالتوحيد!

وهم ما أقرّوا بالتوحيد لأن أبا جهل يعرف أن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وأنه هو الذي أنبت الأشجار، لكن ما نفعه ذلك لأنه أشرك في الألوهية وفي توجيه العبادة، فجعل إليها آخر مع الله نداء، قالوا: «مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِقَرِيبُونَا إِلَى اللَّهِ رُلْفَنَ»، ولذلك لما أتى حصين بن عبيد الخزاعي إلى الرسول ﷺ قال له ﷺ: «كم تعبد يا حصين؟».

قال: أعبد سبعة.

قال: «أين هم؟».

قال: ستة في الأرض وواحد في السماء.

قال: «ما الذي لرغبك ولرهبك؟».

قال: الذي في السماء.

قال: «فاترك التي في الأرض واعبد الذي في السماء».

ثم قال ﷺ بعد أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، قال له ﷺ: «يا حصين قل: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي»<sup>(١)</sup>.

---

(١) رواه الترمذى (٣٤٨٣).

فلذلك فتوحيد الألوهية شيء وتوحيد الربوبية شيء، فلا يكفي أن يحقق العبد توحيد الربوبية حتى يُعد مؤمناً مخلصاً، بل لا بد من توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله وحده.

وهذا هو معنى (لا إله إلا الله)، أي لا معبد بحق إلا الله. فنفي كل إله وأثبت الألوهية لله عز وجل، ولذلك دعا إليها عليها السلام وعرف أهل قريش أنهم يدعون إلى توحيد الألوهية.. فرفضوا، إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا فِي رَأْيِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) حتى يقول أحدهم لأبي بكر يوم الحديبية في الصلح: ماذا نفعل بالهتنا؟

قال: قال تعالى: **«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يَحْتَنِبُوا الظَّلْفُوتَ»**، وهذه هي رسالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما خلت أمة إلا بعث الله فيهم رسولاً وكان لسان مقاله حاله: **«يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ»**، وهذا الذي أتى به عليه السلام وكل مجدد يجدد في الإسلام فإنه يأتي بالتوحيد أولاً، كابن تيمية والإمام أحمد ومالك والشافعي وإسحق والأوزاعي..

هؤلاء كانوا يدعون إلى لا إله إلا الله أولاً ثم يأتون بعدها بالعلم، **«فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنِيَّكَ»**، ولذلك مكث عليه السلام يقرر هذا المبدأ الأصيل في مكة ثلاثة عشرة سنة، ولما أتت الشرائع كفاهما عشر سنوات.

**«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا»**، فيقول هذا الرسول: **«أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يَحْتَنِبُوا الظَّلْفُوتَ»** والطاغوت: قيل: الساحر، وقيل: الكاهن، وقيل: كل دجال، وقيل: الصنم، وقيل: الوثن.

ولكن ابن القيم تفَئِن رحمه الله، فأتى بحدٍ جامع مانع فقال: الطاغوت كل ما عُيَد من دون الله من متبع أو مطاع.

وصدق رحمه الله فقد يكون الشيخ الضال المفترى الذي نصب نفسه للدلجل طاغوتاً.. وقد يكون السلطان الذي حكم بغير شريعة الله

طاغوتاً.. وقد يكون بعض الدعاة المشركين المنحرفين طاغوتاً.. والمبتدع الضال طاغوتاً.. والصنم طاغوتاً.. والوثن طاغوتاً.. والكافر طاغوتاً.. والعراف طاغوتاً.. والساحر طاغوتاً..

فالطاغوت كل متبع ومطاع صدًّا عن منهج الله وعن سبيل الله، هذا هو الصحيح.

والطاغوت في اللغة: ما تجاوز الحد من الطغيان، وإنما سُمي طاغوتاً للتعظيم والتهويل.

﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الْطَّاغُوتُ﴾ أي: أنه لا بد من التخلية والتخلية.

التخلية: أي أن تتخلى عن كل معبد.

والتحلية: أن تعبد الله الذي لا إله إلا هو.

ولذلك نادى الله بالتوحيد في أكثر من آية فقال: ﴿وَلَقَدْ أُرْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَعْبُدَنَّ عَمَّكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الظَّاهِرِينَ ١٥﴾ بَلَّ اللَّهَ فَأَعْبُدُنَّ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ١٦﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمُتَكَبِّرُوْنَ وَأَوْلَوْا الْعِلْمِ قَاتِلًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَكِيرُ ١٧﴾، وقال سبحانه وتعالى في سورة الزخرف: ﴿وَتَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَهُ يُعْبُدُونَ ٤٥﴾.

والشرك يقع في الأمم كثيراً: فمنهم من يقع شركه في المقال، ومنهم من يقع في الحال، ومنهم من يقع في المعتقد، ومنهم من يقع في الأفعال.

فسشرك المعتقد: أن تعتقد أن مع الله إلهاً آخر، نعوذ بالله من ذلك، أو تجعل واسطة بينك وبينه كالرسل مثلاً، نعم هم واسطة في التبليغ.. فلا نجعلهم واسطة في الرحمة والمغفرة وغيرها.

**وشرك القول:** استخدام الألفاظ التي نهى عنها الشارع: (ما شاء الله وشاء فلان)، (ما شاء الله وشئت)، ولذلك ذمّها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ونهى عنها وحرّمها وجعلها من الشرك.

**وشرك الأفعال:** أن توجه شيئاً من أفعالك إلى غير الله سبحانه وتعالى، فتذبح لغيره، وتتنذر لغيره، وتتوجه بالدماء إلى غيره، وتخشى غيره، و تخاف غيره، وترهب غيره.

**وشرك الحال:** هو ما يفعله علة الصوفية بأن جعلوا أحوالهم من الغياب والفناء والشهود التي ما أنزل الله بها من سلطان أحوالاً للسائلين، ولذلك ذمّهم ابن تيمية في المجلد العاشر والحادي عشر.

### ● ميزة التوحيد في عصر الصحابة:

وميزة التوحيد في عصر الصحابة ثلاثة ميز: الأصالة، والعمق، والسهولة.

فالتوحيد الذي أتى به رسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ له ثلاثة خصائص:  
أولها: اليسر.

وثانيها: الأصالة.

وثالثها: العمق.

أما اليسر: فإنه لم يشقن الكلام لهم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ولذلك طالب أهل العلم أن يخالفوا المنطق وعلم الكلام وكثرة الكلام والتشكيك في العقيدة.  
ولذلك يقول ابن مسعود كما صح عنه في الصحابة: «هم أعمق الناس علمًا وأقلهم تكلفًا».

ولذلك ورد كما أورد صاحب جامع الأصول أن عمر كان يقول: «كونوا على دين العجائز»، يعني في المعتقد. ولذلك فقد ضرب وعاقب (صبيغ) لما أراد التكلف في الدين.

والامر الثاني: أنه أصيل، فإنك لن تجد كلمة من كلمات التوحيد إلا أصيلة عميقة.

والتوحيد له أثر في حياة الناس، وما أذننا وما أخطأنا وما ملئت السجون بالمذنبين إلا بتركهم التوحيد، لأن التوحيد ينبغي أن يكون له أثر في حياتنا. فإذا مر بك كلمة (الرحمن) تذكر رحمة الله، (شديد العقاب) فتتذكر عقاب الله، (القوى) تتذكر قوة الله، (الشهيد)، (الرقيب)، (الحسيب).

فهذه أصالة التوحيد وعمقه أنه يدخل في كل علم من علوم الإسلام، ولذلك فكل القرآن توحيد، ووجب على كل أستاذ يعلم الناس أي مادة أن يبدأ بالتوحيد وأن يرجعها إلى التوحيد، كالفقه والتفسير والعلوم وأصول الفقه وعلوم القرآن وكل فن.

قال رحمة الله: (قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ﴾ الآية).

(ألا تعبدوا إلا إيه) هو التوحيد، (وبالوالدين إحساناً)، وهذه تشمل جميع أنواع الإحسان الصغيرة والكبيرة.

بعض الناس تجده في أمور بسيطة يبرُّ بوالديه.. لكنه في الأمور الكبرى يهضم حقهما.

فالبر: قيل: أن تعامل والديك حتى يرضيا عنك.

﴿إِمَّا يَلْعَنَ عِنْدَكَ الْكَبِيرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كَلَاهُمَا فَلَا تَقْتُلْ لَهُمَا أُفِي﴾.

الأَفَ: كلمة تصاجر يقولها المتضجر إذا تصاجر وازدحمت عليه الهموم والغموم، قال: أَفِ، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

﴿فَلَا تَقْتُلْ لَهُمَا أُفِي﴾، فكيف بما هو فوق الأَفَ.

وفي الأثر أن ابن عمر رضي الله عنهم رأى رجلاً يطوف بأمه وهي على كفيفه وهو يزفر بها في شدة حرّ مكة.

قال ابن عمر: أوقيت حق أمي؟

قال: لا والذي نفس ابن عمر بيده ولو بزفرة من زفراتها وقت الطلق!

فسبحان الله! ما أعمق القلوب إذا صدقت عن منهج الله، وما أظلمها إذا تظلمت بحقوق الله سبحانه وتعالى وتنكرت لذلك؟

قال رحمة الله: (قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾).

هذه الكلمة الموجزة الملخصة المختصرة هي خلاصة دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فإذا قيل لك: ما هي خلاصة دعوة الأنبياء والرسل؟ فهي هذه الآية: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، فمن عبد الله وعبد معه غيره فقد أشرك، ومن لم يعبد الله ولكن عبد غيره فقد أحدث في دين الله.

رسالة الله عز وجل ملخصها ومضمونها وعنوانها ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، قالها نوح لقومه وهود وصالح وموسى وعيسى ومحمد والرسل عليهم الصلاة والسلام.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، فنصف الآية تحلية ونصفها الآخر تخلية.. ولا بد من التخلّي قبل التحلّي.

التخلّي: عن كل نِدٍ يعبد من دون الله عز وجل.

والتحلّي: بالتوحيد.

ثم قال سبحانه وتعالى: «**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَإِلَوَادِينَ إِخْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَذْلَدَكُمْ مِنْ إِلَمْقَى تَحْمَلُ نَزْفَكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ..**» الآيات.

هذه عشر وصايا في آخر سورة الأنعام تسمى الوصايا العشر.

قال ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: من أراد أن يقرأ وصية الرسول ﷺ التي ترك الناس عليها، فليقرأ العشر الآيات من أواخر سورة الأنعام: «**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**»، فهذه العشر الآيات وصايا، وكل وصية منها منهج للمسلم يقرأها ويتدبّرها.. أوردها الإمام محمد في كتابه لجلالتها.

**«قُلْ تَعَالَوْا**» أي هلموا وأقبلوا لتعلموا الشريعة التي أنزلها الله على رسوله ﷺ: «**تَعَالَوْا**» هنا معنوية وليس بحسنة، أي أقبلوا بقلوبكم وأرواحكم وأسماعكم، فإنه لا ينفع أن يقبل الإنسان بجسمه ولكن قلبه خارج المسجد.

**«وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، لأن أظلم الظلم في الدنيا الشرك بالله، وأفجر الفجور الشرك بالله، وأعظم جريمة في تاريخ الإنسان الشرك بالله.

قال ابن مسعود: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟

قال: «أن تجعل الله نِدًا وهو خلقك»<sup>(١)</sup>.

فالشرك بالله أعظم جريمة عرفت في تاريخ الإنسان، ولذلك قال تعالى: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**».

(١) متفق عليه.

﴿وَإِلَوَالَّذِينَ إِلَخْسَنَاهُمْ﴾ قال القرطبي: الإحسان للوالدين هو لين الكلام، وبساطة الوجه والسهولة، وطاعتهم في طاعة الله.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَئِكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾، الإملاق هو الفقر، وهذا قيد أغلبي، لأن ليس معنى الآية أن عدم الإملاق يجيز لك أن تقتلهم! لأن المشهور عند العرب أن الرجل منهم كان يقتل ولده خشية أن يأكل معه، فكأنهم لخوف الفقر يقتلون أولادهم.

لكن سواء كان إملاق أو غير إملاق فمحرم قتل الولد.

وأما بقية الآيات والوصايا فلها موضع آخر، ويراجع لذلك تفسير ابن كثير وغيره.

قال المؤلف رحمة الله تعالى: وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف، وفي لفظ: رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟»  
قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً».

قلت: يا رسول الله أفلأ أبشر الناس؟

قال: «لا تبشرهم فيتكلوا..» أخرجاه في الصحيحين.

قال المؤلف فيه مسائل:

الأولى: الحكمة من خلق الجن والإنس ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾، مما خلقنا الله سبحانه وتعالى للهو واللعب، ولا للطرب ولا للرقص.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد، لأن الخصومة فيه وهو أجل

أنواع العبادة، ومن لقي الله موحداً لم يشرك به شيئاً غفر الله له ما دون ذلك إذا أتى بالتوبة النصوح.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا أَنْتَ عَنِّي بُدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾.

الرابعة: الحكمة من إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: جواز الإرداد على الدابة ما لم تضر الدابة.

السابعة: تواضعه ﷺ لأنه ركب الحمار وهو سيد الخلق وأشرف من عرفت البشرية ورأت الإنسانية، بل أشرف من مشى على الأرض وهو رسول الهدى ﷺ.

الثامنة: أن دين الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة.

النinth: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالظَّلَوْتِ وَيُؤْمِنْ بِإِلَهٍ فَقَدْ أَسْتَمْسَكَ بِالْعَرْوَةِ الْوُتْقَ﴾.



## فتاوي التوحيد

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء  
والمرسلين، نبينا محمد وآلـه وصحبه أجمعين.

أما بعد:

هذه بعض الفتاوى المهمة للجنة الدائمة لهيئة كبار العلماء حفظهم الله، أحببت أن أعرضها للمسلمين لما لها من أهمية حيث أنها تمس واقعاً يعيشه المسلم في كثير من البلاد الإسلامية، حيث انتشار البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وهدفي من اختيار هذه الفتاوى المتفرقة هو تبصير المسلمين بدينهم الحق وعقيدتهم السلفية الواضحة التي استطاع أهل البدع صرفهم عنها في خلال سنوات مضت، فلعلهم أن يراجعوا دينهم ويلتزموا بمنهج أهل السنة والجماعة ويظهروا مجتمعاتهم من تلكم البدع، ليحل محلها التوحيد النقى الصافى الذى أثر عن الرسول ﷺ وعن صحابته الكرام<sup>(١)</sup>.

س - ما هي أنواع التوحيد مع تعريف كل منها؟

ج: أنواع التوحيد ثلاثة:

(١) انظر: (فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبدالرازق الدويش. نشر دار العاصمة بالرياض.

- توحيد الربوبية.
- وتوحيد الألوهية.
- وتوحيد الأسماء والصفات.

**فتوحيد الربوبية:** هو إفراد الله تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، وسائل أنواع التصريف والتدبير لملائكة السموات والأرض، وإفراده تعالى بالحكم والتشريع، وبإرسال الرسل وإنزال الكتب، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

**وتوحيد الألوهية:** هو إفراد الله تعالى بالعبادة، فلا يعبد غيره ولا يدعى سواه، ولا يستغاث ولا يستعان إلا به، ولا ينذر ولا يذبح ولا يُحرٍ إلا له.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاقِي وَشَكِي وَحَمَائِي وَمَمَاقِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَدِلَّكَ أَيْرَثُ وَأَنَا أَوْلَى الشَّالِمِينَ﴾، وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾.

**وتوحيد الأسماء والصفات:** هو وصف الله تعالى وتسميته بما وصف وسمى به نفسه، وبما وصفه وسماه به رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة، وإثبات ذلك له من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تأويل ولا تعطيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآلِه وصحبه وسلم.

س - تعلمنا في المدارس أن مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته هو الإيمان بها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وأن لا نصرف النصوص الواردة فيها عن ظواهرها، ولكننا بعد ذلك التقينا بأناس زعموا لنا أن هناك مدرستين في مذهب أهل السنة والجماعة، المدرسة الأولى: مدرسة ابن تيمية وتلاميذه (رحمهم الله)، والمدرسة الثانية: مدرسة الأشاعرة،

والذي تعلمناه هو ما ذكره ابن تيمية وتلاميذه، أما بقية أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم فإنهم يرون أن لا مانع من تأويل صفات الله وأسمائه إذا لم يتعارض هذا التأويل مع نص شرعي، ويحتاجون لذلك بما قاله ابن الجوزي رحمة الله وغايته في هذا الباب، بل إن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل قد أولاً في بعض الصفات مثل قوله ﷺ: «قلوب بنى آدم بين أصابعين من أصابع الرحمن»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض»<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: «وَهُوَ مَعْلُوكٌ أَيْنَ مَا كُشِّفَ» وغير ذلك.

والسؤال الآن: هل تقسيم أهل السنة والجماعة إلى طائفتين بهذا الشكل صحيح؟ وما هو رأيكم فيما ذكروه من جواز التأويل إذا لم يتعارض مع نص شرعي، وما هو موقفنا من العلماء الذين أتوا في الصفات مثل ابن حجر والنwoي وابن الجوزي وغيرهم، هل نعتبرهم من أئمة أهل السنة والجماعة أم ماذا؟

وهل نقول: إنهم أخطأوا في تأويلاً لهم أم كانوا ضاللين في ذلك؟ ومن المعروف أن الأشاعرة يؤولون جميع الصفات ما عدا صفات المعاني السبع، فإذا وجد أحد العلماء يقول صفتين أو ثلاث هل يعتبر أشعرياً؟

ج: الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على رسوله وآله وصحبه .. وبعد:

**أولاً: دعوى أن الإمام أحمد أولاً بعض نصوص الصفات**

(١) رواه مسلم.

(٢) انظر السلسلة الضعيفة للألباني (٢٢٣)، وقد بين أنه يصح موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما.

كـحدـيـث: «ـقـلـوـبـ الـعـبـادـ بـيـنـ أـصـبـعـيـنـ مـنـ أـصـابـعـ الرـحـمـنـ . . .»، وـحدـيـث: «ـالـحـجـرـ الـأـسـوـدـ يـمـيـنـ اللـهـ فـيـ الـأـرـضـ . . .» إـلـخـ، دـعـوى غـيرـ صـحـيـحةـ، قـالـ الإـمـامـ أـحـمـدـ بـنـ تـيمـيـةـ: (ـوـأـمـاـ مـاـ حـكـاهـ أـبـوـ حـامـدـ الـغـزـالـيـ عـنـ بـعـضـ الـحـنـبـلـيـةـ أـنـ أـحـمـدـ لـمـ يـتـأـولـ إـلـاـ ثـلـاثـةـ أـشـيـاءـ: «ـالـحـجـرـ الـأـسـوـدـ يـمـيـنـ اللـهـ فـيـ الـأـرـضـ»، وـ«ـقـلـوـبـ الـعـبـادـ بـيـنـ أـصـبـعـيـنـ مـنـ أـصـابـعـ الرـحـمـنـ»، وـ«ـإـنـيـ أـجـدـ نـفـسـ الرـحـمـنـ مـنـ قـبـلـ الـيـمـنـ»، فـهـذـهـ الـحـكـاـيـةـ كـذـبـ عـلـىـ أـحـمـدـ لـمـ يـنـقـلـهـ أـحـدـ عـنـهـ يـإـسـنـادـ وـلـاـ يـعـرـفـ أـحـدـ مـنـ أـصـحـاحـهـ نـقـلـ ذـلـكـ عـنـهـ، وـهـذـاـ الـحـنـبـلـيـ الـذـيـ ذـكـرـ عـنـهـ أـبـوـ حـامـدـ مـجـهـولـ لـاـ يـعـرـفـ لـاـ عـلـمـهـ بـمـاـ قـالـ وـلـاـ صـدـقـهـ فـيـمـاـ قـالـ) <sup>(١)</sup>.

وـبـيـانـ ذـلـكـ أـنـ لـلـتـأـوـيـلـ ثـلـاثـةـ معـانـ:

الـأـوـلـ: مـآلـ الشـيـءـ وـحـقـيقـتـهـ التـيـ يـؤـولـ إـلـيـهـ، كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ عـنـ يـوـسـفـ عـلـيـهـ السـلـامـ: «ـهـذـاـ تـأـوـيـلـ رـُبـيـتـيـ مـنـ قـبـلـ»، أـيـ حـقـيقـتـهـاـ الـتـيـ آكـلـتـ إـلـيـهـ وـقـوـعاـ، وـلـيـسـ هـذـاـ مـقـصـودـاـ فـيـ النـصـوصـ الـمـذـكـورـةـ فـيـ السـؤـالـ.

الـثـانـيـ: التـأـوـيـلـ بـمـعـنـىـ صـرـفـ الـكـلـامـ عـنـ مـعـنـاهـ الـظـاهـرـ الـمـبـادرـ مـنـهـ إـلـىـ مـعـنـىـ خـفـيـ بـعـدـ لـقـرـيـنـةـ، وـهـذـاـ مـعـنـىـ هوـ الـمـصـطـلـحـ عـلـيـهـ عـنـدـ عـلـمـاءـ الـكـلـامـ وـأـصـوـلـ الـفـقـهـ، وـلـيـسـ مـتـحـقـقاـ فـيـ النـصـوصـ الـمـذـكـورـةـ فـيـ السـؤـالـ، فـإـنـ ظـاهـرـهـاـ مـرـادـ لـمـ تـصـرـفـ عـنـهـ لـأـنـهـ حـقـ كـمـاـ سـيـأـتـيـ شـرـحـهـ فـيـ الـمـعـنـىـ الـأـخـيـرـ لـلـتـأـوـيـلـ.

الـثـالـثـ: التـأـوـيـلـ بـمـعـنـىـ التـفـسـيرـ، وـهـوـ شـرـحـ مـعـنـىـ الـكـلـامـ بـمـاـ يـدـلـ عـلـيـهـ ظـاهـرـهـ وـيـتـبـادـرـ إـلـىـ ذـهـنـ سـامـعـهـ الـخـبـيرـ بـلـغـةـ الـعـربـ وـهـوـ الـمـقـصـودـ هـنـاـ، فـإـنـ جـمـلـةـ: (ـالـحـجـرـ الـأـسـوـدـ يـمـيـنـ اللـهـ فـيـ الـأـرـضـ) لـيـسـ ظـاهـرـهـاـ أـنـ الـحـجـرـ صـفـةـ اللـهـ وـأـنـهـ يـمـيـنـهـ حـتـىـ يـصـرـفـ عـنـهـ، بـلـ مـعـنـاهـ الـظـاهـرـ مـنـهـ أـنـهـ

---

(١) الفتـاوـيـ (٣٩٨/٥).

كيمينه بدليل بقية الأثر وهو جملة: «فمن صافحه فكأنما صافح الله، ومن قبله فكأنما قبل يمين الله».

فمن ضم أول الأثر إلى آخره تبين له أن ظاهره مراد لم يصرف عنه، وهذا ما يقوله أئمة السلف كالإمام أحمد وغيره منهم، وهو تأويل بمعنى التفسير لا بمعنى صرف الكلام عن ظاهره كما زعمه المتأخرون، علمًا بأن ما ذكر لم يصح حديثاً عن النبي ﷺ، بل هو أثر عن ابن عباس رضي الله عنهم.

وكذا القول في حديث: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»، فإن ظاهره لا يدل على مماسة ولا مداخلة، وإنما يدل ظاهره على إثبات أصابع للرحمن حقيقة، وقلوب للعباد حقيقة، ويدل إسناد أحد ركني الجملة إلى الآخر على كمال قدرة الرحمن وكمال تصريفه لعباده كما يقال: فلان وقف بين يدي الملك أو في قبضة يد الملك. فإن ذلك لا يتضمن مماسة ولا مداخلة، وإنما يدل ظاهره على وجود شخص وملك له يدان، ويدل ما في الكلام من إسناد على حضور شخص عند الملك وعلى تمكّن الملك من تصريفه دون مماسة أو مداخلة، وكذا القول في قوله تعالى: ﴿يَدُوِ الْمَلَكُ﴾، وقوله: ﴿تَجْرِي إِعْيُنَا﴾ وأمثال ذلك.

ثانياً: تقسيم أهل السنة والجماعة إلى طائفتين بهذا الشكل غير صحيح، وبيانه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أمّة واحدة عقيدة وسياسة، حتى إذا كانت خلافة عثمان رضي الله عنه بدأرت بواذر الاختلاف في السياسة دون العقيدة، فلما قتل وبابع علياً جماعة وبابع معاوية آخرون رضي الله عنهم وكان ما بينهم من حروب سياسية خرجت عليهم طائفة فسميت الخوارج ولم يختلفوا مع المسلمين في أصول الإيمان الستة ولا في الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام،

وإنما اختلفوا معهم في عقد الخلافة والتکفیر بکبار الذنوب والمسح على الرجلين في الوضوء، وأمثال ذلك.

ثم غلت طائفة من أصحاب علي فيه حتى عبده منهم من عبده فسموا الشیعة.

ثم افترق كل من الخوارج والشیعة فرقاً.

ثم أنکر جماعة القدر، وكان ذلك آخر عصر الصحابة رضي الله عنهم فسموا القدرية.

ثم كان الجعد بن درهم فكان أول من أنکر صفات الله وتأوّل ما جاء فيها من نصوص الآيات والأحاديث على غير معانها، فقتلته خالد القسري.

وتبعه في إنکار ذلك وتأویله تلميذه الجهم بن صفوان، واشتهر بذلك، فنسبت إليه هذه المقالة الشنیعة وعُرف من قالوا بها بالجهمية، ثم ظهرت المعتزلة فتبعوا الجهمية في تأویل نصوص الصفات وسمّوه تنزيهاً، وتبعوا القدرية في إنکار القدر وسمّوه عدلاً، وتبعوا الخوارج في الخروج على الولاة وسمّوه الأمر بالمعروف، إلى غير ذلك من مقالاتهم.

وقد نشأ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري على مذهبهم واعتقد مبادئهم، ثم هداه الله إلى الحق فتاب من الاعتزال ولزم طريق أهل السنة والجماعة واجتهد في الرد على من خالفهم في أصول الإسلام رحمة الله، لكن بقيت فيه شوائب من مذهب المعتزلة كتأویل نصوص صفات الأفعال، وتأثر بقول جهم بن صفوان في أفعال العباد فقال بالجبر وسمّاه كسباً، وأمور أخرى تتبيّن لمن قرأ كتابه الإبانة الذي أله آخر حياته، كما يتبيّن مما كتبه عنه أصحابه الذين هم أعرف به من غيرهم وما كتبه عنه ابن تيمية في مؤلفاته رحمهم الله.

ما تقدّم يتبيّن أن أهل السنة والجماعة حقاً هم الذين اعتصموا بكتاب الله تعالى وسنة نبيهم ﷺ في عقائدهم وسائر أصول دينهم ولم يعارضوا نصوصهم بالعقل أو الهوى، وتمسّكوا بما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من دعائم الإيمان وأركان الإسلام، فكانوا أئمة الهدى ومنار الحق ودعاة الخير والصلاح، كالحسن البصري وسعيد بن المسيب ومجاهد وأبي حنيفة ومالك والشافعي والأوزاعي وأحمد وإسحاق والبخاري ومن سلك سبيلهم والتزموا نهجهم عقيدة واستدلاً.

أما هؤلاء الذين خرّجوا عنهم في مسائل من أصول الدين، ففيهم من السنة يقدر ما بقي لديهم مما وافقوا فيه الصحابة رضي الله عنهم وأئمة الهدى من مسائل أصول الإسلام، وفيهم من البدع والخطأ يقدر ما خالفوهم فيه من ذلك قليلاً كان أو كثيراً، وأقربهم إلى أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري ومن تبعه عقيدة واستدلاً.

وبهذا يُعرف أن ليس لأهل السنة والجماعة مدرستان إنما هي مدرسة واحدة يقوم بنصرتها والدعوة إليها من سلك طريقهم، وابن تيمية ممن قام بذلك ووقف حياته عليه، وليس هو الذي أنشأ هذه الطريقة بل هو متبّع لما كان عليه أئمة الهدى من الصحابة ومن تبعهم من علماء القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، وكذلك مناظروه إنما قاموا بنصر مذهب من قلدوه من من انتسب إلى أهل السنة والجماعة كأبي الحسن الأشعري وأصحابه بعد أن رجع عن الاعتزال وسلك طريق أهل السنة إلا في قليل من المسائل، ولذا كان أقرب إلى طريقة أهل السنة والجماعة من سائر الطوائف.

ثالثاً: من تأول من الأشعرية ونحوهم نصوص الأسماء والصفات إنما تأولها لمنافاتها الأدلة العقلية وبعض النصوص الشرعية في زعمه، وليس الأمر كذلك، فإنها ليس فيها ما ينافي العقل الصريح وليس فيها ما ينافي النصوص، فإن نصوص الشرع في أسماء الله وصفاته يصدق

بعضها بعضاً مع كثرتها في إثبات أسماء الله وصفاته على الحقيقة وتتنزيهه سبحانه عن مشابهة خلقه.

رابعاً: موقفنا من أبي بكر الباقياني والبيهقي وأبي الفرج ابن الجوزي وأبي زكريا النووي وابن حجر وأمثالهم ممن تأول بعض صفات الله تعالى أو فوّضوا في أصل معناها، أنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم، فرحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عنا خير الجزاء، وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة رضي الله عنهم وأئمة السلف في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، وأنهم أخطأوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمة السنة رحمهم الله، سواء تأولوا الصفات الذاتية وصفات الأفعال أم بعض ذلك.

وبالله التوفيق، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

س - ما الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر من حيث التعريف والأحكام؟

ج: الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على رسوله وآلـهـ وصحبه.. وبعد:

الشرك الأكبر أن يجعل الإنسان لله نذراً، إما في أسمائه وصفاته، فيسميه بأسماء الله وبصفاته، قال الله تعالى: ﴿وَلَلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سِيِّجُزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦).

ومن الإلحاد في أسمائه تسمية غيره باسمه المختص به أو وصفه بصفته كذلك، وإما أن يجعل له نذراً في العبادة بأن يضرع إلى غيره تعالى من شمس أو قمر أو نبي أو ملك أو ولی مثلًا، بقربة من القرب صلاة أو استغاثة به في شدة أو مكروه، أو استعانة به في جلب مصلحة، أو دعاء ميت أو غائب لتفريج كربة، أو تحقيق مطلوب أو

نحو ذلك مما هو من اختصاص الله سبحانه، فكل هذا وأمثاله عبادة لغير الله واتخاذ لشريك مع الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُّتَكَبِّرٌ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَّا هُنَّمُّكُمْ إِلَهٌ وَّمَا أَنَا بِإِلَهٍ لَّكُمْ كَانَ يَتَّبِعُونَ لِفَتَأَةَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلَ عَهَلًا صَنِيلًا وَلَا يُشَرِّكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠)، وأمثالها من آيات توحيد العبادة كثير.

وإما أن يجعل الله نداءً في التشريع، بأن يتخد مشرعاً له سوى الله، أو شريكاً لله في التشريع يرتضي حكمه ويدين به في التحليل والتحريم عبادة وتقرباً وقضاء وفصلًا في الخصومات، أو يستحله وإن لم يره ديناً وفي هذا يقول تعالى في اليهود والنصارى: ﴿أَنْخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهْبَتْهُمْ أَزْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَّاهًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ (٢٣).

وأمثال هذا من الآيات والأحاديث التي جاءت في الرضا بحكم سوى حكم الله أو الإعراض عن التحاكم إلى حكم الله والعدول، فهذه الأنواع الثلاثة هي الشرك الأكبر الذي يرتد به فاعله أو معتقده عن ملة الإسلام فلا يصلى عليه إذا مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث عنه ماله بل يكون لبيت مال المسلمين، ولا تؤكل ذبيحته، ويحكم بوجوب قتله ويتولى ذلك ولني أمر المسلمين إلا أنه يُستتاب قبل قتله، فإن تاب قبلت توبيته ولم يقتل وعوامل معاملة المسلمين.

أما الشرك الأصغر فكل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه. وجاء في النصوص تسميته شركاً، كالحلف بغير الله، فإنه مظنة للانحدار إلى الشرك الأكبر، ولهذا نهى عنه النبي ﷺ، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآباءكم، ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»<sup>(١)</sup>، بل سمّاه

(١) متفق عليه.

مشركاً، روى ابن عمر رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك». رواه أحمد والترمذى والحاكم بإسناد جيد؛ لأن الحلف بغير الله فيه غلو في تعظيم غير الله، وقد ينتهي ذلك التعظيم بمن حلف بغير الله إلى الشرك الأكبر.

ومن أمثلة الشرك الأصغر أيضاً ما يجري على السنة كثير من المسلمين من قولهم: ما شاء الله وشئت، ولو لا الله وأنت، ونحو ذلك. وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك وأرشد من قاله إلى أن يقول: ما شاء الله وحده، أو ما شاء الله ثم شئت، سداً لذرية الشرك الأكبر من اعتقاد شريك الله في إرادة حدوث الكونيات ووقوعها، وفي معنى ذلك قولهم: توكلت على الله وعليك، وقولهم: لو لا صياغ الديك أو البط لسرق المتناع، ومن أمثلة ذلك الرياء اليسير في أفعال العبادات وأقوالها، كأن يطيل في الصلاة أحياناً ليراه الناس، أو يرفع صوته بالقراءة أو الذكر أحياناً ليسمعه الناس فيحملوه.

روى الإمام أحمد بإسناد حسن عن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، الرياء». أما إذا كان لا يأتي بأصل العبادة إلا رداء، ولو لا ذلك ما صلى ولا صام ولا ذكر الله ولا قرأ القرآن، فهو مشركاً أكبر وهو من المنافقين الذين قال الله فيهم: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يَخْلُعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَلِيقُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢١﴾ مُذَبَّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَّا هُنَّ لَا إِلَّا هُنَّ لَا...» إلى أن قال: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُجَاتِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَفِيْرًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَأَعْتَصُمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٦﴾».

وصدق فيهم قوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا أعنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركته»، رواه مسلم في صحيحه.

والشرك الأصغر لا يخرج من ارتكس فيه من ملة الإسلام، ولكنه أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر. ولذا قال عبدالله بن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلئي من أن أحلف بغيره صادقاً»، وعلى هذا فمن أحكامه أن يعامل معاملة المسلمين، فيرثه أهله ويرثهم حسب ما ورد بيته في الشرع، ويصلّى عليه إن مات ويدفن في مقابر المسلمين، وتوكل ذبيحته، إلى أمثال ذلك من أحكام الإسلام، ولا يخلد في النار إن أدخلها كسائر مرتكبي الكبائر عند أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعزلة.

وبالله التوفيق، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .  
س ..... وسائل الشيخ ابن باز - رحمه الله - عن حكم الاحتفال بمواليد  
النبي؟

ج: فقال: الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فقد تكرر السؤال، من كثير عن حكم الاحتفال بمواليد النبي ﷺ، والقيام له في أثناء ذلك، وإلقاء السلام عليه، وغير ذلك مما يفعل في المولد.

والجواب أن يقال: لا يجوز الاحتفال بمواليد الرسول ﷺ ولا غيره؛ لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين، لأن الرسول ﷺ لم يفعله ولا خلاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسنة وأكمل حباً لرسوله ﷺ، ومتابعة لشرعه ممن بعدهم.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»<sup>(1)</sup> أي مردود عليه، وقال في حديث آخر: «عليكم

---

(1) متفق عليه.

بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعشوا  
عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل  
بدعة ضلاله»<sup>(١)</sup>.

ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها،  
وقد قال الله سبحانه في كتابه المبين: «وَمَا أَنْتُمُ الرَّسُولُ فَحَذِّرُهُ وَمَا تَهْنَمُ  
عَنْهُ فَأَنْتُهُوا»، وقال عز وجل: «فَلَيَحْذِرَ الَّذِينَ يَخْالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ  
فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»، وقال سبحانه: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ  
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَرَ اللَّهَ كَثِيرًا»<sup>(٢)</sup>، وقال  
تعالى: «وَالْمُسِيقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَلْخَسِنُونَ  
رَضْوَانَ اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَاعْدَ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلُهُمْ  
فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلَتِ لَكُمْ دِيْنَكُمْ  
وَأَتَمَّتِ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتِ لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِيْنًا».

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وإحداث مثل هذه الموالد يفهم  
منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول ﷺ لم  
يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرن فأحدثوا في  
شرع الله ما لم يأذن به، زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله، وهذا  
بلا شك فيه خطير عظيم واعتراض على الله سبحانه، وعلى  
رسوله ﷺ، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين، وأتم عليهم النعمة،  
والرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين ولم يترك طريقة يوصل إلى الجنة  
ويبعاد عن النار إلا بيته للأمة، كما ثبت في الحديث الصحيح عن  
عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله من  
نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم  
شر ما يعلمه لهم» رواه مسلم في صحيحه.

(١) رواه أحمد (١٢٦/٤) والترمذني (٢٦٧٨) وأبو داود (٤٦٠٧) وصححه الألباني في  
تعليقه على السنة لابن أبي عاصم (٢٧).

وعلمون أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء وختامهم، وأكملهم بلاغاً ونُصحاً، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لهيبة الرسول ﷺ للأمة أو فعله في حياته أو فعله أصحابه رضي الله عنهم، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء، بل هو من المحدثات التي حذر الرسول ﷺ منها أمته، كما تقدم ذكر ذلك في الحديثين السابقين، وقد جاء في معناهما أحاديث آخر مثل قوله ﷺ في خطبة الجمعة: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» رواه الإمام مسلم في صحيحه.

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد صرّح جماعة من العلماء بإنكار الموالد والتحذير منها عملاً بالأدلة المذكورة وغيرها، وخالف بعض المتأخرین فأجازها إذا لم تشتمل على شيء من المنكرات، كالغلو في رسول الله ﷺ وكاختلاط النساء بالرجال، واستعمال آلات الملاهي وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر، وظنوا أنها من البدع الحسنة.

والقاعدة الشرعية رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، كما قال الله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَّلُمُ فِي شَيْءٍ فَرْدُوْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُُلُّمُ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَأَلْيَوْهُ الْآخِرَهُ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (٥٩)، وقال تعالى: «وَمَا أَخْلَقْتُمُ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ».

وقد ردتنا هذه المسألة وهي الاحتفال بالموالد إلى كتاب الله سبحانه فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول ﷺ فيما جاء به ويحذرنا عما نهى عنه، ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها، وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول ﷺ، فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه.

وقد ردنا ذلك أيضاً إلى سنة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه رضي الله عنهم، فعلمبا بذلك أنه ليس من الدين بل هو من البدع المحدثة، ومن التشبيه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم، وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق وإنصاف في طلبه، أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام بل هو من البدع المحدثات، التي أمر الله سبحانه ورسوله ﷺ بتركها والحذر منها.

ولا ينبغي للعقل أن يغترّ بكترة من يفعله من الناس فيسائر الأقطار، فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية كما قال تعالى عن اليهود والنصارى: «وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوَدًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بِعِنْدَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١﴾»، وقال تعالى: «فَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١٢﴾» الآية.

ثم إن غالباً هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعة لا تخلي من اشتتمالها على منكرات أخرى كاختلاط النساء بالرجال، واستعمال الأغاني والمعازف، وشرب المسكرات والمخدّرات وغير ذلك من الشرور، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو في رسول الله ﷺ أو غيره من الأولياء ودعائه والاستغاثة به وطلب المدد، واعتقاد أنه يعلم الغيب، ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمواليد النبي ﷺ وغيره من يسمونهم الأولياء.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِيَاكُمْ وَالْغَلُوُ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغَلُوُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup>، وقال عليه الصلاة

(١) رواه مسلم.

والسلام: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»، خرجه البخاري في صحيحه من حديث عمر رضي الله عنه.

ومن العجائب والغرائب أن الكثير من الناس ينشط ويجهد في حضور هذه الاحتفالات المبتدعة، ويدافع عنها، ويختلف عما أوجب عليه من حضور الجمع والجماعات، ولا يرفع بذلك رأساً، ولا يرى أنه أتي منكراً عظيماً ولا شك أن ذلك من ضعف الإيمان وقلة البصيرة وكثرة ما ران على القلوب من صنوف الذنوب والمعاصي، نسأل الله العافية لنا ولسائر المسلمين.

ومن ذلك أن بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر المولد ولهذا يقومون له محين ومرحبي، وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل، فإن الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيمة، ولا يتصل بأحد من الناس، ولا يحضر اجتماعاتهم، بل هو مقيد في قبره إلى يوم القيمة، وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة كما قال الله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿شَمَّ إِنَّمَا بَعْدَ ذَلِكَ لَيَتَّوَنَ ١٥ ثُمَّ إِنَّمَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَعْثُرُونَ ١٦﴾، وقال النبي ﷺ: «أنا أول من ينشق عنده القبر يوم القيمة، وأنا أول شافع وأول مشفع»<sup>(١)</sup>، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

فهذه الآية الكريمة، والحديث الشريف، وما جاء في معناهما من الآيات والأحاديث، كلها تدل على أن النبي ﷺ وغيره من الأنبياء إنما يخرجون من قبورهم يوم القيمة، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم، فينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور، والحذر مما أحدهه الجهالة وأشباههم من البدع والخرافات التي ما

(١) رواه أحمد (٢٨١/١)، والترمذى (٣٧٤٨).

أنزل الله بها من سلطان، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به.

أما الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فهي من أفضل القراءات ومن الأعمال الصالحة، كما قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَسِّرْأَيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاتٍ عَلَيْهِ وَسَلَامًا تَسْلِيمًا» (٥١)، وقال النبي ﷺ: «من صلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بَهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>، وهي مشروعة في جميع الأوقات، ومتأكدة في آخر كل صلاة، بل واجبة عند جمع من أهل العلم في التشهد الأخير من كل صلاة، وسنة مؤكدة في مواضع كثيرة، منها ما بعد الأذان، وعند ذكره عليه الصلاة والسلام، وفي يوم الجمعة وليلتها كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة.

والله المسؤول أن يوقفنا وسائر المسلمين للفقه في دينه والثبات عليه، وأن يؤمن على الجميع بلزم السنة، والحذر من البدعة، إنه جواد كريم، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

### س - ما حكم الإسلام في التوسل بالأنبياء والأولياء؟

ج: التوسل بالأنبياء والأولياء قول مجمل يحتمل أنواعاً يختلف الحكم باختلافها، وبيان ذلك:

أولاً: أن يطلب من النبي أو الولي في حياته وعلى مسمع منه أن يدعوه له، وهذا جائز، ومنه طلب أعرابي من النبي ﷺ وهو على المنبر يخطب خطبة الجمعة أن يدعو الله تعالى لينزل الغيث، فدعا النبي ﷺ ربه سبحانه فأنزل الغيث، ثم طلب منه الجمعة التي بعدها أن يدعو الله تعالى أن يرفع الغيث عنهم لما أصاب الناس من ضر فدعا ﷺ ربه سبحانه أن يجعله على الآكام والظراب.. إلخ، لما ثبت عن أنس بن مالك أنه قال: «أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ، فبينما

(١) رواه أحمد (١٦٨/٢) والترمذى (٤٨٤).

يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاء العمال فادع الله لنا.

فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب مثل الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ، فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا.

فرفع يديه فقال: اللهم حوالينا لا علينا، مما يشير بيديه إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوية، وسال الوادي شهراً، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود»، رواه البخاري ومسلم.

وثبت عن أنس أيضاً رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أقحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإننا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا». قال: (فيسقون)» رواه البخاري.

وهذا ليس توسلًا بالجاه والحرمة والحق ونحو ذلك، وإنما هو توسل بدعاء النبي ﷺ ربه في حياته أن ينزل المطر أو يدفع الضر، وكذا التوسل بدعاء العباس ربه، وعلى هذا يكون هذا التوسل من النوع الأول، ويدل على ذلك عدول عمر والصحابة رضي الله عنهم عن التوسل بالنبي ﷺ بعد موته إلى التوسل بعمه العباس، فإن النبي ﷺ محترم حياً وميتاً، وجاهه عند ربه وعند المؤمنين عظيم حياً وميتاً.

ثانياً: أن يتتوسل إلى الله في دعائه بجاه النبي أو حرمته أو بركته، أو بجاه غيره من الصالحين أو حرمته أو حقه أو بركته، فيقول: «اللهم بجاه نبيك أو حرمته أو بركته أعطني مالاً وولداً، أو أدخلني الجنة وقني عذاب النار» مثلاً، فليس بمشرك شركاً يخرج عن

الإسلام لكنه ممنوع سداً لذرية الشرك وإبعاداً للمسلم من فعل شيء يفضي إلى الشرك.

ولا شك أن التوسل بجاه الأنبياء والصالحين وسيلة من وسائل الشرك التي تفضي إليه على مر الأيام، على ما دلت عليه التجارب وشهد له الواقع، وقد جاءت أدلة كثيرة في الكتاب والسنّة تدل دالة قاطعة على أن سد الذرائع إلى الشرك والمحرمات من مقاصد الشريعة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُبُو اللَّهَ عَذَّابًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُنْوَافِهِمْ ثُمَّ إِنَّ رَبَّهُمْ مَرْجِعُهُمْ فِي نَصْرَتِهِمْ بِمَا كَفَرُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>. فنهى سبحانه المسلمين عن سب آله المشركين التي يعبدونها من دون الله مع أنها باطلة لثلا يكون ذلك ذريعة إلى سب المشركين الإله الحق سبحانه انتصاراً لآلهتهم الباطلة جهلاً منهم وعدواناً.

ومنها نهيه ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، لأن ذلك وسيلة لعبادتها من دون الله.

ومنها تحريم خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية، وتحريم إبداء المرأة زينتها للرجال الأجانب، وتحريم خروجها من بيتها متعرجة، وأمر الرجال بغض البصر عن زينة النساء، وأمر النساء أن يغضبن من أبصارهن، لأن ذلك كله ذريعة إلى الافتتان بها ووسيلة إلى الوقوع في الفاحشة.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزَّئَكَ فَمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضَبْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ الآية.

وثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(١)</sup>، ولأن التوسل بالجاه والحق ونحوهما

(١) متفق عليه.

في الدعاء عبادة، والعبادة توقيفية، ولم يرد في الكتاب ولا في سنة الرسول ﷺ ولا عن أصحابه ما يدل على هذا التوسل ، فعلم أنه بدعة، وقد قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: أن يدعوا الأنبياء أو الأولياء ويستغيث بهم في قضاء حاجاتهم، كقول أحدهم: يا رسول الله فرج كربتي أو اشفي، أو يقول: مدد مدد يا رسول الله، أو: يا حسين، فهذا ونحوه شرك أكبر يخرج قائله من الإسلام، وقد أنزل الله كتبه وأرسل رسالته لإبطال ذلك والتحذير منه.

س - وسُئلت اللجنة عن حكم إتیان الكھان؟

فأجابـت: الحمد لله، والصلـة والسلام على نبـينا محمد وآلـه وصـحبـه ويعـدـ:

يحرـم الذهـاب إلى العـرـافـين والـكـهـنـة لـسـؤـالـهـم؛ لـقـولـ النـبـي ﷺ: «من أتـى عـرـافـاً فـسـأـلـهـ عنـ شـيـءـ لمـ تـقـبـلـ لهـ صـلـةـ أـرـبـعـينـ لـيـلـةـ»، خـرـجـهـ الإـلـامـ مـسـلـمـ فـي صـحـيـحـهـ.

س - كـيـفـ نـجـمـعـ بـيـنـ الـحـدـيـثـيـنـ التـالـيـيـنـ:

(١) «من أتـى عـرـافـاً فـسـأـلـهـ عنـ شـيـءـ فـصـدـقـهـ لمـ تـقـبـلـ لهـ صـلـةـ أـرـبـعـينـ يـوـمـاـ»، رـوـاهـ مـسـلـمـ فـي صـحـيـحـهـ.

(٢) «من أتـى كـاهـنـاـ فـصـدـقـهـ بـمـاـ يـقـولـ فـقـدـ كـفـرـ بـمـاـ أـنـزـلـ عـلـىـ مـحـمـدـ»، رـوـاهـ أـبـوـ دـاـوـدـ.

فالـحـدـيـثـ الـأـوـلـ لـاـ يـدـلـ عـلـىـ الـكـفـرـ، فـيـ حـيـنـ الـآـخـرـ يـدـلـ عـلـىـ الـكـفـرـ؟

جـ:ـ الحـمـدـ لـلـهـ،ـ وـالـصـلـةـ وـالـسـلـامـ عـلـىـ رـسـوـلـهـ وـآلـهـ وـصـحبـهـ وـيعـدـ:

---

(١) مـتـفـقـ عـلـيـهـ.

لا تعارض بين الحديثين، ف الحديث: «من أتى عرافاً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد» يراد منه أن من سأله الكاهن معتقداً صدقه وأنه يعلم الغيب فإنه يكفر؛ لأنه خالف القرآن في قوله تعالى: «**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**».

وأما الحديث الآخر: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»، رواه مسلم وليس فيه (صدقه).

فبهذا يعلم أن من أتى عرافاً فسأله لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، فإن صدقه فقد كفر.

وبالله التوفيق، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

س - هل يجوز للمسلم أن يكتب شيئاً من آيات القرآن الكريم ويشرب أو يجعلها تحت وسادته أو لدى الباب إلى غير ذلك من الموضع؟

ج: أما قراءة القرآن في الماء للمريض وشربها إياه فلا بأس، وقد ورد في سنن أبي داود في كتاب الطب عن النبي ﷺ، ما يدل على ذلك، وأما تعليق التمام من القرآن وغيره فلا يجوز مع العلم بأن التمام التي يعلقها الشخص قسمان: أحدهما أن تكون من القرآن، والثاني أن تكون من غير القرآن، فإن كانت من القرآن فقد اختلف فيها السلف على قولين:

الأول: لا يجوز تعليقها، وقال به ابن مسعود وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم، وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود، وقال ذلك أحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون، وهذا القول مبني على ما رواه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتتمائم والتؤلة شرك»، قال

الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في فتح المجيد:  
قلت: هذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:

الأول: عموم النهي ولا مخصص له.

الثاني: سد النزية، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أنه إذا علق فلا بد أن يمتهنه المعلق بحمله معه في حالة  
قضاء الحاجة والاستجاء ونحو ذلك.

القول الثاني: جواز ذلك وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص،  
وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال أبو جعفر الباقر وأحمد في  
رواية، وحملوا الحديث على التمام التي فيها شرك.

وأما إذا كانت التمام من غير القرآن وأسماء الله وصفاته فإنها  
شرك لعموم حديث: «إن الرقى والتمام والتولة شرك».

وصلى الله على نبينا محمد وآلله وصحبه وسلم.

س - ما حكم الصلاة في المساجد التي يوجد بها قبور ومقامات؟

ج: لا يجوز للمسلم أن يصلی في المساجد التي بنيت على  
القبور، والأصل في ذلك الأدلة الدالة على النهي عن بناء المساجد  
على القبور، ومنها ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن  
أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض العجيبة وما فيها من  
الصور فقال: «أولئك شرار الخلق عند الله».

ومنها ما رواه أهل السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:  
«لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرّج».

وثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال  
رسول الله ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم  
مساجد».

س - هل يجوز لي أن أخرب الزوايا التي فيها أضرحة مشائخ يسمون الأولياء، وهل يجوز لي أن آخذ من هذه الزوايا بعد أن أدمّرها السقف والقطاء لأنتفع بها؟

ج: أولاً: بناء الزوايا والمساجد على قبر أو قبور حرام لما ثبت من نهي النبي ﷺ عن ذلك ولعنه من فعل ذلك، فإن بنيت عليها فعلى ولاة المسلمين وأعوانهم هدمها إزالة للمنكر فإنها أساءت على غير تقوى، وكذا لو كان لجماعة من المسلمين منعه وفيهم قوة عليهم أن يزيلوها. كل ذلك إذا لم يخشَ من هدمها إثارة فتن لا يستطيع إطفاؤها والقضاء عليها، فإن النبي ﷺ لم يزل الأصنام التي كانت على الكعبة والتي بداخلها أول الأمر مع دعوته إلى التوحيد وتسفيه أحلام المشركين لعبادتهم الأصنام، فلما قوي المسلمون أزالوها عام فتح مكة.

ثانياً: إذا هدمت جاز لك أن تأخذ من أجزائها ما تنتفع به إذا أمنت الفتنة ولم تخش الضرر.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآلِه وصحبه وسلم.

س - ما حكم السجود على المقابر والذبح عليها؟

ج: السجود على المقابر والذبح عليها وثنية جاهلية وشرك أكبر، فإن كليهما عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله وحده، فمن صرفها لغير الله فهو مشرك، قال الله تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَسُكُونِي وَمَحَاجَيَ وَمَسَاكِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَدِلُّكَ إِلَيْنَا وَإِنَّا أَوَّلُ الْمُسَمِّينَ» ﴿١٣﴾، وقال تعالى: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْهَرْ ﴿٢﴾» إلى غير هذا من الآيات الدالة على أن السجود والذبح عبادة، وأن صرفهما لغير الله شرك أكبر.

ولا شك أن قصد الإنسان إلى المقابر للسجود عليها أو الذبح عندها إنما هو لإعظامها وإجلالها بالسجود والقربابين التي تذبح أو تنحر

عندما، وروى مسلم في حديث طويل في باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض».

وروى أبو داود في سننه من طريق ثابت بن الصحاح رضي الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلأ ببوانة، فسأل رسول الله ﷺ فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا.

فقال: «كان فيها عيد من أعيادهم؟».

قالوا: لا.

فقال رسول الله ﷺ: «أوفِ بمنذرك فإنه لا وفاء لمنذر في معصية الله ولا فيما لا يملكه ابن آدم»، فدل ما ذكر على لعن من ذبح لغير الله وعلى تحريم الذبح في مكان يعظم فيه غير الله من وثن أو قبر أو مكان فيه اجتماع لأهل الجاهلية اعتادوه وإن قصد بذلك وجه الله.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآلـه وصحبه وسلمـ.

س - ما هو حكم الرقى والتمائم؟

ج: الرقية مشروعة إذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله الحسنى وبالأدعية المشروعة وما في معناها، مع اعتقاد أنها أسباب وأن مالك الضرر والنفع والشفاء هو الله سبحانه، لقول النبي ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً». وقد رقى ورقى ﷺ.

أما الرقى المنهي عنها فهي الرقى المخالفة لما ذكرنا كما صرَّح بذلك أهل العلم.

أما تعليق التمائم فلا يجوز سواء كانت من القرآن أو من غيره لعموم الأحاديث الواردة في ذلك.

وبالله التوفيق، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ.

س - عندنا تفشي ظاهرة عبادة القبور، وفي نفس الوقت وجود من يدافع عن هؤلاء ويقول: إنهم مسلمون معذورون بجهلهم، فلا مانع من أن يتزوجوا من فتياتنا وأن نصلِّي خلفهم وأن لهم كافة حقوق المسلم على المسلم، ولا يكتفون بل يسمون من يقول بکفر هؤلاء إنه صاحب بدعة، يعامل معاملة المبتدعين، بل ويدعون أن سماحتكم تعذرُون عباد القبور بجهلهم حيث أقررتُم مذكرة لشخص يدعى الغباشي يعذر فيها عباد القبور، لذلك أرجو من سماحتكم إرسال بحث شاف كاف تبين فيه الأمور التي فيها العذر بالجهل من الأمور التي لا عذر فيها، كذلك بيان المراجع التي يمكن الرجوع إليها في ذلك ولكم منا جزيل الشكر؟

ج: الحمد لله وحده والصلة والسلام على رسوله وأله وصحبه.. وبعد:

يختلف الحكم على الإنسان بأنه يعذر بالجهل في المسائل الدينية أو لا يعذر باختلاف البلاغ وعدمه، وباختلاف المسألة نفسها وضوحًا وخفاء، وتناوت مدارك الناس قوة وضعفًا.

فمن استغاث بأصحاب القبور دفعاً للضر أو كشفاً للكرب بين له أن ذلك شرك، وأقيمت عليه الحجة أداء لواجب البلاغ، فإن أصرَ بعد البيان فهو مشرك يعامل في الدنيا معاملة الكافرين واستحق العذاب الأليم في الآخرة إذا مات على ذلك، قال الله تعالى: ﴿رَسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَنَّا لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾<sup>١١٥</sup>، وقال تعالى: «وَمَا كَانَ مُعَذِّبَنَ حَقَّ نَبَغَ رَسُولًا»، قوله تعالى: «وَأُوحِيَ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ لَا يُنَذِّرُكُمْ بِيهِ وَمَنْ يَلْعَنْ ﴾.

وُثِّبَتْ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «والذِّي نَفَسَهُ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصَارَىٰ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالذِّي أَرْسَلَتْ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» رواه مسلم، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب البيان وإقامة الحجة قبل المؤاخذة.

ومن عاش في بلاد يسمع فيها الدعوة إلى الإسلام وغيره ثم لا يؤمن ولا يطلب الحق من أهله فهو في حكم من بلغته الدعوة الإسلامية وأصرَّ على الكفر.

ويشهد لذلك عموم حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم، كما يشهد له ما قصَّهُ الله تعالى من نبأ قوم موسى إذ أضلُّهم السامرِي فعبدوا العجل، وقد استخلف فيهم أخاه هارون عند ذهابه لمناجاة الله، فلما أنكر عليهم عبادة العجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى، فاستجابوا للداعي الشرك، وأبوا أن يستجيبوا للداعي التوحيد فلم يعذرهم الله في استجابتهم للدعوة الشرك والتلبيس عليهم فيها لوجود الدعوة للتَّوحيد إلى جانبها مع قرب العهد بدعة موسى إلى التَّوحيد.

ويشهد لذلك أيضاً ما قصَّهُ الله من نبأ نقاش الشيطان لأهل النار وتخليه عنهم وبراءاته منهم، قال الله تعالى: «وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ فَلَا خَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَنٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْشُرُ بِصَرْخَتِكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشَرَّكُمْ مِّنْ فِتْنَةٍ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (٢٣).

فلم يعذروا بتصديقهم وعد الشيطان مع مزيد تلبيسه وتزيينه الشرك واتباعهم لما سُوِّل لهم من الشرك لوقوعه إلى جانب وعد الله الحق بالثواب الجزيل لمن صدق وعده فاستجاب لتشريعه وأتبع صراطه السُّوَّيِّ.

ومن نظر في البلاد التي انتشر فيها الإسلام وجد من يعيش فيها  
يتجاذبها فريقان:

فريق يدعو إلى البدع على اختلاف أنواعها شركية وغير شركية،  
ويليس على الناس ويزين لهم بدعته بما استطاع من أحاديث لا تصح،  
وقصص عجيبة غريبة يوردها بأسلوب شيق جذاب.

وفريق يدعو إلى الحق والهدى ويقيم على ذلك الأدلة من الكتاب  
والسنة، ويبيّن بطلان ما دعا إليه الفريق الآخر وما فيه من زيف، فكان  
في بلاغ هذا الفريق وبيانه الكفایة في إقامة الحجة وإن قلَّ عددهم،  
فإن العبرة ببيان الحق بدليله لا بكثرة العدد.

فمن كان عاقلاً وعاش في مثل هذه البلاد واستطاع أن يعرف  
الحق من أهله إذا جدَّ في طلبه وسلم من الهوى والعصبية، ولم يغتر  
بغنى الأغنياء ولا بسيادة الزعماء ولا بوجاهة الوجهاء، ولا اختلَّ ميزان  
تفكيره، وألغى عقله، وكان من الدين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ  
الْكُفَّارِ وَأَعَدَ لَهُمْ سَعِيرًا﴾<sup>١٦</sup> ﴿خَلِيلَنَّ فِيهَا أَبْدًا لَا يَجِدُونَ وَلَيْتَ أَنَّ  
يَوْمَ نُقْلِثَ مُجْهُومَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَاتَّنَا أَطْعَنَا اللَّهُ وَأَطْعَنَا الرَّسُولُ  
وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكَوْلَتَنَا فَأَضْلَلُنَا السَّيِّلَادُ  
ضِعْفَيْنِ مِنْ آلَنَّابِ وَالْغَنِيمَ لَعَنَّا كَيْرًا﴾<sup>١٧</sup>.

أما من عاش في بلاد غير إسلامية ولم يسمع عن النبي ﷺ، ولا  
عن القرآن والإسلام، فهذا على تقدير وجوده حكمه حكم أهل الفطرة  
يجب على علماء المسلمين أن يبلغوه شريعة الإسلام أصولاً وفروعاً  
إقامة للحجـة وإعـذاراً إـلـيـهـ، ويـوم الـقيـامـةـ يـعـاملـ معـاـمـلـةـ منـ لمـ يـكـلـفـ فيـ  
الـدـنـيـاـ لـجـنـونـهـ أوـ بـلـهـ أوـ صـغـرـهـ وـعـدـمـ تـكـلـيفـهـ.

وأما ما يخفى من أحكام الشريعة من جهة الدلالة أو لتقابل الأدلة  
وتجادلها فلا يقال لمن خالف فيه آمن وكفر، ولكن يقال أصاب  
وأخطأ، فيعذر فيه من أخطأ ويؤجر فيه من أصاب الحق باجتهاده

أجرين، وهذا النوع مما يتفاوت فيه الناس باختلاف مداركهم ومعرفتهم باللغة العربية وترجمتها، وسعة اطلاعهم على نصوص الشريعة كتاباً وسنة، ومعرفة صحيحة وسقيمها وناسخها ومنسوخها ونحو ذلك.

وبذا يعلم أنه لا يجوز لطائفة الموحدين الذين يعتقدون كفر عباد القبور أن يكفروا إخوانهم الموحدين الذين توافقوا في كفرهم حتى تقام عليهم الحجة؛ لأن توقفهم عن تكفيرهم له شبهة وهي اعتقادهم أنه لا بد من إقامة الحجة على أولئك القبوريين قبل تكفيرهم، بخلاف من لا شبهة في كفره كاليهود والنصارى والشيوعىين وأشباههم، فهو لاء لا شبهة في كفرهم ولا في كفر من لم يكفرهم.

والله ولي التوفيق، ونسأله سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يعيذنا وإياهم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ومن القول على الله سبحانه وعلى رسوله ﷺ بغير علم، إنه ولي ذلك القادر عليه.

س - ما حكم الإسلام فيمن يكفر المسلم، فقد ظهر في مصر جماعة تكرر المسلم بموجب أن يكون قد ارتكب شيئاً من المعااصي خلاف الشرك بالله، فهل فعل المعااصي وارتكاب الكبيرة يوجب تكفير صاحبها مع أنه يقر بالشهادتين؟

ج: الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

تختلف كبائر الذنوب في فحشاها وعظم جرمها، فمنها ما هو شرك ومنها ما ليس بشرك، ومذهب أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون مسلماً بما كان منها دون الشرك مثل قتل النفس، وشرب الخمر، والزنا، والسرقة، وأكل مال اليتيم، وقدف المحسنات المؤمنات، وأكل الربا، ونحو ذلك من الكبائر، ولكن يقيم ولد الأمر

عليه عقوبة ما ارتكبه من الذنوب من قصاص أو حدّ أو تعزير، وعليه التوبة والاستغفار.

أما ما كان من الكبائر مثل الاستغاثة بغير الله كدعاء الأموات لتفريح الكربارات والتندر للأموات والذبح لهم فهذه الكبائر وأمثالها كفر أكبر يجب البيان لمن ارتكبها وإقامة الحجة عليه، فإن تاب بعد البيان قبلت توبته وإن قتله ولبي أمر المسلمين لرده.

وبالله التوفيق، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

س - لدينا امرأة تسمى بالغائبة، فإذا كان سبب تسميتها بهذا الاسم ادعاؤها علم الغيب فما الحكم؟

ج: الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على رسوله وآلـهـ وصحبه .. وبعد:

ادعاء علم الغيب كفر، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَفَلَا يَأْتِي بِكَفَافِهِمْ وَعَائِشَةَ وَنَحْوَ ذَلِكَ حَتَّى يَزُولَ عَنْهَا تَلْقِيهِمْ بِأَنَّهَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَعَلَيْهَا مَعَ ذَلِكَ التَّوْيِهُ إِلَى اللَّهِ تَوْيِهٌ نَصْوَاهَا مِنْ دُعَواهَا عِلْمُ الْغَيْبِ أَوْ تَعْاطِيْهَا مَا حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهَا مِنَ الْكَهَانَةِ وَالتَّنْجِيمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا يَتَحَلَّهُ مِنْ يَدِّعُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ، فَإِنْ لَمْ تَتَبَّعْ وَجْبَ رَفْعِهَا إِلَى ولِيِّ الْأَمْرِ بِالْبَلْدِ الَّذِي هِيَ فِيهِ لِمَاعِقْبَتِهَا بِمَا تَسْتَحِقُ وَتَحْذِيرِ النَّاسِ مِنْ عَمَلِهَا وَتَصْدِيقِهَا.﴾

وبالله التوفيق، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

س - أنا بحمد الله أميل إلى الاقتداء بالرسول ﷺ وبالسلف الصالح، غير أنني جلست في بعض الجلسات والحضرات الصوفية من باب العلم بالشيء، وهالني أن رأيهم يقومون بحركات ورقصات لا تنفع في أسوأ الأوضاع مع وقار الإنسان وحياته وهيئته.. ثم هم يقومون بتأويل أشياء ثابتة، ويركزون جلًّا أعمالهم على

تعذيب النفس بوسائل شتى، والعبادة عندهم تعتمد في أكثرها على الذكر، كما أنهم يكثرون من ذكر الأولياء والصالحين والاعتقاد فيهم أكثر مما يفعلون مع الله ورسوله، كما أن لهم بعض الآراء، وأكثر هذه الآراء ينطوي في السلف الصالح المتمسك بسنة رسوله حق التمسك، على أن لهم بعض الآراء التي تتفق وصحيح السنة كما فهمها السلف الصالح، وقد جلست مع هؤلاء القوم أكثر من مرة لمحاولة معرفة خبايا هذا العالم، وأكثر هؤلاء القوم من فئات اجتماعية ممتازة، فمنهم أساتذة الجامعية والأطباء والمهندسين والموظفو، ومنهم أناس عاديون وبهم شباب كثيرون أيضاً.

فهل آثم بالجلوس معهم رغم ما أسلفت؟.. كما أرجو من فضيلتكم أن توضحوا الصورة حول هذه المذاهب الصوفية واعتقاداتها خاصة أنها أصبحت تتخذ صوراً منظمة ذات هيئات ومنظمات معترف بها من قبل الدولة؟

ج: الحمد لله، والصلوة والسلام على رسوله وآله وصحبه..

وبعد:

المعروف عن جميع طوائف الصوفية وفرقهم أنهم يذكرون الله أذكاراً بدعاية، فيرقصون ويترنحون ويتمايلون يمنة ويسرة وأعلى وأسفل، ويسمون الله في ذكرهم بغير ما سمى به نفسه، وبغير ما سمّاه رسوله ﷺ، مثل: هو هو هو، ومثل: آه آه، ويدركونه بالاسم مثل: الله الله الله، وبما يسمونه الذكر القلبي كما يفعله النقشبندية، ويدركونه بما ذكر جماعة بصوت واحد ويستغثون في أذكارهم بالأموات والغائبين فيقولون: مدد يا أبا العباس، مدد يا دسوقي، وذلك شرك يخرج من ملة الإسلام، ويعتقدون في مشايخهم أن لديهم علمًا لدنيا يطلعون به على الغيبيات، وأن لهم أسراراً يتصرفون بها وراء الأسباب العادية،

ونصحك بقراءة كتاب (هذه هي الصوفية) للشيخ عبدالرحمن الوكيل لتعرف الكثير من بدعهم، وجالس من تعرف عنه أنه يتمسك بالكتاب والسنّة وينكر البدعة.

والله ولئِ التوفيق، وصَلَى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

### س - ما حكم الإسلام في الأحزاب؟

ج: الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على رسوله وآلها وصحابه . . وبعد:

لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيئاً وأحزاباً يلعن بعضهم بعضاً ويضرب بعضهم رقاب بعض، فإن هذا التفرق مما نهى الله عنه وذم من أحدثه أو تابع أهله وتوعّد فاعليه بالعذاب العظيم، وقد تبرأ الله ورسوله ﷺ منه، قال الله تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْقِرُوهُ» إلى قوله تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَرُوا وَأَخْتَلُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَمْ يَنْهَا عَذَابٌ عَظِيمٌ» (١٥٦) الآيات.

وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْئاً لَّا شَيْءٌ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَنْهَا أَنْهُمْ إِلَى اللَّهِ مِمَّا يَتَّبِعُهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩) مَنْ يَأْتِي بِالْمُحْسَنَاتِ فَلَمَّا عَشَرَ أَنْتَلَهُمَا وَمَنْ جَاءَ بِالْسَّيِّئَاتِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ (١٦٠)»، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(١)</sup>، والآيات والأحاديث في ذم التفرق في الدين كثيرة.

أما إن كان ولی أمر المسلمين هو الذي نظمهم ووزع بينهم أعمال الحياة ومرافقها الدينية والدنيوية ليقوم كل بواجبه في جانب من جوانب الدين والدنيا فهذا مشروع بل واجب على ولی أمر المسلمين

(١) رواه مسلم.

أن يوزع رعيته على واجبات الدين والدنيا على اختلاف أنواعها، فيجعل جماعة لخدمة علم الحديث من جهة نقله وتدوينه وتميز صحيحة من سقيمه.. إلخ، وجماعة أخرى لخدمة فقه متونه تدويناً وتعلماً، وثالثة لخدمة اللغة العربية قواعدها ومفرداتها وبيان أساليبها والكشف عن أسرارها، وإعداد جماعة رابعة للجهاد وللدفاع عن بلاد الإسلام وفتح الفتوح وتذليل العقبات لنشر الإسلام، وأخرى للإنتاج صناعة وزراعة وتجارة.. إلخ.

فهذا من ضرورات الحياة التي لا تقوم للأمة قائمة إلا بها ولا يحفظ الإسلام ولا ينتشر إلا عن طريقه، هذا مع اعتقاد الجميع بكتاب الله وهدي رسوله ﷺ وما كان عليه الخلفاء الراشدون وسلف الأمة ووحدة الهدف، وتعاون جميع الطوائف الإسلامية على نصرة الإسلام والذود عن حياضه، وتحقيق وسائل الحياة السعيدة وسير الجميع في ظل الإسلام تحت لوائه على صراط الله المستقيم، وتجنبهم السبل المضلة والفرق الهالكة، قال الله تعالى: «وَإِنَّ هَذَا  
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْبِغِي أَشْبَلَ فَنَرَقَ يُكُّمُ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ  
وَصَنْكُمْ يِهِ لَعَلَّكُمْ تَنَقَّوْنَ» (١٥٣).

س - أيهما أفضل: العمل للإسلام من خلال السياسة، أم العمل للإسلام من خلال دعوة الناس إلى العودة إلى طريقة الرسول ﷺ؟

ج: الواجب العمل للإسلام بدعاوة الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على المنهاج الذي أرشد الله إليه وأمر به رسوله محمدًا ﷺ في قوله: «أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِيلَهُمْ بِالْأَنْ  
هِيَ أَحَسَنُ»، وقوله: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلُنِي أَذْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةِ أَنَا  
وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسَبَخْنَ اللَّهَ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشَرِّكِينَ» (١٦٠).

وقد بين رسول الله ﷺ طريق الدعاوة إلى الله بقوله وكتبه وعمله

فقال: «من رأى منكم منكراً فليغفره بيده، فإن لم يستطع فلبسانه، فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان»، رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن.

وقال لمعاذ حينما بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوه إله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإنهم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإنهم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغانيائهم فترد على فقرائهم، فإنهم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه لي بينها وبين الله حجاب» رواه أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن.

وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه حينما أعطاه الرایة يوم غزوة خيبر: «انفذ على رسالتك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليه من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم»، رواه البخاري ومسلم.

وكتب عليه الصلاة والسلام إلى ملوك الأمم يدعوهم إلى الإسلام ويأمرهم بعبادة الله وحده وذكر في كتبه إلى أهل الكتاب: «**إِنَّا هُنَّ أَنْذِرُونَا إِلَيْنَا الْكِتَابُ مُبَارَّزاً وَنَحْنُ نَنْذِرُكُمْ أَنَّا لَمْ نُنَزِّلْنَا بِهِ مِنْ دُونَ اللَّهِ وَلَا شَرِيكَ لَهُ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ..**».

ووعدهم الأجر مضاعفاً إن استجابوا، وأنذرهم عقوبة إثتمهم وإنهم إن هم أعرضوا، ودعا إلى الإسلام بعمله، فكان مثال الكمال في توحيد الله وعبادته وفي أعلى درجات مكارم الأخلاق في سيرته ومعاملاته للناس، لا يغضب لنفسه ولا يتنتم لها، إنما يغضب إذا انتهكت محارم الله، وكان كما وصفه الله في كتابه الكريم **«بِالْمُعْزَلِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ»**، قوله سبحانه: **«وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾** إلى

غير ذلك من بيانه عليه الصلاة والسلام لمنهج الدعوة بقوله وكتابته وعمله.

فهذه سياسة الدعوة المحمدية الرشيدة الحكيمة الرحيمة رسمها لنا رسول الله ﷺ، فعلى دعاة الجماعات الإسلامية أن يسلكوا سبيلاً سبيلاً الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن وينزلوا كل من يدعونهم منزلته ويخاطبوا كلاماً بما يفهم، عسى الله أن ينصر بهم دينه ويوجه سهامهم إلى نحور أعدائهم لا إلى إخوانهم فإنه مجيب الدعاء.

س - سمعت بعض الكلمات التي يرددوها بعض الناس، فأريد أن أعرف ما هو موقف الإسلام من هذه الكلمات. على سبيل المثال عندما يتوفى شخص معين يقول بعض الناس (المرحوم فلان)، وإذا كان ذا منصب كبير قالوا (المغفور له فلان)، فهل هم اطلعوا على اللوح المحفوظ وعرفوا أن فلاناً مغفور له وفلاناً مرحوم؟ لذا كان من الواجب على التساؤل حول هذه النقطة وقد قال تعالى في كتابه العزيز: «وَإِذَا أَخْذَ اللَّهُ مِيقَاتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتَبِعُنَّهُمْ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُونُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ» أفتوني.

ج: الحمد لله وحده، والصلاحة والسلام على رسوله وأله وصحبه.. وبعد:

ثبوت مغفرة الله لشخص أو رحمته سبحانه إياه بعد موته من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى ثم من أعلمه الله بذلك من ملائكته ورسله وأنبيائه، فإن خبار شخص غير هؤلاء عن ميت بأن الله قد غفر له أو رحمه لا يجوز إلا من ورد فيه نص عن المعصوم ﷺ، وبدون ذلك يكون رجماً بالغيب.

وقد قال الله تعالى: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبُ إِلَّا  
اللَّهُ»، وقال: «عَلِمَ اللَّهُ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْرِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ  
أَرَّقَنَّ مِنْ رَسُولٍ».

ولكن يرجى للمسلم المغفرة والرحمة ودخول الجنة فضلاً من الله ورحمة، ويُدعى له بالمغفرة والرحمة بدلاً من الإخبار عنه بأنه مرحوم مغفور له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ﴾.

وفي صحيح البخاري عن خارجة بن زيد بن ثابت: أن أم العلاء - امرأة من الأنصار قد بايعت النبي ﷺ - أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في بيوتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمنك الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمه؟» فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال: «أما هو فقد جاءه اليقين، والله إنني لأرجو له الخير والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بي»، قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعد أبداً.

وقوله ﷺ: «والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بي» هذا كان قبل أن ينزل الله قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَنْهَاكُمْ فَتَمَّا مُؤْمِنًا لِيَغْفِرَ لَكُمْ اللَّهُ مَا تَكَبَّرَ مِنْ ذَنِيْكَ وَمَا تَأْخَرَ﴾ الآية، وقبل أن يعلمه سبحانه أنه من أهل الجنة.

وبالله التوفيق، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

### س - ما هي الوهابية؟

ج: الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على رسوله وآلـهـ وصحبه.. وبعد:

الوهابية لفظة يطلقها خصوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله على دعوته إلى تجريد التوحيد من الشركيات ونبذ جميع الطرق إلا طريق محمد بن عبد الله ﷺ، ومرادهم من ذلك تنفير الناس

من دعوته وصدهم عما دعا إليه، ولكن لم يضرها ذلك بل زادها انتشاراً في الأفق وشوق إليها من وفهم الله إلى زيادة البحث عن ماهية الدعوة وما ترمي إليه وما تستند عليه من أدلة الكتاب والسنّة الصحيحة، فاشتد تمسكهم بها وغضوا عليها وأخذوا يدعون الناس إليها والله الحمد.

وبالله التوفيق، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

س - أريد اتباع منهج في العقيدة بعد أن عرفت أمور ديني من صلاة وصيام، والحمد لله درست (التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب، و(الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية، فهل تدلوني على المنهج القويم في الدراسة الجادة؟

ج: الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على رسوله وآله وصحبه .. وبعد:

نرجو من الله أن يزيدك بصيرة وعلماً إلى ما لديك، وننصحك بقراءة كتب العقيدة السلفية منها ما ذكرته في سؤالك، ومنها «شرح العقيدة الواسطية»، و«شرح العقيدة الطحاوية»، وشرح كتاب التوحيد المسمى «فتح المجيد» للشيخ عبدالرحمن بن حسن، وشرحه أيضاً المسمى «تيسير العزيز الحميد» للشيخ سليمان بن عبدالله، وكتاب «الحموية» وكتاب «التدميرية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب «التوحيد» لابن خزيمة.

كما نوصيك بأن تكون عنايتك بكتاب الله العظيم تلاوة وتدبراً أكثر من عنايتك بغيره، لأنه أصدق كتاب وأشرف كتاب وأنفع كتاب ..

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

س - ما رأيكم في كتابي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (منهج السنّة) و(شرح حديث النزول)؟

ج: الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على رسوله وأله  
وصحبه .. وبعد:

هذان الكتابان من خير الكتب علمًا واستدلالاً وحسن بيان وقوة  
في رد الباطل ونصرة الحق وسلامة في العقيدة، ولا يوجد كتاب في  
الرد على الرافضة - فيما نعلم - مثل كتاب (منهاج السنة)، ولا كتاب  
في شرح حديث النزول أكمل من كتابه في شرح حديث النزول فيما  
نعلم.

وبالله التوفيق، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



## آثار التوحيد

الحمد لله رب العالمين ولِي الصالحين، ولا عدوان إلا على  
الظالمين، والصلة والسلام على أشرف المرسلين وأفضل الخلق  
أجمعين وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد:

هذه الرسالة تدور حول مسائل: ضعف التوحيد في حياتنا  
المعاصرة وأثر ذلك في انتشار بعض المخالفات الشرعية التي ظهرت  
على الساحة.

لقد بعث الله محمداً ﷺ والدنيا مظلمة ظلماء شوهاء عمياً، لا  
تجد طريقاً ولا مسلكاً، ولا نوراً ولا هداية، فهدى الله به الناس  
وأخرجهم من الظلمات إلى النور «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمَّةِ  
رَسُولًا مِّنْهُمْ يَسَّلُوا عَلَيْهِمْ مَا يَشَاءُونَ وَيُرَكِّبُهُمْ وَيَعْلَمُهُمْ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَلَمْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي  
صَلَلٍ مُّبِينٍ ﴿٤﴾».

فلا إله إلا الله، كم بصر به ربه من العمى؟

وكم أسمع به من الصمم؟

وكم هدى به من الضلال؟

وكم علم به من الجهلة؟

ولا إله إلا الله، ما أعظم فضله على الناس!

وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَشْهَرْ نُورَهُ!  
عَلَمَ الْعَجُوزَ فِي قَعْدَتِهِ حَتَّى تَعْلَمَ الْإِسْلَامَ، وَعَلَمَ الطَّفَلَ  
وَعَلَمَ الشَّيْخَ.

دَخَلَتْ رِسَالَتُهُ إِلَى الْمُلُوكَ وَخَاطَبَتِ الْفَلَاحِينَ وَذَهَبَتْ إِلَى الْبَادِيَةِ،  
فَمَنْ اهْتَدَى بِهُدَىٰ مُحَمَّدٍ هَدَاهُ اللَّهُ وَكَفَاهُ اللَّهُ وَشَفَاهُ اللَّهُ وَرَعَاهُ اللَّهُ.  
وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَنْ رِسَالَتِهِ لَعْنَهُ اللَّهُ وَأَخْزَاهُ اللَّهُ  
وَضَلَّهُ اللَّهُ.

وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبِلُ اللَّهُ عَنْهُ صِرْفًا  
وَلَا عَدْلًا وَلَا كَلَامًا، وَلَا يَزْكُيَهُ وَلَهُ عِذَابٌ أَلِيمٌ.

كُلُّ عَيْنٍ عَمِيَاءٌ إِلَّا عَيْنٌ رَأَتْ هُدَيْتَهُ.

وَكُلُّ أَذْنٍ صَمِيَاءٌ إِلَّا أَذْنٌ سَمِعَتْ بِدُعَوَتِهِ.

وَكُلُّ قَلْبٍ مَلْعُونٌ إِلَّا قَلْبٌ أَسْتَنَارَ بِنُورِهِ.

وَكُلُّ أَرْضٍ مَظْلَمَةٌ إِلَّا أَرْضٍ أَشْرَقَتْ عَلَيْهَا شَمْسُ رِسَالَتِهِ.

أَتَى إِلَيْنَا وَكَانَ أَجْدَادُنَا يَعْبُدُونَ الصُّنْمَ وَيَسْجُدُونَ لِلْوَثْنِ.

يَزْنُونَ وَيَخُونُونَ وَيَغْشُونَ وَيَغْدُرُونَ وَيَفْتَرُونَ وَيَكْذَبُونَ، فَأَخْرَجُوهُمْ  
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَعَلَمْتُمُوهُمْ تَوْحِيدَ الْبَارِيِّ.

وَقَفَ عَلَى الصَّفَا يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
تَفْلِحُوا»<sup>(۱)</sup>.

وَقَالَ ﷺ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ: «أَمْرَتُ أَنْ أَفَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشَهِدُوا أَنَّ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا

(۱) متفق عليه.

فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»<sup>(١)</sup>.

فجرد السيف وأخرج أصحابه كتائب ودعا إلى طريق الجنة، فمن عصاه قاتله، فإن انتصر عليه فالمقتول في النار، وإن هداه الله فالمقتول في الجنة.

فقمت سوق الجنة وسوق النار، ونصب الميزان وامتد الصراع على متن جهنم، وتطايرت الصحف ونزل جبريل وقام سيف العدالة. فما أتت خمس وعشرون سنة إلا والدنيا على حزبين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

فأسأل الله أن يجعلنا من حزبه، وأن يحشرنا تحت لوائه، وأن يدخلنا في زمرته، وأن يوقفنا إلى سنته، وأن يجعلنا من أتباع سيرته، وأن لا يضلنا بعد إذ هدانا.

التوحيد الصافي الجميل هو أن تعبد الله الواحد الأحد. وثمرته أن تتعلق بالباري وأن تعتقد أنه لا ينفع إلا الله، وأنه لا يضر إلا الله، ولا يشافي إلا الله، ولا يعافي إلا هو.

ولذلك لام الله الأنداد ومن اتخذ هذه الأنداد فقال: «وَلَقَدْ جَاءُوكُم مِّنْ دُولَةٍ مَا لِهَا لَآ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿١٧﴾». فأنت العقيدة سهلة ميسّطة عرضها في القرآن يعرفها العاصي يوم يقرؤها والأعرابي والبدوي والعجز.

يقول سبحانه وهو يدلّ على قدرته: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَيْهِ كَيْفَ خُلِقُتِ الْأَنْعَمُونَ ﴿١٨﴾ وَإِلَى السَّمَاوَاتِ كَيْفَ رُفِعَتِ الْمِجَالِ ﴿١٩﴾ كَيْفَ نُصِبَتِ الْأَرْضُ ﴿٢٠﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتِ الْأَرْضُ ﴿٢١﴾».

(١) متفق عليه.

ويقول الله عز وجل وهو يضرب لنا الأمثلة على البعث والنشور:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّيْهِ أَنْ يَأْتِهِ اللَّهُ الْمَلَكُ إِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يَعْتَقِيَ وَيُبَيِّنُ قَالَ أَنَا أَنْتَ وَأَمْبَيْتُ قَالَ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْفِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبَهْتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي النَّقْوَمَ الظَّالِمِينَ ﴾٢٥٨﴾.

وصحّ عنه ﷺ أن أعرابياً أتى يسأله ﷺ: ما هو الدين؟ ومن هو الله؟

فقال ﷺ عن الله: «هو الذي إذا أصابك ضرٌ فدعوه كشف عنك الضر»<sup>(١)</sup>. فهذه العلاقة هي الدليل على الواحد الأحد دون الحاجة إلى كثرة المصطلحات والتعريفات المحدثة.

وقال تعالى عن البعث بعد الموت ردًا على من أنكره: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَرَسَى خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُنْحِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُنْحِيَهَا الَّذِي أَشَأَهَا أَوْلَ مَرَّةً وَهُوَ يَكُلُّ خَلْقَ عَلِيهِ ﴿٧٩﴾، «فَلَمَّا أَقَى عَلَى الْإِنْسَنِ حِينٌ مِّنَ الْأَدَهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿٨٠﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجَ تَنْتَلِيَةَ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٨١﴾».

وأكثر سبحانه من تذكير البشر بمظاهر الحياة الدالة على وحدانيته كإنزال الغيث وإخراج النبات ما بين ورد أحمر وأصفر وأخضر وأغصان قيحاً في حدائق جميلة.

قال سبحانه: «وَنَزَّلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاهِ مُبَرِّكًا فَأَنْبَتَنَا بِهِ جَنَاحَ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ يَاسِقَتِ لَهَا طَلْعَ نَصِيدِ ﴿١٠﴾ إِرْزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَنَا بِهِ بَلَدَةَ مَيْتَنَا كَذَلِكَ الْخَرْقَنِ ﴿١١﴾».

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من خلق السماء؟

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني في الصحيحه (١١٠٩).

قال: «الله».

قال: من بسط الأرض؟

قال : «الله» .

قال: من نصب الجبال؟

قال: «الله».

قال: أَسْأَلُكَ بِمَنْ رَفَعَ السَّمَاوَاتِ وَبِسْطِ الْأَرْضِ وَنَصْبِ الْجَبَالِ، أَللَّهُ أَرْسَلَكَ لَنَا رَسُولًا؟

قال: «اللهمَّ نعم»، وكان عليه السلام متكتئاً فجلس لأنَّه سُؤلَ لِوَضْعِ عَلَى الْجِيَالِ لِتَدْكِدَكْتُ.

قال: أسألك بمن رفع السماء ويسط الأرض ونصب الجبال ، الله أمرك بأن تأمرنا بخمس صلوات في اليوم والليلة؟

قال: «اللهمَّ نعم».

فأخذ يسأله حتى انتهى من أركان الإسلام، الدين السهل البسيط الجميل البديع الرائع، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، والله لا أزيد على ما سمعت ولا أنقص، أنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر، ثم ولّ.

**فقال ﷺ:** «من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» متفق عليه.

وهذا دليل على سهولة الدين ويسير التوحيد.

قال تعالى: «طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتُشَقَّقَ، ﴿٢﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّجِيمٌ ﴿٣﴾».

والتوحيد أليس كالثوب الأبيض، أي شيء يدنسه ويؤثر فيه.

لو قلت: ما شاء الله وشاء فلان، لخدشت توحيدك.

لو قلت: لا وأبي، لخدشت توحيدك.

لو قلت: وحياتي، لخدشت توحيدك.

لو اعتقدت في شخص أنه يضر وينفع من دون الله لخسرت توحيدك، ﴿وَلَقَدْ أُرِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَجْعَلَنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَتَّارِينَ ﴿٦٥﴾ بِلِ اللَّهِ فَأَعْمَدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

والتوحيد يصلك بالباري فيجعل في قلبك أن كل شيء بيد الله.

بالتوحيد تقول: «**حَسْبُنَا اللَّهُ وَيَقْنَعُ الْوَكِيلُ**»، فإذا الدنيا أمامك قد صغرت وتلاشت واضمحلت فلم يبق إلا اعتمادك بالله.

قال ابن عباس في صحيح البخاري: «**حَسْبُنَا اللَّهُ وَيَقْنَعُ الْوَكِيلُ**» قالها إبراهيم لما أوقدوا النار له فجعلها الله برداً وسلاماً، و«**حَسْبُنَا اللَّهُ وَيَقْنَعُ الْوَكِيلُ**» قالها محمد في أحد لما قيل له: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْسَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَيَقْنَعُ الْوَكِيلُ».

فقال الله: «**فَأَنْقَلَبُوا شِعْمَةً مِنَ اللَّهِ وَفَضَلَ لَمْ يَتَسَبَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْمَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ دُوْ فَضْلٌ عَظِيمٌ**».

و «**حَسْبُنَا اللَّهُ وَيَقْنَعُ الْوَكِيلُ**» قالها خالد بن الوليد لما أشرف عليه جيش الروم كالجبال وهم ألوه.

فانتصر عليهم رضي الله عنه.

التوحيد يجعل المريض عندما يتقلب على فراشه يتصل بالواحد الأحد.

دخلوا على أبي بكر الصديق الموحد الكبير نحيف الجسم، لكن قوي الإرادة، هزيل البنية لكن كبير القلب، همته تمر مر السحاب، صنع الله الذي أتقن كل شيء.

قالوا: ألا ندعوك لك طيبا؟

قال: الطبيب قد رأني.

قالوا: ماذا قال لك؟

قال: إني فعال لما أريد.

فأخذها بعض الشعراء فقال:

كيف أشكو إلى طببي ما بي والذى قد أصابنى من طببى  
ودخلوا على عمران بن الحصين أحد الصحابة فقالوا: يا عمران  
مرضت ثلاثين سنة فادع الله أن يشفيك.

قال: ما دام أن الله يحب هذا المرض فأنا أحبه.

إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكُم الْمُ  
ولا يمكن أن تدرك أسرار التوحيد إلا إذا قرأت سير الصحابة،  
وتراجم الصحابة، وأعلام الصحابة.

يأتي رسول الله إلى أبي بن كعب والحديث صحيح فقال: «يا أبي  
إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة البينة». الله من السماء يأمر  
محمدًا رسول الله في الأرض أن يقرأ على أبي سورة البينة.

قال: وسماني في الملا الأعلى؟

قال: «نعم، إن الله سماك».

فدمعت عين أبي وقال: الحمد لله، أو كما قال.

فاندفعت بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يقرأ<sup>(١)</sup>.

التوحيد أخرج من هذه النماذج أبطالاً.  
يأتي أحدهم إلى معركة أحد فيقال له: عُد.. عُد، والكفار  
أمامه.

فيقول: إليكم عندي، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة من  
دون أحد.

التوحيد يجعل جعفرأ يخرج إلى مؤنة فتقطع يده اليمنى فيأخذ  
الراية باليسرى، فيقطعوا له اليسرى فيضم الراية ويقول:

يا حبذا الجنة واقتربها طيبة ويارد شرابها  
والروم روم قد دنا عذابها على إن لاقيتها ضرابها  
ولما نقص توحيدنا تعطلت المساجد عن الصلوات.  
ولما ضعف التوحيد في قلوبنا كثرت المعاصي.

فأموال الكثيرين في الربا، فأحدهم يأكل الربا ويشرب الربا  
ويلبس الربا وبيني من الربا ويشتري سيارته من الربا ويقول: يا رب يا  
رب، ومطعمه حرام وملبسه حرام ومشربه حرام، فأئن يستجاب له.  
لما ضعف التوحيد في قلوبنا قطعنا الجار الذي يقول عنه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:  
«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظنت أنـه سبورث»<sup>(٢)</sup>.

وأكثر خصومات الناس اليوم - إلا من رحم ربك - بين العيران،  
لأن التوحيد ما رسم في القلوب.

ورد في الحديث أن جاراً آذى جاره فأئن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فقال: «اصبر  
واحتسب».

---

(١) (٢) متفق عليه.

فصبّر واحتبس، لكن ذاك ما أتعظ فقال: يا رسول الله آذاني  
وسبّني وشتمني.

قال: «خذ متابعك وانزل إلى الطريق».

فخرج بأطفاله وزوجته وبمتابعه.

فأمر الناس عليه وقالوا: ما لك يا فلان؟

قال: أخرجنني جاري من داري.

قالوا: لعنه الله.

فأصبح المار يلعن جاره ويشتمه<sup>(١)</sup>.

ولذلك يقول ابن القيم: من سعادة الحياة أن يرزقك الله جاراً  
 صالحاً أو كما قال.

أما رأيت إلى امرأة فرعون عندما قالت: «رَبِّ أُنِّي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا  
فِي الْجَنَّةِ» فقدمت العjar قبل الدار فقالت: «عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

ولذلك قال عليه السلام: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن».

قالوا: من يا رسول الله؟

قال: «من لا يؤمن جاره بوائقه»<sup>(٢)</sup>.

فمن ضعف التوحيد في قلوبنا وعدم اتصالنا بالباري كما اتصل  
الصحابية ضعف هذا الأمر.

---

(١) صحيح أبي داود (٤٢٩٢).

(٢) متفق عليه.

كان عليه السلام وهو معلم التوحيد وجاره يهودي، فإذا شرى عليه السلام لحمة بدأ باليهودي فأعطاه، أو فاكهة أو تمراً أو لبساً. فأسلم اليهودي.

وعبدالله بن المبارك سكن في خراسان بجوار يهودي.  
فكان ابن المبارك إذا شرى لحمة لأطفاله قدم اللحم لأطفال الجار، وإذا كسا أبناءه كسا أطفال اليهودي.

وبعد فترة أتى التجار لليهودي وقالوا: نشتري بيتك.  
قال: بيتي بألفي دينار، أما ألف فقيمه، وأما ألف فقيمة جوار ابن المبارك.

فأخبروا ابن المبارك.  
فدمعت عيناه وقال: اللهم اهده إلى الإسلام.  
وما هي إلا لحظات وإذا اليهودي يأتي ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.  
فيأيها المسلمون إن مما ينبغي أن نعظم به التوحيد في قلوبنا هو تعاملنا مع الناس.

ومن نقص التوحيد ومن ضعف التوحيد عقوق الوالدين.  
ولا إله إلا الله، كم من شيخ بكى من عقوق ابنه؟  
وكم من أم اشتكت وبكت وناحت من ظلم ابنها؟  
لأنه ابن نقص توحيده فما عرف الباري، وما استنار بنور محمد صلوات الله عليه.

فحمله موت التوحيد ونقص التوحيد ومرض التوحيد في قلبه إلى أن عَّقَ أمه وأباه.

فأصبح كما قال الأول:

يقول تعالى: «وَقُنْدِيقَةَ رَبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيمَانَهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَتْنَا لِمَا  
بَلَغْنَا عِنْدَكُمُ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَّاهُمَا فَلَا تُقْلِلُ لَهُمَا أُفْيَ وَلَا تُنْهِرُهُمَا وَقُلْ  
لَهُمَا قُوَّلًا كَرِيمًا وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الظُّلْلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْجُمُهُمَا  
كَمَا رَبَّيْافِ صَفِيدَ». (٢٤)

ولذلك قال صحابي: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن  
صحابتي؟

قال: «أمك».

قال: ثم من؟

قال: «أمك».

قال: ثم من؟

قال: «أمك».

قال: ثم من؟

قال: «أبوك»<sup>(١)</sup>.

فسبحان الله كم للوالدين من حقوق!

قال أنصاري: يا رسول الله هل بقي من بر أبوئ شيءٍ أبرهما به  
بعد وفاتهما؟

(١) متفق عليه.

قال: «نعم، بالصلوة عليهما، والاستغفار لهما، وبالصدقة، وبصلة الرحم التي لا تصل إلا بهما» أو كما قال عليه السلام<sup>(١)</sup>.

فالبر البر يا مسلمون، وطاعة الوالدين في طاعة الباري سبحانه وتعالى.

واعلموا أنه لما نقص التوحيد من القلوب سمعنا بقضايا القتل والنهب والسلب والاعتداءات على الأرواح المعصومة.

ومال المصطفى عليه السلام صَحَّ عنه أنه قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلات: الشَّيْبُ الزَّانِيُّ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»<sup>(٢)</sup>.

ولكن يوم ضعف التوحيد أخذ ذاك السيف أو الخنجر أو الرشاش أو المسدس واعتدى على أخيه المسلم فقتله.

قال سبحانه وتعالى: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَرَأَهُمْ جَهَنَّمُ حَكَلِدًا فِيهَا وَعَصِيبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَتُهُ وَأَعْدَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٣)».

وقال سبحانه: «وَالَّذِينَ لَا يَتَعُونُ مَعَ اللَّهِ إِنَّهَا آخِرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْثُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَشَدَّا مَا يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمَغْلُظٌ فِيهِ مُهَاجِنًا (٤) إِلَّا مَنْ تَابَ وَمَأْمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥)».

ويرى في الأثر: «لو اجتمع أهل الأرض وأهل السماء على قتل مسلم بغیر حق لکبیهم الله جمیعاً على وجوههم في النار»<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه أبو داود بنحوه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذی (١٣٩٨) وقال: هذا حديث غريب.

ويُروى في الأثر: «ما من جريمة إلا وتهون بعد الشرك إلا قتل النفس المعصومة، ولزوال الدنيا بأسرها أهون عند الله عز وجل من قتل أمرىء مسلم»<sup>(١)</sup>.

والعجب أنه لما قتل أحد أبناء آدم أخيه ما جفَّ الدم من ذاك الوقت إلى اليوم.

فمن حمل علينا السلاح كما قال ﷺ فليس منا<sup>(٢)</sup>، وقد خرج من دائرة الإيمان وهو تحت المشيئة.

لكنه استوجب غضب الله، ولعنة الله، ونار الله.

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار».

قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل بما بال المقتول؟

قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»<sup>(٣)</sup>.

واعلموا أيها المسلمين أن من أعظم ما نقص به التوحيد في نفوسنا هو: قطيعة الرحم، وهي جريمة ما سمع الناس بمثلها.

أما رأيت القطر كيف جف؟

أما رأيت البيل ما صاح في البستان؟

أما رأيت الزهرة كيف ماتت من القحط؟

أما رأيت قلة البركة في الأمطار؟

أما رأيت قسوة القلوب وجفاف الأرواح بقطيعة الرحم؟

---

(١) رواه الترمذى والنسائى.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

أما رأيتبغضاء والحسد والحق والغل بقطيعة الرحم؟

أما رأيت فساد بعض النساء بقطيعة الرحم؟

﴿فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِن تَوَلَّتُمْ أَن تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ  
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعْنَهُمُ اللَّهُ فَأَصْمَمَهُمْ وَأَعْنَمَ أَبْصَرَهُمْ﴾.

يقول ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع»<sup>(١)</sup>.

اخت تشكو أخاها الذي حرمها ميراثها.

اخت تشكو أخاها الذي ما زارها عشر سنوات.

أخ يبكي من أخيه الذي هجره وقاطعه وما سلم عليه عشرات السنوات من أجل أرض، من أجل تراب، من أجل سيارة.

يقول ﷺ فيما صح عنه: «ليس الوा�صل بالمحافىء، ولكن الوा�صل من إذا قطعت رحمه وصلها»<sup>(٢)</sup>. يعني ليس الوصل أنك إذا وصلك أخوك وصلته.

لا .. بل الوा�صل من إذا قطعك وصلته أنت، أو حرملك أعطيته، أو ظلمك رحمته.

ولذلك يروى عنه ﷺ أنه قال: «إن الله أمرني أن أصل منقطعني، وأن أغفو عن من ظلمني، وأن أعطي من حرمني».

وصدقتك وبررت والله .. لقد وصلت من قطعك، وأعطيت من حرملك، وغفت عن ظلمك.

قطعك الأقارب فأتيت إليهم يوم مكة فقلت: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) سيرة ابن هشام (٤١١/٢).

وقلت لهم: عفا الله عنكم.

يقول الشاعر:

وإن الذي بيسي وبينبني أبي  
إذا هتكوا عرضي وفرت عروضهم  
ولا أحمل الحقد القديم عليهم  
ولذلك صح عنه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أنه قال: «لما خلق الله الرحم تعلقت  
بالعرش وقالت: هذا مقام العائد بك من القطيعة».

قال الله: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأن أقطع من قطعك؟

قالت: بلى يا رب.

قال: فذلك لك»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة  
أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأغفو عنهم  
ويظلمونني.

قال: «إن كنت كما تقول فلا يزال معك عليهم من الله ظهير  
وكأنما تسفهم المل»<sup>(٢)</sup>، والمَلُّ هو الرماد الحار.

يقول: لا يزال الله معك، والله نصيرك، والله في حزبك لأنك  
المصيبة وهم المخطئون.

فوصيتي لكم بصلة الرحم، وبالزيارة والعفو وإعطاء الميراث  
والكف عن الأذى.. وإذا قطعوا أن تصل.. وإذا ظلموا أن تعفو..  
وإذا منعوا أن تعطي.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

ويوم ضعف التوحيد أنت شهادة الزور وأصبحت ظاهرة.

والله قد قرناها بالشرك فقال سبحانه: «فَاجْتَنِبُوا الْجِنَّةَ مِنْ الْأَوَّلَيْنَ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَكَ الْزُّورَ».

وقال الرسول ﷺ: «ألا أبغكم بأكبر الكبائر؟».

قالوا: بلـى يا رسول الله.

قال: «الشرك بالله وعقوق الوالدين»، وكان متكتئاً فجلس وقال: «ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور»<sup>(١)</sup>، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.

وشهادة الزور فيها ثلات مصائب:

أولاً: تضليل القاضي فيحكم بالخطأ بحسب ما يقع أمامه.

الأمر الثاني: أنها تحرم المسلمين حقوقهم وتصرفها إلى هؤلاء الظلمة.

الأمر الثالث: أنها تحبط سعي هذا الكاذب وتلقيه على وجهه في نار جهنم والعياذ بالله.

ويوم ضعف التوحيد في القلوب أنت اليمين الغموس واقتُطعت الأموال بها.

يقول ﷺ فيما صَحَّ عنـه: «من اقطع مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه خضبان».

قالوا: ولو كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟

قال: «ولو كان قضيباً من أراك»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

راوي هذا الحديث هو سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، روى الحديث لأن امرأة أتت تشكوه إلى أحد الخلفاء فقالت: غصبني مزرعتي.

فلما حاكموه قال: والله الذي لا إله إلا هو ما كنت أغصبها مزرعتها وقد سمعت الرسول ﷺ يقول: «من اقطع مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان»، اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في مزرعتها. فعميت، ثم ذهبت تريد الماء فانزلقت فوقعت على رأسها في البئر فماتت.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «من اقطع شبراً من الأرض ظلماً طوّق الله إياه من سبع أراضين يوم القيمة»<sup>(١)</sup>.

قال بعض العلماء: أي تكون الأرض كالطوق في عنقه. ويوم ضعف التوحيد في القلوب ظهرت علامات النفاق. والذي لا يخاف من النفاق فهو منافق. والصالحون بكوا من النفاق وخافوه.

أتى عمر رضي الله عنه وأرضاه كما في الصحيح إلى حذيفة فقال: أسألك بالله يا حذيفة أسماني ﷺ من المنافقين؟ قال: لا والله ولا أزكي أحداً بعدك.

قال الحسن: ما خافه إلا مؤمن، وما أمنه إلا منافق. فليحذر العبد النفاق فإن له علامات:

منها: الكذب في القول، والخيانة عند الائتمان، والخلف في الوعد، والفسور عند اليمين، والغدر في العهد.

---

(١) رواه مسلم.

ومنها: الاستهزاء بالدين الإسلامي ومبادئه من الكتاب والسنّة، والاستهزاء بالصالحين والدعاة والأخيار.

ومنها: التكاسل عن الصلاة.

ومنها: مراءة الناس بالعمل وطلب السمعة.

ومنها: قلة الذكر والعياذ بالله إلى غيرها من العلامات التي ذكرتها في رسائل أخرى من هذا المجموع.

ولما ضعف التوحيد في القلوب: انتشر الربا خصوصاً من بين تلكم المعاصي السابقة.

قال سبحانه وتعالى: «يَتَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَرْبَوَا أَصْعَدُكُمْ  
مُضْكَعَفَةً وَأَنْقُوا اللَّهَ لَعْنَكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١٠﴾».

وقال سبحانه: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَرْبَوَا لَا يَعْمُونَ إِلَّا كَمَا يَعْمُونُ  
الَّذِي يَتَجَبَّلُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّا أَبْيَعُ مِثْلَ أَرْبَوَا وَأَحَلَّ  
اللَّهُ أَبْيَعَ وَحْرَمَ أَرْبَوَا فَنَّ جَاهَ مَوْعِظَةً تِنْ رَبِّهِ فَأَنْهَى فَلَمْ مَا سَلَّفَ وَأَمْرَاهُ إِلَى  
اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ﴿١١١﴾».

وقال تعالى: «يَمْحُقُ اللَّهُ أَرْبَوَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ  
كُفَّارٍ أَشِيمَ ﴿١١٢﴾».

ثم قال سبحانه: «يَتَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْقُوا اللَّهُ وَذَرُوا مَا يَقْنَى مِنَ  
أَرْبَوَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعُلُوا فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ  
تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا نَظْلِمُونَ وَلَا نُظْلَمُونَ ﴿١١٤﴾».

وقال ﷺ فيما صَحَّ عنْه: «لِعْنَ اللَّهِ أَكْلُ الرِّبَا وَمُوكِلُهُ وَكَاتِبُهُ  
وَشَاهِدُهِ»، وقال: «هُمْ سَوَاءٌ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم.

وعند الحاكم وصححه، وابن ماجه في السنن يروى أن الرسول ﷺ قال في حديث ابن مسعود: «الربا ثلاثة وسبعون باباً أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم». والربا قسمان: ربا فضل، وربا نسيئة.

فربا الفضل يدخل في أجناس الذهب والفضة والبر والشعير وغيرها من المأكولات والموزونات، فلا بد فيها من شرطين: التقابل والمساواة.

وربا النسيئة هو ربا التأخير، بأن يؤخرك في الدين ويزيد عليك المبلغ.

واعلموا أيها المسلمين أن من ضعف التوحيد في القلوب: عدم الاهتمام بالمرأة، وعدم تربيتها على الكتاب والسنّة. والمرأة المسلمة لها صفات:

من صفاتها أنها تؤمن بالواحد الأحد.

فواجب زوجها وابنها وأخيها أن يربُّوا الإيمان في قلبها حتى يكون كالجبال.

ويغرسون في قلبها لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ومن صفاتها: التزود بالصالحات، والتزود بالنوافل، وألا تخلي بيته من ذكر الله.

فيكون بيته سليماً من الآثام والمنكرات.

والمرأة المسلمة لا تتشبه بالكافرات، فإن «من تشبه بقوم فهو منهم»<sup>(١)</sup> كما قال ﷺ.

---

(١) رواه أحمد (٢/٥٠)، وصححه الألباني في الإرواء (١٢٦٩).

والمرأة المسلمة لا تتشبه بالرجال، صَحَّ عنْهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَعْنَ اللَّهِ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرت كثيراً من صفات المرأة المسلمة التي يجب أن تتحلى بها في عدة رسائل من هذا المجموع، فلعلها أن تعود إليها.

واعلموا يا مسلمون أن التوحيد لما ضعف قلًّا ارتياض المسلم للتوبة.

والتبوية أمر عظيم، فإنها هي التي تصرف اليأس عن قلوبنا.

ويبعد القنوط عن أنفسنا فنعود سريعاً من الذنب عندما نتذكر باب التبوية المفتوح، «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَّةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَأَسْتَقْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصْرِرُ عَلَى مَا فَعَلَوْا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»<sup>(٢)</sup>.

فواجب المسلم اليوم أن يكثر من التبوية النصوح بين الحين والآخر، لأننا لا نخلو في أوقاتنا من ذنب نقارفه.

واعلم أن من آثار التوحيد على حياتنا أن نتزود بالنواقل بعد الفرائض، ففي الحديث: «وَلَا يَزَالْ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أُحِبَّتِهِ كَنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصِرُ بِهِ، وَرَجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»<sup>(٣)</sup>.

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وطلب مرفاقته في الجنة فقال: «أَعْنَى عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

وهكذا التزود من الذكر كما قال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُوهُ أَذْكُرْتُمْ﴾ .

ومن آثار التوحيد: ترك الذنوب صغيرها وكبیرها والخلص من الآثام ليزکو القلب وتطهر النفس.

والله أعلم، وصلی الله على نبینا محمد وآلہ وصحبہ وسلم.



## الاعتراض

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآلـه وصحبه أجمعين.

أما بعد:

هذا موضوع كبير وخطير، أما خطورته فلأنـه يتعرّض لضربيات من أهل البدع والضلـال على مر العصور والدهور والأعوام والأيام، وأما كونـه كبيرـاً فلأنـه شغلـ كثيرـاً من علمـاء الإسلام حتى خصـوه بالتألـيف وكتبـوا فيه مجلـدات، وكانت مجالـسهم تدارـ فيها.

هذا الموضوع على ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: الحث على اتباع الكتاب والسنـة.

العنصر الثاني: حرص السلف الصالـح على الاقتدـاء بـسنـتـه ﷺ.

العنصر الثالث: النهي عن التقدـم بين يدي الله ورسـولـه والتـكـلف والتـعمـق والتـنـطـع، ووجـوبـ الـاكـفـاءـ بالـكتـابـ والـسـنـةـ.

فأقول: الله يمدحـ الذينـ يتمـسـكونـ بالـكتـابـ والـسـنـةـ لأنـهماـ سـرـ أصـالةـ هـذـهـ الأـمـةـ وـعـمـقـهاـ وـتـوـجـهـهاـ. ولـمـ كـانـ أـصـحـابـ الرـسـولـ ﷺـ مـكـتـفـينـ بـثـقـافـةـ مـحـدـودـةـ مـضـبـوـطـةـ كـانـواـ مـرـشـدـينـ مـسـدـدـينـ مـهـدـيـينـ، فـلـمـ كـثـرـتـ عـلـىـ الـقـرـونـ الـتـيـ بـعـدـهـمـ الـثـقـافـاتـ وـدـخـلـتـ الـبـدـعـ وـتـرـجـمـتـ كـثـيرـ منـ الـمـقـالـاتـ وـالـكـتـبـ، دـخـلـ الـزـيـفـ وـالـدـخـنـ وـالـدـخـلـ لـمـ يـقـلـحـواـ.

ويظن كثير من الناس أن كثرة الثقافة الغربية الوافدة برقة ونور،  
وما علموا أنه تدهور للأمة إذا صدقت عن كتاب الله عز وجل.

بدأت الأمة مع محمد ﷺ بالكتاب والسنّة ثم وصلت إلى عهد  
المؤمن فترجمت الكتب الأجنبية فأتت البدعة.

قال الله عز وجل: «وَالَّذِينَ يُسْكُنُونَ بِالْكِتَبِ»، قال أهل  
العلم: «يُسْكُنُونَ» صيغة مبالغة ومعناها يتقيدون بأوامر الكتاب.

وللفائدة يقول أهل العلم: إذا ذكر الكتاب مجرداً فالسنة تدخل  
معه تبعاً، وإذا ذكرت السنة أصلاً فالكتاب يدخل معها دخولاً أولياً.

قيل للإمام مالك: ما النجاة؟

قال: السنة وهي سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف  
عنها هلك.

وقالوا لعلي وهو على منبر الكوفة: ما النجاة؟

قال: الكتاب. يعني القرآن.

قال بعض العلماء: لا يعني بالكتاب إذا ذكر لوحده أنه القرآن  
دائماً لأنه لو اقتصر عليه في مواطن لكان المقتصر ضالاً لأنه سيترك  
السنة.

ولذلك يأتي من أمثال الخوارج وأمثالهم من يدعونا إلى التقييد  
بالكتاب لا بالسنة.

قال ابن تيمية: الخوارج يأخذون بظواهر القرآن ولا يأخذون  
بالسنة التي ليست في القرآن.

دخل رجل من أجدادهم وأسيادهم وعملائهم على عمران بن  
حصين - والحديث في السنن - فقال: يا عمران من أين هذه الأحاديث  
التي تحديثون بها ونحن لا نجدها في القرآن؟

قال عمران: أتجد في القرآن أن صلاة الظهر أربع؟  
قال: لا.

قال: أتجد أنصبة الزكاة في القرآن؟  
قال: لا.

قال: أتجد أحكام الصيام في القرآن؟  
قال: لا.

قال: ما أسمعنا الرسول ﷺ أسمعناكما، وما تركه ﷺ تركناه  
﴿وَمَا كَانَ رَبِّكَ نَسِيًّا﴾، وهذه المقوله لابن عباس ولعمران بالفاظ  
مختلفة.

والله عز وجل يقول: «يَعْلَمُ حُكْمَ الْكِتَابِ بِقُوَّتِهِ»، قال أهل  
العلم: بقوة أي بحزم وجد وصرامة، وهي جدية الالتزام فيأخذ  
التلقي من الكتاب والستة لنكون أمة جادة فيأخذ تعاليمها من  
كتاب الله عز وجل ومن سنته رسوله ﷺ.

والله عز وجل يقول: «لَئِنْ كُنْتُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشَدُّ حَسَنَةً  
لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكْرُ اللَّهِ كَثِيرًا».

كتاب يتكلم ونبي يترجم، ولو كان الكتاب يكفي لنزل وزع  
نسخاً على الناس.

ولو كان الرسول يكفي بلا كتاب لتتكلم بما في ذهنه، ولكن «إِنْ  
هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿كَلَّمَهُ شَرِيدُ الْقَوْنَى﴾ ذُرْ مِرْقَ فَاسْتَوْى ﴿١﴾».

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا كفى بالمطاييا طيب ذكراك حاديا  
 فهو ﷺ معصوم، حتى يقول الإمام مالك لتلاميذه وهو يعرضون  
عليه الأقوال: كلٌ يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر ﷺ.

وقال الإمام أحمد لما سُئل: يا إمام، يا أبا عبدالله أيهما أفضل،  
التبتل أم الزواج؟  
قال: الزواج.

قال السائل: يقول الله عز وجل: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الْمُصَلِّيْحِينَ﴾، يمدح الله يحيى بأنه حصور لا يأتي النساء.

قال ابن عباس: لم يكن مع يحيى إلا مثل هذا - يعني آلة الجماع - ورفع شيئاً من الأرض.

فهذه الآية في مدلولها تدل على أن التبتل أفضل.

قال الإمام أحمد للسائل: يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذِرِيَّةً﴾.

قال السائل: إن إبراهيم بن أدهم يقول: ترك الزواج أفضل.

قال الإمام أحمد: أوه! وقعنا في بنيات الطريق، عليك بالمشرب الأول - يعني بمحمد ﷺ -، فإذا ما أتى الدرهم مختوماً عليه بخاتم محمد ﷺ وإنما فهو درهم زائف لا يباع به ولا يشترى، لأنه ﷺ المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى.

فالله جعل القدوة فيه.

قال بعض العلماء من أهل السلوك: الاقتداء به ﷺ على ثلاثة أضرب:

١ - اقتداء في المعتقد: وضل فيه أهل الأهواء في العقيدة كالخوارج والرافضة والأشاعرة والمعزلة.

٢ - والاقتداء بالسلوك: وضل فيه قوم كغلاة أهل الرهبنة من غلاة الصوفية وأمثالهم.

٣ - والاقتداء به في الأحكام ﷺ، وضل فيه قوم من أهل السياسات

التي خالفوا فيها سياسة الشرعية ﷺ.

وريما ندخل مع ذلك الاقتداء بالأقوال، وضل فيها بعض المتفقهة الذين جانبو النصوص عن غير عمد، وإنما تأولاً، فيؤجرون عليه أجراً واحداً، ولكن لا يسوغ أن نقلدهم في خطئهم، كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام).

قال الله عز وجل: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا فَضَّى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ لَحْيَةٌ مِنْ أَمْرِهِمْ»، ومعنى الآية: أن الأمر إذا أتى من الله عز وجل ومن رسوله ﷺ، ظاهراً لا يقبل التأويل أو لا يحتمل وجهاً أو أوجهاً غير وجه واحد، لا يسع للمسلم أن يميل عن الوجه الذي يقصده الله أو رسول الله ﷺ.

دُعِيَ ﷺ في يوم من الأيام ليفصل خصومة بين بعض الأنصار والزبير، فذهب ﷺ ووقف على الماء.

فقال: ما الحدث؟

قال الأنصاري: يا رسول الله الزبير يحبس الماء عن مزرعتي.

قال: يا زبير اترك الماء حتى تروي مزرعتك ثم أطلقه للأنصاري.

فغضب الأنصاري وأتته نعرة الجاهلية وتكلم مع سيد البشرية بكلام عجيب فقال: إن كان ابن عمتك !!

لا إله إلا الله! أعدل أهل الأرض، وأبذر أهل الأرض، وأخشى أهل الأرض، يميل مع ابن العم وابن الخالة وهو الذي يعلنها صريحة أمام العالم من على منبره في المدينة: «والذي نفسي بيده، وأليم الله، وتألم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»<sup>(1)</sup>.

---

(1) متفق عليه.

قال الزهري: وحاشاها أن تسرق، لكنه العدل، ﴿فَلَا وَرَبَّكَ لَا  
يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ يَنْهَمَ﴾.

فقال ﷺ: «يا زبیر اترك الماء حتى يعود إلى الجدر، ثم اترك  
الماء يمر»<sup>(۱)</sup>.

قال أهل العلم: أول كلامه ﷺ هو يقصد صلح الأنصارى،  
وكلامه الثاني حكم أنزله الله على لسانه.

وقال الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْهَوْنَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي  
يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَقْرَئُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، قال ابن كثير وابن جرير: نزلت هذه  
الآية في اليهود عندما قالوا: نحن نحب الله، ولكن لا نتبعك، وصدق  
بالرسل قبلك، أما أنت فلا. فقال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْهَوْنَ  
اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَقْرَئُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.  


يا مدعى حب طه لا تخالفه الخلف يحرم في دنيا المحبينا  
أراك تأخذ شيئاً من شريعته وتترك البعض تدويناً وتهوينا  
خذها جميعاً تجد فوزاً تفوق به أو فاطرها وخذ رجس الشياطينا  
إما شريعة مقدسة واتباع خالد، وإلا فانتهاء وارتداد ونكوص عن  
الطريق المستقيم.

ولذلك لم يقبل الله إيمانهم ولم يرض الله قلوبهم ولم يعجبه  
حبهم، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالظَّاهِرَىٰ هُنَّ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحَبَّتُمُهُمْ قُلْ فَلَمَّا يُعَذِّبُكُمْ  
بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ حَلَقٍ﴾.

قال الإمام مالك: بلغني أن الرسول ﷺ قال: «تركت فيكم ما

(۱) رواه البخاري.

إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنطي»<sup>(١)</sup>، هذا الحديث من بلاغات مالك بسند منقطع.

وكل موطن الإمام مالك موصول كما قال ابن عبدالبر إلا ثلاثة أحاديث، منها هذا الحديث انقطعت على ابن عبدالبر، وهو جهيد حاذق علامة، لكن أعيته العيل أن يصلها فما وجد حبلاً يشدّها إليه، فقال: ما وجدت ما أصل به هذه الآثار ومنها هذا الحديث.

فهو ضعيف لكن له شاهد عند الحاكم بسند صحيح، أن الرسول ﷺ قال: «يا أيها الناس تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنطي»، وعند الترمذى بسند ضعيف أيضاً عن جابر: «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

قال الخطابي: عترته ﷺ يؤخذ منهم العلم، وقيل: يوقرون ويقدّرون، فهو من أسباب النجاة التي ينجو بها العبد **«فُلَّ لَا أَشْكُوكُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا مَوَدَّةَ فِي الْقَرْبَنْ»**.

ولكن عترته ﷺ لو ضلّوا فإنه لا ينجيهم من الله قربهم من الرسول ﷺ، **«قَالَ وَمَنْ ذُرَيَّ قَالَ لَا يَنْأَلْ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»**.

إذا فخرت بأقوام لهم شرف نعم صدقوا ولكن بشّ ما ولدوا نعلم بذلك أن الرسول ﷺ أوصى بكتاب الله عز وجل وبيستنه ﷺ، قال العرياض بن سارية: جلسنا عند الرسول ﷺ فوعظنا موعظة بلغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال: «عليكم

(١) قال الألباني في المشكاة (٦٦/١): (هو معرض كما ترى، لكن له شاهد من حديث ابن عباس بسند حسن آخرجه الحاكم وروي من طريق أبي هريرة)، ويقصد الشيخ بالشاهد: الحديث الذي ذكره الشيخ عائض بعد هذا الأثر.

بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»<sup>(١)</sup>.

قال ابن تيمية: أمر ﷺ باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، أمراً عاماً، ثم خصّص عند الترمذى من حديث حذيفة قال: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»<sup>(٢)</sup>.

لماذا عَمِّ ﷺ بالخلفاء الراشدين المهديين ثم خصّص بأبي بكر وعمر؟

قال ابن تيمية رحمه الله في كتاب الجهاد: لأن أبي بكر وعمر لم يتأوّلا في الدماء ولا في الأموال، وأما علي فتأوّل في الدماء، وعثمان تأوّل في الأموال.

فكان أبو بكر وعمر أقرب إلى هديه ﷺ وإلى سنته، وكلهم مأجور ومشكور، ولكن الأمر المقيد بأبي بكر وعمر، والأمر المطلق بالخلفاء الراشدين المهديين رضوان الله عليهم وأرضاهم.

قال: «عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضواً عليها بالنواجد»، وهي ما يقارب الثنایا من الأسنان وهي أكثر عضواً على ما تمسك به.

قال: «وليأكلكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله».

وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، وفي لفظ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»<sup>(٣)</sup>.

فالرسول ﷺ يحرص دائمًا وأبدًا أن يربط بين الكتاب والسنّة،

(١) أخرجه الترمذى وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢) وصححه الألبانى في الإرواء (٢٤٥٥).

(٣) متفق عليه.

فهو يقول ﷺ في حديث المقدام بن معدىكرب: «يوشك أن يأتي رجل شبعان رئان، متکىء على أريكته فيقول: هذا كتاب الله ما أحل فاحلوه وما حرم فحرّمه، وإنني قد أوتيت الكتاب ومثله معه»<sup>(١)</sup>.

يقول الشافعى: السنة مثل القرآن.

والمعنى الظاهر: أوتيت القرآن ومثل القرآن من السنة.

فإذا علم هذا، فعلى المسلم أن يعلم أنه لا ينجو إلا بالاعتصام بالكتاب والسنّة، ويوم يتركها العبد أو يتخاذه في جدية الالتزام بالكتاب والسنّة ينهار قوله ويتردّى سلوكه، وليس والله معى من وصايا أوصي بها إخواننا إلا الالتزام بالكتاب والسنّة على فهم الصحابة.

لأن الخوارج يقولون: هم ألزم الناس بالكتاب والسنّة، والمعتزلة وضلال الأمة والرافضة، بل الباطنية يرون أنهم من ألزم الناس بالمنهج الحق وأنهم أهل الطريقة المرضية. ولكن..

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بِيَنَاتُ أَصْحَابِهَا أَدْعِيَاءُ  
عند البخاري ومسلم: «مثُلَّ مَا بَعْشَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ  
كَمْثُلِ الْغَيْثِ»، لِمَذَا لَمْ يقل ﷺ المطر؟

لأن المطر إذا أطلق غالباً في القرآن أطلق على العذاب كما في قوله تعالى: «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ».

ولماذا قال: «مثُلَّ مَا بَعْشَنِي» ولم يقل: مثل ما أرسلني؟

قيل: إذا ذكر المعتقد في الغالب ذكر البعث، وإذا ذكر العبادات التفصيلية ذكر الإرسال.

---

(١) رواه ابن ماجه وصححه الألباني في المشكاة (١٦٣).

لماذا ذكر العلم والهدى؟ والعلم يشمل الهدى، والهدى يشمل العلم؟

لأن الهدى هنا هو العمل، والعلم هو القول، واليهود أهل قول بلا عمل، والنصارى أهل عمل بلا اقتداء، فغضب الله على من تعلم ولم يعمل، وأضل الله من عمل بلا علم.

قال الله عز وجل: ﴿عَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الصَّالِحِينَ﴾.

فالرسول ﷺ جمع بين الطريقتين.

قال: «مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل الغيث أصاب أرضاً». قال القرطبي: إنما شبه ﷺ الوحي بالغيث للصفاء بينهما.

والامر الثاني: أن الأرض تحتاج إلى الغيث، فجاجة القلوب إلى الوحي كجاجة الأرض إلى الغيث بل أحوج.

ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿أَتَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ بِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَطَ قُلُوبُهُمْ وَكَيْدُهُمْ فَيُنْهَىٰ فَتَسْعُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْهِبَةِ قَدْ بَيَّنَ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

ثم علم من قوله ﷺ أنه قسم الناس ثلاثة أصناف:

قال:

١ - «وكان منها أرض طيبة نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكبير».

٢ - «وكان منها أرض أجادب حبست الماء فنفع الله بها الناس فسقوا وزرعوا».

٣ - «وكان منها أرض إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ».

«فذلك مثل من نفعه الله بما عشني له فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» وقد سبق شرح هذا الحديث في مناسبة أخرى.

وشاهدنا من هذا الحديث أن الرسول ﷺ جعل الناس ثلاثة أقسام: قسم استفاد وأفاد، وقسم استفاد ولم يؤثر، وقسم لم يستفاد ولم يؤثر وإنما هو كالخشب المسندة لا تعي ولا تعقل.

فقل للعيون الرمد للشمس أعين تراها بحق في مغيب ومطلع وسامح عيوناً أطفأ الله نورها بأبصارها لا تستفيق ولا تعي  
أما ابن مسعود رضي الله عنه في صحيح البخاري فكان يفتتح كلامه بقوله: (إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ).

فالهدي عمل والحديث قول، فجمعت طريقة بينهما فصارت قوله مهدياً مسدداً، وعملاً مرضياً متقرباً به إلى الله تبارك وتعالى.

**العنصر الثاني:** حرص السلف على الاقتداء بسته ﷺ.

قال البخاري في الصحيح (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة) (باب) الاقتداء بسته ﷺ.. قوله سبحانه وتعالى: «وَاجْعَلْنَا لِلنَّبِيِّنَ إِمَاماً».

قال البخاري: إماماً نقتدي بغيرنا، ويقتدي غيرنا بنا.

سبحان الله! ما أحسن البخاري، كلامه قليل لكنه كالكريت الأحمر، كإكسير الحياة، يأتي بالكلمة ويبوّب لها، لكنه يعجز أذهان الجهابذة من العلماء أن يأتوا بمثلها. ولذلك ابن القيم في إعلام الموقعين لما أتى بكتاب البيع أتى بتبوّيت للشوافع والمالكية، قال: ويبوّب عالم جهيد بباب بدّ المبوبين، ثم أتى بباب البخاري فهو يُسكت الناس بالتبوّيب وهو يشرح الآيات شرحاً وافياً رحمة الله راضية.

وأبوابه قليلة لكتها . . .

سامحاً بالقليل من غير عذلك    ربما أقنع القليل وأرضى  
يقول: وقال ابن عون: عبدالله بن عون راوي البخاري ومسلم  
كان يتمنى رؤية الرسول ﷺ ثم مات.

يقول: ثلات أحبهن لإخواني وأوصي بها إخواني: هذا القرآن أن  
يقرؤوه وأن يتدبّروه، وهذه السنة أن يتعلّموها، وأن يدع الناس إلا من  
خير.

سُلِّمَ اللَّهُ حَالَكَ! وَلَا فُضْلٌ فِوْكَ!

أتى بها البخاري موقفة على ابن عون رضي الله عنه وأرضاه.

قال أبو وائل: جلست إلى شيبة صاحب مفاتيح الكعبة الذي أراد  
أن يغتال الرسول ﷺ يوم حنين عندما أخذ خنجرًا مسموماً سماها حتى  
أصبحت زرقاء، وأراد أن يسطر أعظم جريمة في تاريخ البشرية، وأن  
يغتال أعظم رائد من رواد إنقاذ الإنسان إلى الله وإلى الدار الآخرة.

قال: فأخفيتها تحت إيطي، فأتى ﷺ يوم حنين فاقترب من  
شيبة، فأراد شيبة أن يطعنه بالخنجر، فالتفت ﷺ إلى شيبة ووضع يده  
عليه وقال: «ما لك يا شيبة؟ ماذا تريدين؟».

قال: أستغفر الله وأتوب إليه.

قال: «قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

ثم وضع يده على صدر شيبة.

قال شيبة: والله ما رفعها إلا كان أحب الناس إلي.

محاسنه هيولى كل حسن    ومغناطيسيس أفشل القلوب  
وأتى ﷺ مرة ثانية فدخل البيت في عام الفتح وقال: علي

بمفاتيح الكعبة، فأتوا بالمفاتيح ففتحها، فقال العباس: يا رسول الله  
أعطني المفاتيح لنجمع بين السقاية وبين مفاتيح الكعبة.

قال ﷺ: «لا، خذها يا شيبة تالله والدة فيك وفي ذريتك»<sup>(١)</sup>.

فالمفاتيح لا زالت عندهم إلى اليوم.

والشاهد أنه فتح الكعبة لعمر رضي الله عنه وعمر خليفة، فدخل  
عمر فرأى الذهب والفضة، ففكرا، وكان كثير الفكر متقد الذهن  
ميمون النقيبة دائم الاستكشافات من ذهنه، يقترح دائماً لأنه حي  
إحساس قوي العاطفة، مقترح جند الأجناد ومدون الدواوين ومنظم  
الجيوش.

قال: لقد همت أن أوزع هذه الثروة على فقراء المسلمين.

قال شيبة: والله لا تفعل، والله لا تفعل، والله لا تفعل.

قال: ولم؟

قال: ما فعلها أصحابك.

فنكس عمر وقال: هما المرءان يُقتدى بهما.. فما دام ذكره  
بمحمد ﷺ وبأبي بكر فقد أوقفه عند حده، وإنما ذكره ب الرجل آخر  
لكان له شأن آخر!

ويذكر أنه رضي الله عنه خرج يوماً فرأى ميزاباً للعباس ينقط عليه  
دماء، وكان العباس قد ذبح قبل صلاة الجمعة دجاجة فنزل الدم على  
ثياب عمر وليس عنده إلا ثوب واحد وهو خليفة المسلمين وكنوز  
الدنيا تحت يديه.

يا من يرى عمراً تكسوه بردته والزيت أذم له والكوخ مأواه

---

(١) رواه الطبراني (١٢٠/١١)، وانظر: مجمع الزوائد (٢٨٥/٣).

يَهْتَزُ كَسْرِي عَلَى كَرْسِيهِ فَرَقاً      مِنْهُ وَمِلْوَكُ الرُّومِ تَخْشَاهُ  
فَلَمَا سَالَ الدَّمَ عَلَى ثِيَابِهِ أَخَذَ الْمِيزَابَ فَاقْتَلَهُ بِالدَّرَةِ فَأَوْقَعَهُ  
أَرْضًا، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَيْتِهِ فَغَسَلَ الدَّمَ، وَأَتَى الْعَبَاسَ فَقَالَ: مَنْ قَلَعَ  
الْمِيزَابَ؟

قَالُوا: عَمْرٌ.

قَالَ: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَقَدْ وَضَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ،  
ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى عَمْرٍ فَأَخْبَرَهُ.

قَالَ: سَبَحَانَ اللهِ! أَسْأَلُكَ بِاللهِ وَضَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ؟

قَالَ: إِيَّيُّ اللهِ.

قَالَ: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَا تَكِنْ لَكَ عَلَى الْأَرْضِ  
وَلَا تَصْبِدْ عَلَى ظَهْرِيِّ، وَلَا تَرْدَدْ الْمِيزَابَ مَكَانَهُ.

فَجَلَسَ عَمْرٌ وَقَامَ الْعَبَاسُ عَلَى ظَهْرِهِ فَرَدَّ الْمِيزَابَ مَكَانَهُ إِكْرَاماً  
لِصَاحِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ.

وَجَاءَ عَيْنَةُ بْنُ حَصْنٍ إِلَى عَمْرٍ فَطَرَقَ الْبَابَ فَقَالَ: مَنْ؟

قَالَ: أَنَا الْأَكْرَمُ بْنُ الْأَكْرَمِ بْنُ الْأَكْرَمِ.

قَالَ عَمْرٌ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ، بَلْ أَنْتَ الْأَخْسَى بْنُ الْأَخْسَى بْنُ  
الْأَخْسَى، الْأَكْرَمُ بْنُ الْأَكْرَمِ بْنُ الْأَكْرَمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنُ إِسْحَاقَ.  
فَفَتَحَ لَهُ الْبَابُ وَجَلَسَ.

فَقَالَ عَيْنَةُ: هِيَ يَا بْنَ الْخَطَابِ، مَا تَعْطِينَا الْجَزْلَ وَمَا تَحْكِمُ فِيَنَا  
بِالْعَدْلِ.

فَقَامَ عَمْرٌ بِالدَّرَةِ يَرِيدُ أَنْ يُؤْدِبَهُ وَيَلْقَنَهُ دَرْسًا لَا يَنْسَاهُ حَتَّى يَمُوتُ،  
فَأَخْذَهُ الْحَرْزُ بْنُ قَيْسٍ وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللهَ يَقُولُ: «خُذْ الْعَقْوَةَ

وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَهَلِينَ ﴿١٣﴾، وهذا من الجاهلين، فوقف عمر وأنزل عصاًه وذهب حرارته وتقدّه.

وهذا استدلال به البخاري تحت هذا الباب في مسألة التوقف إذا ذكر كتاب الله عز وجل.

قال ابن عباس: وكان عمر رضي الله عنه وأرضاه وقافاً عند كتاب الله.

قال ابن أبي مليكة رحمه الله وكان مؤذن أهل مكة، ونسبوا له في قصة أنه كان يؤذن في مكة وكان صوته جميلاً، فسمع بجانب المسجد مغنية مطلاً مزمراً يغني... .

وقد كنت دليلاً نرعاى البهم فليتنا لم نكابر ولم تكبر البهم وهذا بيت لمعجنون ليلي.

فقال ابن أبي مليكة: حي على البهم!! أراد أن يقول: حي على الفلاح، فسمع الشعر فقال: حي على البهم.

وهو إمام معتبر ذكر البخاري له أنه قال: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً، لأنه كان يعظ الناس.

يقول: كاد الخيران أن يهلكا.. الخيران هما أبو بكر وعمر لأنهما رفعا صوتيهما عند رسول الله ﷺ، وقد قال الله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِيَعْلَمَ أَنَّهُمْ أَعْنَلُوكُمْ وَأَنْتُمْ لَا شَعُورُونَ ﴿٢﴾»، فلما أتاهم الخبر قال عمر: والله ما كلمت الرسول ﷺ إلا إسراراً<sup>(١)</sup>.

ولما سمع خطيب الأنصار ثابت بن قيس بن شماس وكان يخطب بين يدي الرسول ﷺ، لما سمع الآية ذهب فبقي في بيته يبكي

(١) رواه البخاري.

ليلاً ونهاراً حتى قال ﷺ: «يا معاذ أين ثابت بن قيس بن شماس؟».

قال: اعززنا يا رسول الله ما ندرى ما حدث له.

فذهبوا إليه وهو يبكي في البيت قالوا: ما لك؟

قال: أنزل الله تلكم الآية وأنا كنت أرفع صوتي عند رسول الله فأنا المقصود بالآية.

فأخبروا الرسول ﷺ فقال: «أخبروه أنه من أهل الجنة»<sup>(١)</sup>.

ثبت بن قيس من أشجع شجعان الناس، قتل في اليمامة مع مسيلمة الكذاب، فكان من أهل الجنة والحمد لله.

فالتقيد بكتاب الله عز وجل وبستة نبيه ﷺ يأتي بالتوقف.

قام ﷺ يخطب يوماً فقال للناس: «اجلسوا».

فسمع ابن رواحة وهو خارج المسجد الرسول ﷺ يقول: «اجلسوا» فجلس وهو في السكة.

قال له الناس: ما لك؟

قال: يقول الرسول ﷺ: «اجلسوا»، فجلست<sup>(٢)</sup>

هذا هو الامثال.

قال البخاري (باب) النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله.

وأنا قد تدخلت في التبوب فقدمت وأخرت للفائدة.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ .

والتقدم بين يدي الله ورسوله أن تعرض أموراً من عندك ومن

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه البيهقي كما في الإصابة (٧٨/٦).

ذهبك ت يريد أن تسيّر بها الأمة وليس في الكتاب والسنّة، وهو أمر محرم واستحداث في الدين.

دخل سعيد بن المسيب المسجد فرأى رجلاً يصلّي ركعتين ويسلّم ويصلّي ركعتين ويسلّم.. والسنّة بعد أذان الفجر أن لا يصلّي إلا ركعتي الفجر ثم صلاة الفجر.

فقال سعيد بن المسيب: يا فلان، لا تصلّ إلا ركعتين، إني أخشى أن يعذبك الله.

قال الرجل بسوء فهمه: والله لا يعذبني الله لأنني أصلّي له.

قال ابن المسيب: والله لا يعذبك الله لأنك تصلي له، ولكن يعذبك الله لأنك خالفت سنّة رسول الله.

فليس العذاب لأنك تصلي ولكن العذاب لأنك خالفت سنّة الرسول ﷺ، فهي بلا زيادة ولا نقصان كما صحّ عنه ﷺ أنه قال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»<sup>(١)</sup>.

وأما ما جاء في ذم التكليف والتنطع، فيقول سعد بن أبي وقاص فيما رواه البخاري وغيره: (إن أعظم المسلمين جرمًا من سأله عن شيء لم يحرّم فحرّم من أجل مسأله).

وهذا عند تنزيل الوحي، أما الآن فالإنسان أن يسأل.

وقد نهى ﷺ عن كثرة السؤال.

قال مالك: هي الأغلوطات: أي الذي يريد تعجيز العلماء بأسئلته العجيبة، كمن يسأل عن دوران الأرض أو حال الجن في القيمة ونحو ذلك مما لا يفيد الأمة.

---

(١) متفق عليه.

وقيل: كثرة السؤال هو أن يُسأل في عهد الوحي فيحرم الله شيئاً، لأن الناس كلما سألوا نزل فيه حكم والسكوت أحسن.

وقيل: كثرة السؤال هو سؤال المال كما ذهب إليه بعض المحدثين.

ولكن هذا غير صحيح، لأن سؤال المال مذموم قليلاً وكثيره إلا للحاجة.

والصحيح أنه السؤال عن الأغلوطات أو عما لا ينفع في الدين.

قال زيد بن ثابت: قمنا مع رسول الله ﷺ ليالٍ نصلوة، فصَوْتَنا ليلة لما نام ﷺ لعله أن يسمعنا، فلما أصبح الصباح قال ﷺ: «إنه لم يخف على مكانكم البارحة، ولكن خشيت أن تفرض عليكم فلا تستطيعوها» أو كما قال ﷺ، رواه البخاري.

وإنما أخرج الخوارج من السنة تعمقهم وتنطعهم حتى خرجوا من السنة والعياذ بالله. فبعض الناس لا يكتفي بالنوافل بل يزيد ويرهق نفسه حتى يترك فرائض.

فالصوفية كما في تلبيس إبليس لابن الجوزي يقوم أحدهم يصلى في الليل كله، فإذا اقترب الفجر نام فنام عن صلاة الفجر.

قال ابن الجوزي: وقد رأيت بعضهم يصلى صلاة الفجر في الضحى، فقلت: يا فلان ما لك؟

قال: قمت البارحة أصلبي حتى قرب الفجر فنمت عن صلاة الفجر !!

سبحان الله! صلاة الفجر في جماعة أفضل من قيام ألف ليلة نافلة.

وعند مالك في الموطأ أن عمر مرّ بأهل صفوان بن المعطل  
قال: أين صفوان؟

قالوا: قام البارحة حتى اقترب الفجر فنام عن صلاة الفجر.

قال عمر: لئن أشهد الصلاة مع المسلمين جماعة أحب إليّ من  
أن أقوم الليل كله.

هذا هو الفقه والله! وهذه هي المعرفة! وهذا الانضباط والاقتصاد  
في العمل!

فلا بد من الاقتصاد والمعرفة لأن بعض الناس يتورّم أن السنة  
معناها أن تتبدل، وأن تُضرِّب عن الطعام، وأن تعمل لنفسك أسابيع  
من التجويع، وأن تسهر، وأن تبتعد عن ملاذ الحياة، وأن تصبح كأنك  
في رهبة، والرهبة ليست بواردة بل ذمَّها الله عز وجل: ﴿وَرَهْبَانِيَةً  
أَبْدَعُوهَا مَا كَيْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَيْتَنَاهُ رِضْوَانُ اللَّهِ فَمَا رَعَوهَا حَقًّا  
رَعَاهُمْ هُمْ﴾.

ومن التكلف والتنطع أن أحد الأعراب أتى إلى الرسول ﷺ فربط  
ناقته في شجرة في الوادي وقال: أين ناقتي يا رسول الله؟  
ومن أدرى الرسول ﷺ عنك وعن ناقتك؟! وهل بعث  
يُخْبِرُكَ بِنَاقَتِكَ وَزَوْجِكَ وَأَطْفَالِكَ؟!  
فسكت ﷺ.

قال: أين ناقتي يا رسول الله؟  
يريد أن يسلم، ولكن يريد أن يعرف هل الرسول ﷺ يعلم الغيب  
أم لا.

فغضب ﷺ، فسكت الأعرابي، فأراد ﷺ أن يستهديه ويتألف قلبه  
قال: ناقتك في الوادي مربوطة بشجرة.

قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.  
وأتي أعرابي آخر يبيع ضبّاً في السوق فرأه ﷺ فقال: «يا أعرابي  
إني رسول الله للناس أسلم». قال: أنت رسول الله؟  
قال: أنا رسول الله.  
قال: من أرسلك؟  
قال: الله.  
قال: والله لا أسلم حتى يُسلم هذا الضب.  
قال: «فإن أسلم الضب أتسلم؟».  
قال: أسلم.  
قال ﷺ: «يا ضب أشهد أنني رسول الله؟».  
قال الضب: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.  
والحديث في سنته نظر، لكن أورده مثل البهقي في الدلائل  
وابن كثير في الشمائل.  
لكن على كل حال إنما أراد ﷺ أن يتالف بعض الناس بالإجابة  
عن أسئلتهم أو طلباتهم ذات الكلفة.  
وفي صحيح البخاري قال أنس: سأله الناس رسول الله ﷺ حتى  
أكثروا عليه، فغضب فجلس.  
قال أبو حذافة: من أبي يا رسول الله؟  
قال: أبوك فلان.  
فجلس عمر على ركبتيه لما رأى غضب الرسول ﷺ من كثرة  
الأسئلة التي ليس لها داع وإنما هي من باب التنطع والتعمق.

فأنزل الله عز وجل في ذلك: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَنُوا لَا تَسْتَوْا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلُ لَكُمْ تَسْوِيمَكُمْ وَإِنْ تَسْتَوْا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلَ لَكُمْ عَفَّاللهُ عَنْهَا»، فاسكتوا حتى يأتي القرآن والسنة ثم سوف يبين لكم الأمر.

قال الدارمي بسند صحيح: ثبت عن عمر أن عمرو بن العاص أتى إليه فقال: يا أمير المؤمنين معي في الجيش رجل يأتي إلينا فيسألنا.

قال عمر: عن ماذا يسائلكم؟

قال: يقول: يقول الله عز وجل: «وَالَّذِينَ ذَرُوا (١)» فما هو؟

قال عمر: هيه.

قال: يقول: «وَالْمُرْسَلُونَ عَرَفُوا (٢)».

قال عمر: هيه.

قال: ويقول: «وَالثَّرِيَّةُ عَرَفَ (٣)».

قال عمر: على بالرجل.

فذهب عمرو وأتى بالرجل وعمر قد تهيأ بضيافة ما بعدها ضيافة! فهيا له عراجين النخل ورشها بالماء وقال له: أنت الرجل الذي يقول: كيت وكيت وكيت؟!

قال: نعم يا أمير المؤمنين، وما أردت إلا الخير.

سبحان الله! ما أحسن هذا الخير!

قال: ابطحوه، فبطحوه أرضاً فاعتلاه أمير المؤمنين فضربه وجهه لبطن، فأغمي على الرجل، فقال: رشه بالماء فاستفاق ولسان حاله يقول: أصبحنا وأصبح الملك لله!!

قال عمر: ابطحوه، فضربه حتى أغمي عليه، فلما فاق قال: يا أمير المؤمنين إن كنت ت يريد قتلي فاقتلوني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد دوائي فقد بريئت والله! لأنه تعالج في غرفة عمليات عمر!

قال: احملوه إلى الجيش ولا يكلمه أحد.

وبعد سنة قالوا: يا أمير المؤمنين صلح حاله وأصبح مستقيماً على أمر الله.

قال: اتركوه يحدث الناس.

هذا هو التقيد بالكتاب والسنّة، أما أن يتلاعب إنسان ويأتي يخرص تخرصات ويضلل الأمة ويشوّه معالم الكتاب والسنّة بحجّة الثقافة العامة فلا، فهذه الشريعة مصونة «وَمَن يُعَظِّمْ شَعْبَرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ».

ولذلك صح في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: «لا يزال الناس يسألون حتى يقولوا هذا الله فمن خلق الله؟ فمن وجد هذا في نفسه فليس بعد بالله من الشيطان الرجيم».

وفي السير في ترجمة عمر أن رجلاً أتى إلى الرسول ﷺ فسألته سؤالاً قال: يا رسول الله سعيت قبل أن أطوف.

فقال ﷺ: «افعل ولا حرج».

فأتى الرجل إلى عمر فقال: يا عمر سعيت قبل أن أطوف.

قال: افعل ولا حرج.

قال: صدقت، سألت الرسول ﷺ قبل قليل فقال لي مثل ما قلت لي.

قال: خررت من يديك، تسأل الرسول ﷺ ثم تسألي!

ولو كان في غير حياته ﷺ لأدبه عمر تأدبياً بالغاً يردعه وأمثاله،  
لأن هذا فتح لباب التكلف في دين الله عز وجل والتخرص.

إذا علم ذلك فبقي مسائل: أن أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه قال  
في أول خطبة خطبها: يا أيها الناس إني متبع ولست بمبتدع.

ومنها: أن عداوة إبليس تصيل بالعبد إلى الشرك، فإن لم يستطع  
فالبدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية في الغالب يُتاب  
منها والبدعة في الغالب لا يُتاب منها، وهذا الكلام ينسب إلى  
سفيان بن عيينة: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية).

والسلف الصالح كان لهم مناهج في محاربة البدعة، منها: هجرة  
عن الكلام كما فعل سفيان الثوري مع ثور بن يزيد، مما كَلَمَه حتى مات.

ومنها: تشويه صورته أمام الناس، كما فعل الوعاظ بأحمد بن  
دؤاد عندما حُذِّروا منه.

فقال أحمد بن حنبل: ما أحسن هؤلاء لل العامة.

ومنها: التشهير بالمبتدع علينا إذا شهد بيدهاته، كأن يكتب في  
صحيفة أو يتحدث في إذاعة، أو يكتب كتاباً، فواجب علماء السنة أن  
يُشهروا الرد عليه، أما إذا سكت فيوصي في خاصة نفسه إذا لم يكن له  
تلاميذ وأتباع ولا يشهر بالرد عليه لأنه قد تأخذه العزة بالإثم وينحرف  
عن منهج الله سبحانه وتعالى.

ومنها: أنهم ينشرون السنة في مجالسهم العامة ويفرحون بنشرها.

رأى الإمام أحمد شيخاً مخضوب اللحية فتبسم الإمام أحمد  
وقال: إني لأرى الرجل يحيي شيئاً من سنة الرسول ﷺ فأفرح بذلك  
ووثّق الله على السنة.

ومنها: أنهم لا يرتكبون بديلاً عن السنة في تدريسها مهما كانت الفائدة لأنه قد يوجد في بعض الأمكنة ترد على المسلمين مصنفات أو مؤلفات أو أطروحتات أو خيارات، فيستعاض عن السنة بهذه الكتب وهذا شيء خطير جد خطير، فينشأ ناشئة لا يعرفون السنة ولا يعرفون الأحاديث لكن يعرفون ثقافة عامة ليست منضبطة بانضباطات السنة.

والذي أوصي به نفسي وإخواني أن يكون لهم جلسات في بيوتهم مع إخوانهم وأهلهم وزملائهم يرددون كتب الحديث كما فعل السلف، فيقرؤون البخاري ومسلم والسنن الأربع ومسند أحمد ورياض الصالحين وبلغ المرام والترغيب والترحيب لتحيا السنة.

والمبتدعة أصناف: فمنهم مبتدع كافر ببدعته، لكن يُطلق عليه مبتدع. كما يكفر بعض الناس الذين قالوا بنقص القرآن، أو لعنوا عائشة رضي الله عنها، أو لعنوا الشيوخين رضي الله عنهم، أو قالوا: إن جبريل خان الرسالة.

فهؤلاء يكفرون بهذه المقالات.

وقد يفسق الرجل بالبدعة فيبقى فاسقاً ويدخل النار، يعني على الأجانس لا على أفراد الأشخاص، ولكن لا ندرى هل يخلد أم لا.  
إذا كان موحداً فلا يخلد.

وهناك بدع طفيفة ويدع ضخمة.. البدع الضخمة مثل بدع الخوارج والرافضة، والبدع الطفيفة مثل بدع المرجئة. وهذه لها مبحث، وإنما مقصود الكلام الاعتصام بالكتاب والسنة.

## ● طرق الاعتصام بالكتاب والسنة:

للاعتصام بالكتاب والسنة ثلاثة طرق:

أولاً: تدريسها وتعليمها وتقريرها في مدارسنا وجامعاتنا

ومعاهدنا، وقيام الدعاة ببيتها بين الناس، وإعادة الناس إلى المشرب الأول مشرب محمد ﷺ.

ثانياً: العمل بها وتطبيقها في دنيا الواقع وعلى السلوك وعلى الهدى.

ذكروا عن المروزي الإمام محمد بن أسلم أو غيره أنهم قالوا عنه: ما قرأ حديثاً من حديث العمليات إلا عمل له.

وقيل عن الإمام أحمد أنه كتب المسند أربعين ألف حديث بالمكرر فقال: ما من حديث مما يعمل به إلا عملت به.

قال له بعض تلاميذه: وحديث أن الرسول ﷺ جلس في الغار ثلاثة أيام؟

قال: جلست في غار بالكرخ ثلاثة أيام يوم فتنة القول بخلق القرآن!

وابن عمر يأتي بناقه في المشاعر في مني ومزدلفة فيدور بها.

قالوا: ما لك؟

قال: لعل حفناً أن يوافق حفناً من حفناً ناقة رسول الله ﷺ.

وهذا من شدة الحرص على اتباع السنة، وإن فالامور العامة ليست مطلوبة لأنها تسمى عند أهل العلم أموراً اتفاقية، مثل أن الرسول ﷺ دخل المدينة يوم الإثنين فهذا اتفاق.

ومثل أن الرسول ﷺ أكل أكلة في الضحى، أو خرج من مكة من أعلى مكة، فكلها أمور اتفاقية.

قال ابن تيمية في ذلك: كان عمر أعرف بالسنة من ابنه، فابن عمر كان يصلّي عند الشجرة التي صلّى عندها ﷺ، في صحيح البخاري.

وأما عمر فنهى عن الصلاة عند هذه الشجرة وقال: إذا أنت  
أحدكم الصلاة فليصلّ وإلا فليذهب.

فعمراً كان أبصر وأعلم.

فرق بين الأمر الاتفاقي العام وبين الأمر المسنون الذي ورد  
عنه رضي الله عنه، ومقصود به الاتباع فليعلم ذلك.

ثالثاً: تبليغ الكتاب والسنّة للناس كما قال رضي الله عنه: «بلغوا عنِي ولو  
آية»<sup>(١)</sup>، وتبليغها للناس سهل.

في سنن أبي داود أن علياً رضي الله عنه توضأ ثم قال للناس:  
هكذا رأيت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يتوضأ.

وهذا تطبيق عملي لأمام الناس يسهل عليهم العلم وال السنّة.

يمكن أن يلقي الإنسان محاضرات لكن ليس فيها امتحان ولا  
تطبيق ولا روح، فلا تنفع، بينما لو طبق مسألة واحدة أو صلّى أمام  
الناس، أو توضأ أمامهم كما يفعل رضي الله عنه بأصحابه لكان أجدى وأفعى.

وهذا عهد من الله وميثاق أخذته على طلبة العلم، «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ  
رِسْتَقَ الَّذِينَ أُتْهَا الْكِتَبَ لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنُوا كُفَّارًا فَتَبَدُّوْهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ  
وَأَشْتَرُوا بِهِ ثُمَّا قَلِيلًا فِيَّنَسَ مَا يَشْرُونَ ﴿١٦﴾»، «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا  
أَنزَلَنَا مِنَ الْبِيِّنَاتِ وَالْمُكَدَّى مِنْ بَعْدِ مَا يَكْتَمُهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَبِ أُولَئِكَ يَكُونُونَ  
الَّذِينَ يَعْلَمُهُمُ اللَّهُعُونَ ﴿١٦٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أُتُوبُ  
عَلَيْهِمْ وَأَنَا أَتَوَّبُ إِلَيْهِمْ ﴿١٧١﴾».

هذا درس الاعتصام بالكتاب والسنّة، وأحسن من كتب عن هذا  
الموضوع: الشاطبي في كتاب (الاعتصام) لمن أراد أن يتسع، وشيخ  
الإسلام في المجلد العاشر والحادي عشر ومجلد الجهاد من فتاويه،

(١) رواه البخاري.

وابن القيم في مثل (زاد المعاد)، والإمام البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، والقرطبي وغيرهم من أهل العلم كتبوا كتابات جيدة ومفيدة يحسن الرجوع إليهم فيها وفي تقريرها.

والله أعلم، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



# معركة بين التوحيد والإلحاد

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

إنها معركة قديمة منذ وجود آدم وإيليس مروراً بموسى وفرعون، ومروراً بإبراهيم والنمرود، ومروراً بمحمد ﷺ وأبي جهل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

معركة بين (لا إله إلا الله) وبين (لا إله والحياة مادة).

معركة بين المسجد والخمار.. بين المصحف المرتل والمجلة الخليعة.. بين التلاوة الحسنة والأغنية الماجنة.. بين المرأة الملزمة المتحجبة وبين المرأة العلمانية السافرة.. بين الكاتب المبدع المؤمن والكاتب الزنديق الملحد.. بين الصحفي الذي يرجو وجه الله ويختلف الله ويأمل لقاء الله، وبين الصحفي المتهتك الذي ينشر الجنس والفحش والتمرد على آيات الله.. بين العالم المؤمن والعالم المعجم.

وأنا أروي الآن صراعاً بين التوحيد والإلحاد.. يبدأ هذا الصراع بوسط التاريخ ولا أعني أن أبدأ بأول التاريخ.. وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

يقول سبحانه: «وَقَالَ فِرْعَوْنٌ ذُرْقِنِ أَقْتُلْ مُوسَى وَلَيَكُنْ رَبِّهِ إِنْ أَنْفَأْ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ»، فرعون يقف واعظاً في الجماهير.. فرعون العلماني الأول.. فرعون المجرم السفاك الذي أدخل الفساد للمجتمع.. شارب الخمر.. صاحب الليلة الحمراء يقول لموسى الصحوة.. موسى الإمام، موسى الإيمان، موسى النور «وَنَّ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ» من يعطيه النور؟ الشاطئ؟ الأغنية؟ الكأس؟ المجلة الخليعة؟ الفيديو المهدّم؟ لوس أنجلوس؟ باريس؟ بانكوك؟

لا.. لا يعطيه النور إلا من أنزل النور: «أَنَّهُ وَلِلَّذِينَ آتَيْنَا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلِيَا قُهُمُ الظُّلْمَوْتُ يُغْرِيُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَاتِ أَوْلَئِكَ أَصْحَبُ الْأَثَابِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُوْنَ»، ويقول سبحانه: «أَوْ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ فَأَخْيَبَنَّهُ».

كثير من الناس أموات يأكلون ويشربون ويعجنون ويرقصون ويسمرون ويسهرون، ولكنهم أموات غير أحياء، ما رأوا النور ولا عرفوا الرسالة، ما توضّوا ولا سجدوا لله، فهم في عالم الأموات «أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقُلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سِيَّلًا».

يسمع الأغنية لكن لا يسمع (الله أكبر)، يسمع الكلمة الآثمة وكلمة الجنس، ولكن لا يسمع (حي على الصلاة حي على الفلاح). «وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْمُغْنِ وَالْإِنْسَنُ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَيِّنُونَ بِهَا وَلَهُمْ مَآذَنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْلَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الْفَنِيْلُوْنَ».

«وَقَالَ فِرْعَوْنٌ ذُرْقِنِ أَقْتُلْ مُوسَى»، قال أحد العلماء: يظهر أن الرأي العام يضغط على فرعون فيريد فرعون أن يستاذن الرأي العام في أن يذبح موسى ليقتل الإيمان.

وهذا الصراع سُنّة من سنن الله لثلاثة أسباب:

أولاً: الصراع دائم، والله عز وجل خلق الخير والشر بجانبه، والليل والنهر والرشد والضلال والنور والظلمة **﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْصَهُمْ بِعَيْنِ لَفْسَكَدَتِ الْأَرْضُ﴾**، ويقول سبحانه - في قراءة مشهورة -: **﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْصَهُمْ بِعَيْنِ لَفْسَكَدَتِ الْأَرْضُ﴾**، ويقول سبحانه: **﴿وَحَعَلْنَا بَعْضَهُمْ لِيَعْرِفُنَّ فِتْنَةً أَتَصِرُّونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾**.

أظن أنك تعيش وليس لك عدو؟ لا... هذا لا يكون **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرِبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾** ما أحسن الختام! قال: هادياً يهديه في العلم، ونصيراً ينصره بالسيف أو ما يقوم مقام السييف.

وقال سبحانه: **﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنَّ يَتَرَكُّوا أَنْ يَقُولُوا مَأْمَنَةً وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾** **﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَمَّا يَعْلَمُنَّ اللَّهَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَمَّا يَعْلَمُنَّ الْكَذَّابِينَ﴾**.

ثانياً: العاقبة للمتقين.. فيا من يظن أنه سوف يلغى المسجد، المسجد سوف يبقى، والقرآن سوف يعيش، ومكة وزمزم والحجر الأسود وشباب الصحوة **﴿إِنَّا لَنَصْرَرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَدُ﴾** **﴿٥١﴾** يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم **﴿وَلَهُمْ الْلَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾** **﴿٥٢﴾**.

ثالثاً: من فوائد هذا الصراع أن يمحض الله أولياءه ويظهر الصادقين ويبطل كيد المنافقين ويخزي الظالمين، وهو أجر ومشوبة لأولياء الله.

**﴿وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾** فتقطع الجماجم في سبيل الله، وتضرب الأعناق في سبيل الله، وتسليل الدماء في سبيل الله **﴿وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِي نَهْرِيَّتِهِمْ شُبَّانًا وَلَنَّ اللَّهُ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾**.

نعود إلى موسى عليه السلام وفرعون.. قال فرعون: ﴿إِنِّي أَخَافُ  
أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ عجيب! أصبح فرعون واعظاً وأصبح مرشدًا!!

أتظن يا فرعون أن موسى حادثي أو علماني أو مطرب؟

قال: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ أخاف أن يزعزع الأمن، فزعزعه الأمن لا تأتي إلا من موسى وأمثاله!! أما مروج المخدرات فلا يزعزع الأمن، أما الذي يكتب الكفر في الصحف فلا يزعزع الأمن، أما الذي يشهد الزندقة ويرسلها في البلاد طولاً وعرضًا لا يزعزع الأمن، أما الذي يأتي بصور الجنس والفيديو المهدّم فلا يزعزع الأمن.

ينتهي الصراع بين موسى وفرعون بنتيجة مخزية لفرعون، يقول الله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَنَدُهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾. لقد أخطئوا كثيراً.. لقد أساووا في الحساب.. لقد تمردوا على الله.. لقد حاربوا المساجد.. لقد أدخلوا الجنس إلى البلاد.. لقد سعوا إلى تدمير الحجاب عن المرأة.. لقد دعوا إلى العلمنة والحداثة سفاحاً جهاراً نهاراً.. كانوا خاطئين، فأغرقه الله في البحر وانتصر موسى وبقي التوحيد واستمر الدين، ولكن الصراع لم ينته بعد، وكيف ينتهي وما انتهت الأرض؟

ينتهي الصراع يوم يقول الله: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفِرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

فيما شباب الصحوة، ربما تذمر متذمّر وخاف خائف من كثرة المفاسد.. فأقول: هذه هي الحياة، فالرسول ﷺ أخلص الناس وأصدق الناس وأبرأ الناس ما أنهى المفاسد في عهده.. الفساد موجود، جلد ﷺ الزاني، ورجم الزاني الشّيْب، وجلد شارب الخمر، وقطع السارق، وقتل القاتل.. وهذا دليل على وجود الفساد في ذلك المجتمع، لأن سنة الله حكمت وأمر الله نفذ، وهي سنة كونية أن يكون هناك صراع عالمي بين الخير والشر وتستمر الملحة.

و قبل ذلك يدخل إبراهيم عليه السلام إمام التوحيد .. أستاذ العقيدة .. شيخ (لا إله إلا الله) الذي أتى بالتوحيد الصادق، يدخل على النمرود فيقص الله لنا القصة في قالب بديع جميل: «أَلَمْ تَرَ إِلَيْنِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِيعِهِ أَنَّ رَبَّهُ اللَّهُ الْمُلْكُ إِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ».

من أخصّ خصائص الله أنه يحيي ويميت، ولا يحيي ويميت إلا الله، والملوك يموتون والأطباء يفونون، مات المداوي والمداوى والذى صنع الدواء وباعه ومن اشتري ويبقى الله.

تقضون والقدر المسير ضاحك وتقدرؤن فتضحك الأقدار  
 «قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ»،  
 كذاب ملحد مجرم .. ولا يريد إبراهيم أن يسايره في الزندقة فيضيع الوقت.

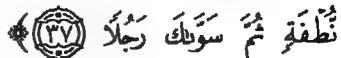
قال: كيف تحبي وتميت؟ فدعا رجلين فأطلق واحداً وقال: هذا أحبيته، وقتل الثاني وقال: هذا أمتّه!!

لم يجادل إبراهيم معه لكيلا يضيع الوقت في جدل فارغ وإنما انقل نقلة أخرى .. وقال: «فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِإِيمَانِ الْمُشْرِقِ وَالْمُشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ فَبَهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

فبهت وانهزم وانتصر التوحيد ولكن بقي الصراع ..

ويقول سبحانه عن ملحد ومؤمن دخلاً بستانًا جميلاً بين الشجر والماء يدلّك على الله.

وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد  
 «قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِاللَّهِ خَلْقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّلَكَ رَجُلًا».



قال أهل العلم: ترك الحديقة واستدل على خلقه.. يقول:  
أنت.. كيانك.. هيكلك.. عيناك.. قلبك.. من الذي خلقك؟ من  
الذي أبدعك؟ **﴿وَقَوْمٌ أَفْسَكُوهُ أَفَلَا يَتَبَرَّوْنَ﴾**? نومك.. ويقطنك..  
دروس في التوحيد لو أبصرت ولكن قليلاً من يصر.

ويبقى الصراع بين التوحيد وبين الإلحاد.. بين الإسلام  
والعلمنة.. بين أولياء الله وبين أعداء الله والخاتمة لأولياء الله.

قال تعالى: **﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِغَايَتِنَا وَقَالَ لَأُوتَنِي مَالًا وَوَلَدًا﴾**.

قال العاص بن وائل، هذا المجرم أتى بعظامه بالي ووقف أمام  
الرسول ﷺ يتحدى.

وقال: يا محمد أتزعم أن الله يحيي هذا بعد أن يمتهن؟

قال ﷺ: «نعم، ويدخلك النار».

فأنزل الله وثيقة العقيدة: **﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسَى خَلْقَهُ﴾**، قالوا:  
وأغفل اسمه لعدم التشريف.. فمن هو هذا الذي أتى ليضرب لنا مثلاً؟  
من هذا الحقير؟

**﴿قَالَ مَنْ يُنْحِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُنْحِيَهَا الَّذِي أَشَأَهَا أَوْلَ مَرَأَةٌ**  
**وَهُوَ يُكْلِلُ خَلْقَ عَلِيهِ﴾** **(79)**.

ولم يتنه الصراع بعد.

قال ابن الأثير في التاريخ: تولى الوليد بن يزيد الخلافة وكان  
فاجراً، نسب إليه أنه كان ملحداً والعياذ بالله.

ومما يروى عن فجوره أنه ملأ بركة من الطين، فكان يشرب  
الخمر فإذا سكر قفز في البركة وقال: أطير إلى أين أطير؟

قالوا: إلى جهنم!  
فيطير على وجهه.

أخذ المصحف كما يقول ابن الأثير وابن كثير وغيرهما وفتحه ليرى أي آية تخرج له ليرى هل هو سعيد أم شقي، فخرج له قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَارٍ عَنِيدٍ﴾<sup>(15)</sup>، فالقى المصحف بعد أن مزقه وهو يقول:

تهذّني بجبار عنيدٍ      فيها أنذا جبار عنيدٍ  
إذا ما جئت ربك يوم حشرٍ      فقل يا رب مزقني الوليد  
الوليد بن يزيد هذا مجرم أبكي عيون العلماء، وتهتك وهو قريب من عصر النبوة، بل بعض الحفاظ يقولون ذكره ﷺ في الأحاديث.  
أتى هذا الوليد المجرم وقد أخذ قروده وأخذ كلاباً معه ليشرب الخمر على ظهر الكعبة!! فقتله الله في الطريق.

ويستمر الصراع.. وتستمر الملحمة بين الصالحين والطالحين..  
ونصل إلى ساحة الأدب فعندها أدب مؤمن وأخر ملحد.

يأتي أحد الشعراء الملاحدة يذكره ابن الجوزي في صيد الخاطر ليعرض على الله ويقول:

أيا ربِي تخلق أبغضان رنج      وألحواظ حور وكثبان رمل  
وتنهى عبادك أن يعشقوا      أيا خالق العدل ذا حكم عدل!  
سبحان الله! تعالى عما يقول الظالمون علوأً كبيراً.

يقول ابن الجوزي: هذا المفضوح أصابه الله بقارعة، ودائماً الملاحدة يلطمهم الله لطمات، ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْسَدُونَ فِي كُلِّ  
عَمَرٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّاتٍ ثُمَّ لَا يَتَبَوَّءُونَ وَلَا هُمْ يَدْكُرُونَ﴾.

الشاعر ابن هاني، هذا المجرم دخل على سلطان فنسي الله.

قال:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار      فاحكم فأنت الواحد القهار

فصرعه الله كما يصرع أعداءه، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، فأصابه  
مرض عضال كان ينبع منه كما ينبع الكلب، ويقول في سكرات  
الموت:

أبعين مفترق إليك نظرت لي فأشنتني وقدفتني من حالقي  
لست الملوم أنا الملوم لأنني علقت آمالي بغير الخالق  
وأبو العلاء المعري أسرف على نفسه بأدب الإلحاد فقال:

ونهيت عن قتل النفوس تعمداً حتى بعثت لقتلها ملكيـن  
وزعمت أن لها معاداً ثانياً ما كان أغناها عن الحالـين !!  
يقول: يا رب كيف تحرم قتل النفس العمد وأنت ترسل ملكيـن  
وبسـكريـات الموت تقتل الناس ! ولماذا تخلق الإنسان إذا أردت أن تمـيـته !  
أعوذ بالله .. تعالى الله عـز وجل.

وقال ابن تيمية في الفتاوى عن الفاجر التلمـسـانـي: «أما هو فهو  
أخـبـثـ الـقـومـ وأـعـقـمـهـمـ فـيـ الـكـفـرـ»، ثم قال: «لهـذاـ كانـ يـسـتحـلـ جـمـيعـ  
الـمـحـرـمـاتـ حـتـىـ حـكـيـ عـنـ الثـقـاتـ أـنـهـ كـانـ يـقـولـ: الـبـنـتـ وـالـأـمـةـ وـالـأـجـنبـيةـ  
شـيـءـ وـاحـدـ، لـيـسـ فـيـ ذـلـكـ حـرـامـ عـلـيـنـاـ، وـإـنـماـ هـؤـلـاءـ الـمـحـجـوبـونـ -  
يـقـصـدـ الـمـوـحـدـيـنـ، يـقـصـدـ الـفـقـهـاءـ - وـإـنـماـ هـؤـلـاءـ الـمـحـجـوبـونـ قـالـواـ:  
حرـامـ، فـقـلـنـاـ: حـرـامـ عـلـيـكـمـ، وـكـانـ يـقـولـ: الـقـرـآنـ كـلـهـ شـرـكـ لـيـسـ فـيـهـ  
تـوـحـيدـ، وـإـنـماـ التـوـحـيدـ فـيـ كـلـامـنـاـ».

هـذـاـ الـفـاجـرـ التـلـمـسـانـيـ يـسـمـونـهـ الـعـفـيفـ التـلـمـسـانـيـ! كـتـبـهـ مـنـشـورـةـ فـيـ  
الـعـالـمـ إـلـاسـلـامـ وـتـطـبـعـ وـلـهـ صـحـفـ تـؤـيـدـ وـتـؤـيـدـ مـسـارـهـ.

أـحـدـ هـؤـلـاءـ الـمـهـلـوـسـيـنـ الـمـنـحـرـفـيـنـ حـضـرـتـهـ سـكـرـاتـ الـموـتـ فـرـأـيـ  
أـهـوـاـ وـهـوـ فـيـ سـكـرـاتـ الـموـتـ فـقـالـ وـهـوـ اـبـنـ الـفـارـضـ:

إـنـ كـانـ مـنـزـلـتـيـ فـيـ الـحـبـ عـنـدـكـمـ مـاـ قـدـ لـقـيـتـ فـقـدـ ضـيـعـتـ أـيـامـيـ

أمنية ظفرت نفسي بها زماناً واليوم أحسبها أضغاث أحلامي  
يقول: كنت أظن أنني مهتم.. وأنا في الحقيقة ضائع «وَيَدَاكُمْ  
مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْسِبُونَ»، قال أهل العلم: بدا لهم في سكرات  
الموت.

وقال بعضهم: بل بدا لهم في القبر.

وقال فريق من أهل العلم: بدا لهم في الآخرة.

وأنا أظن والله أعلم أنه بدا لهم في سكرات الموت، فإن الله  
يظهر للفاجر فجوره، وللملحد إلحاده، وللموحد توحيده.

وكان ابن المبارك وهو في سكرات الموت يتبسّم، فقالوا: ما لك  
يا أبا عبد الرحمن تتبسّم؟

قال: «لِيَنْلَهُ هَذَا فَلَيَعْمَلِ الْعَيْلَوْنَ» (٢٦)، وهي بشرى للمؤمنين  
«إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ أَسْتَقْنَمُوا شَتَّانِهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا  
نَظَاهُوْرُوا وَلَا نَخْرَجُوْرُوا».

وأما الفاجر، وأما الملحد، وأما المتهتك، فتقول له الملائكة:  
ويل لك يا عدو الله، فيأتيه الحزن والرعب، فيأتي له قوله: «وَيَدَاكُمْ  
مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْسِبُونَ».

ذكر وكيع في كتاب الزهد أن ابن عمر قرأ قوله سبحانه وتعالى:  
«وَيَدَاكُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْسِبُونَ»، فبكى حتى كادت أضلاعه  
تختلف.

قالوا: ما لك يا أبا عبد الرحمن؟

قال: أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب! نسأل الله  
أن يثبتنا وإياكم على الإيمان، ونعود بالله أن يظهر لنا ما لم نكن  
نحتسب.

الفاجر التلمساني وهو في سكرات الموت قالوا: تغيير واضطرب، وأخذ يهذي بكلام، فقالوا: قل (لا إله إلا الله)، قال: لا أعرف!  
 ﴿يَسْتَأْتِيَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ أَثَابَتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ  
 وَيُضْلِلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧).

ذكر ابن تيمية أن الشيخ الجعدي رأى ابن عربي وابن الفارض في المنام وهما شيخان أعميان يمشيان ويتعثران ويقولان: أين الطريق؟ أين الطريق؟

أين طريق المسجد؟ أين طريق الاستقامة؟ أين طريق التوبية؟

يقول سبحانه عن هؤلاء: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً  
 ضَنْكاً وَخَشْرُومْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى (١٦) وَخَشْرُومْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى قَالَ  
 رَبِّي لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٧) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَكَ إِنَّا نَسِينَا  
 وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُسَيِّنُكَ (١٨)﴾.

الشهرستاني يسمى الأستاذ، ذكي متقد.. لكن ليس كل ذكي زكيًا، فبعضهم ذكي لكن يستخدم ذكاءه في الإلحاد والكفر والتعرض للصالحين وعداؤه أولياء الله.

قال هذا الشهرستاني في آخر عمره:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها	وطوفت طيفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر	على ذقن أو قارعاً سن نادم
يقول: أنا بحثت في الجامعات والمؤسسات عن الهدایة فما وجدت إلا أناساً حيارى.	

فردلت عليه بيتهن قلت:

لعلك يا أستاذ ما زرت أحmdاً	رسول الهدى المبعوث من خير هاشم
فوالله لو قد زرته الدهر مرة	لما كنت نهباً للقصور القشاعم

أنت ما عرفت طيبة، ما عرفت القرآن، ما عرفت زمزم، ما عرفت الحديث. نعم ذهبت تلتمس الهدایة عند الرازى وعند ابن سبعين وعند ابن عربى وتقول كلهم حيارى.

نعم حيارى! لكن اذهب إلى أبي بكر، وأبي بن كعب، وعبدالله بن عباس، ومعاذ، وابن تيمية، وأحمد، والشافعى، وأبى حنيفة.. هل هم حيارى؟ لا والله مبصرون على هدى من ربهم، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَيْنَاهُمْ شَيْئًا وَلَئِنَّ اللَّهَ لَعَنِ الْمُخْسِنِينَ﴾ ٧٩.

يقول ابن كثير عن أبي العلاء المعرى الملحد الزنديق، أنه لما توفي وضعوه في القبر فأتت حية فأخذت بفمها فرجه وأخذت بذنبها لسانه.. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَى وَهُمْ لَا يُنَصَّرُونَ﴾.

هي إذن.. مسيرة من الصراع العالمي كما أسلفت، ونحن نعيش بعضاً من هذه المسيرة.. وسيعيشها من بعدها.. ولكنني أقول لكم: كونوا أنصار الله، كونوا في صف حزب الله، كونوا مع الله، أيدوا لا إله إلا الله، فوالله إن الساكت لهو شيطان آخر، وإنما افترى على نفسه وكتم ما آتاه الله من علم ومن معرفة وأساء إلى مصيره ومستقبله مع الله.

لماذا دعوة العلمنة يدعون لعلمائهم والحداثة والبعث والشيوخية والنصارى واليهود؟

وأين أنت يا موحد، وأين أنت وأنت رجل الكلمة الحقة، وأين أنت وأنت الثابت على المبادئ الأصيلة؟ أين كلمتك؟

والصراع من جانب النساء صراع بين المرأة الوقورة المحتشمة المتحجبة والمرأة المتهتكة المعرضة عن منهج الله، المرأة التي تدوس الحجاب.. المرأة التي تتشدق بالصالحين، المرأة التي تفترى على العلماء، وبين المرأة الصالحة.

فواجـبـ المرأةـ هناـ أنـ تـجـاهـدـ وـأـنـ تـدـعـوـ وـأـنـ تـتـحـركـ بلاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ،ـ وـأـنـ تـنـشـرـ دـعـوـةـ اللهـ فـيـ صـفـوـفـ النـسـاءـ،ـ وـأـنـ تـكـوـنـ قـائـمـةـ عـلـىـ منـهـجـ اللهـ.

يقول ﷺ: «لَئِنْ يَهْدِي اللَّهُ بَكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعْمٍ»<sup>(١)</sup>، هذا والله المكسب.

فيـاـ أـمـةـ اللهـ،ـ وجـهـيـ جـيـلـ النـسـاءـ،ـ وجـهـيـ الـأـمـهـاتـ وـالـبـنـاتـ أـنـ يـعـتـصـمـ بـالـحـجـابـ وـتـقـوـيـ اللهـ وـالـسـتـرـ وـالـعـفـافـ وـأـنـ يـكـنـ كـمـاـ أـرـادـ ﷺ.

أـحـبـتـيـ فـيـ اللهـ..ـ إـنـ الـصـرـاعـ سـوـفـ يـسـتـمـرـ،ـ وـمـنـ لـمـ يـعـشـ هـذـاـ الـصـرـاعـ فـهـوـ فـيـ عـالـمـ الـأـمـوـاتـ يـأـكـلـ وـيـشـرـبـ لـكـهـ لـاـ يـصـارـعـ..ـ فـالـلـهـ يـحـبـ مـنـ أـوـلـيـائـهـ الـمـدـافـعـةـ..ـ وـيـحـبـ الـمـجـاهـدـةـ.

يـقـولـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ:ـ «وَجَهْمَدُوا فـيـ سـيـلـهـ»،ـ وـيـقـولـ سـبـحـانـهـ:ـ «وَأـبـتـغـواـ إـلـيـهـ الـوـسـيـلـةـ»،ـ وـيـقـولـ سـبـحـانـهـ:ـ «إـنـ اللـهـ يـحـبـ الـذـيـنـ يـقـتـلـوـنـ فـيـ سـيـلـهـ،ـ صـفـاـ كـاـنـهـ بـيـنـ مـرـضـوـصـ»،ـ وـيـقـولـ سـبـحـانـهـ:ـ «إـنـ اللـهـ أـشـرـىـ مـنـ الـمـؤـمـينـ أـنـفـسـهـمـ وـأـمـوـالـهـمـ يـأـكـلـ لـهـمـ الـجـنـةـ يـقـتـلـوـنـ فـيـ سـيـلـ اللـهـ فـيـقـتـلـوـنـ وـيـقـتـلـوـنـ»،ـ وـيـقـولـ سـبـحـانـهـ:ـ «وـلـاـ يـخـافـونـ لـوـمـةـ لـآـيـرـ».

ذـكـرـ الإـمـامـ أـحـمـدـ بـسـنـدـ جـيـدـ عـنـ أـبـيـ ذـرـ قـالـ:ـ بـاـيـعـنـيـ ﷺـ عـلـىـ خـمـسـةـ،ـ وـأـشـهـدـ عـلـيـ سـبـعـةـ،ـ وـعـرـفـ بـيـ تـسـعـاـ..ـ أـوـ كـمـاـ قـالـ:ـ أـلـاـ أـخـافـ فـيـ اللـهـ لـوـمـةـ لـائـمـ.

وـرـوـىـ اـبـنـ حـبـانـ عـنـ أـبـيـ ذـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـأـرـضـاهـ قـالـ:ـ أـوـصـانـيـ خـلـيلـيـ ﷺـ بـخـمـسـ،ـ وـقـيلـ بـشـمـانـ،ـ مـنـهـاـ:ـ أـنـ أـقـولـ الـحـقـ وـلـوـ كـانـ مـرـأـ.

وـعـنـ الـبـخـارـيـ مـنـ حـدـيـثـ جـرـيرـ بـنـ عـبـدـالـلـهـ الـبـجـليـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ

(١) مـتفـقـ عـلـيـهـ.

وأرضاه قال: بايعت رسول الله ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله وإنقام الصلاة وإيتاء الزكاة، قال: والنصح لكل مسلم، وفي لفظ: واشترط على النصح لكل مسلم. فالله الله في النصح، فالدين النصيحة.  
واجبنا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر.

ليستمر هذا الصراع كما يريد الله.. بانتصار الأمرين الناهين..  
وخذلان المفسدين.

فانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.. «إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَإِنْ يَنْصُرُوكُمْ»، «إِن يَنْصُرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ».

أسأل الله أن ينصرنا وإياكم، وأن يرعايانا وإياكم، وأن يتولانا وإياكم، وأن ينصر دينه وكتابه وسنة نبيه ﷺ.  
وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



## صراعنا مع أهل البدع

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر لله شكرأً شكرأً، والصلة  
والسلام على معلم الخير وهادي البشر، ما اتصلت أذن بخبر، وعين  
بنظر، وما تألق ورث على شجر، وما حُمِلَ مطر وانهمَر، وصلَى الله  
على آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

هي حرب ضروس وجدت منذ خلق الله الإنسان: بين الخير  
والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل.

وهذه الحرب التي نتكلّم عنها سبباًها من فجر النبوة فحسب،  
أي أننا لن نمر على ما قبل رسول الله ﷺ.

وسوف أتحدث - إن شاء الله - عن البدعة وكيف واجهها علماء  
الإسلام؟ وكيف انتصروا عليها في أكثر من موقعة؟  
وما هي أسباب نشوء البدعة؟

مع بعض الأحداث والقصص حول ذلك.

أما البدعة ففي اللغة: البدعة تدل على أمور منها: الاختراع  
والإنشاء والإبداع.

يُقال: بَدَغْتُ الشَّيْءَ أَيِّ اخْتَرْتَهُ.

وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَ ذَكْرُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ عِنْدَمَا قَالَ: ﴿وَرَهْبَانٍ أَبْتَدَعُوهَا﴾، وَيَعْنِي بِذَلِكَ سَبْحَانَهُ النَّصَارَى الْجَهَلَةُ الضَّلَالُ الْمُتَخَلِّفُونَ الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ لَكُنْ عَبْدُوهُ بِجَهَلٍ فَاتَّخَذُوا لِأَنفُسِهِمْ طَقوساً وَبِدُعَا وَأَشْياءً مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، فَوَقَعُوا فِي الضَّلَالِ وَالْبَدْعَةِ.

وَقَالَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَتَبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ فَنَرَيْكُمْ وَلَا تَنْتَبِعُوا مِنْ دُونِنِي أَفْرِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

فَنَحْنُ أُمَّةٌ نَّتَّبِعُ وَلَا نَبْتَدِعُ، أُمَّةٌ تَقْتَفِي وَلَا تُخْدِثُ مِنْ أَنفُسِهَا وَلَا مِنْ فَكْرِهَا أَمْوَالًا لَمْ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ ﷺ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْرِبُوا بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ تُتَلْقَى مِنَ السَّمَاءِ وَلَا تَنْدَخِلُ فِيهَا إِلَّا بِالْاسْتِبْنَاطِ مِنَ النَّصُوصِ.

وَلِذَلِكَ يَقُولُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَأُ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكْرُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

وَقَالَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ زَينَ لَمْ سُوءَ عَلَيْهِ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾، قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: هُؤُلَاءِ هُمُ الْمُبَتَدِعُونَ زَيْنُ اللَّهِ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ فَرَأَوْهَا حَسَنَةً، وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ هَذَا الْمُسْلِكُ وَهَذَا السَّبِيلُ فَرَأُوا الْبَدْعَةَ حَسَنَةً.

قَالَ سَفِيَّانُ الثُّوْرَى: الْبَدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسِ مِنَ الْمُعْصِيَةِ، لِأَنَّ الْبَدْعَةَ قَلِيلٌ مِنْ يَتُوبُ مِنْهَا، أَمَّا الْمُعْصِيَةُ فَكَثِيرٌ مِنْ يَتُوبُ مِنْهَا.

لِأَنَّ الْمُبَتَدِعَ يَرِى أَنَّهُ مُحْقَقٌ وَأَنَّهُ عَلَى صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَأَنَّهُ مُهْتَدٍ، فَلَا دَاعِيٌ عَنْهُ إِلَى أَنْ يَتُوبَ لِأَنَّهُ يَظْنُ أَنَّهُ عَلَى صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

قَالَ ﷺ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ بِالْفَاظِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا،

وهذا الحديث عمدة من عمد الدين، وقاعدة قوية وصخرة تنكسر عليها رؤوس المبتدعة: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

قال بعض السلف في المبتدعة: لا تجالسو مبتدعاً ولا تؤاكلوه ولا تشاربوه فإنه أعدى من الجريان.

وقال ميمون بن مهران: ثلث لا تُسلِّم لنفسك فيها القياد:

١ - لا تخلُ بامرأة أجنبية، ولو قرأت أي علمها القرآن. فإنه صحيح عنه عليه السلام: «ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»<sup>(١)</sup>.

٢ - ولا تدخل على السلطان، ولو أن قرأت أعظمه، فإنك لا تدرِّي ماذا تفعل. يعني قد تتنازل عن دينك.

٣ - ولا تستمع إلى صاحب بدعة فإنك لا تدرِّي ماذا يقذف في قلبك من بدعته.

ولذلك فالآهواء أسرع إلى أهل البدع وهي السُّمُّ الزعاف، وهي أعدى من الجرب في الأمة إن لم يتداركها الله برحمته تبارك وتعالى.

### أما أسباب البدعة:

فهي تدور على ثلاثة أسباب:

أولها: الجهل بالأثر، وليس هناك معصية أعظم من الجهل.  
وإذا وجد الجهل في أمَّة فإنها قد سُحقت وأُزيل مجدها،  
وذكرت عظمتها، واستولى عليها العدو الباطني والظاهري من كل جانب.

---

(١) رواه أحمد (٤٤٦/٣) والترمذى (٢١٦٥).

لأن الجهل تبعية، والجهل خرافة، والجهل رجعية وتأخر،  
والجهل عند أصحابه طاغوت من الطواغيت.

خرج عبدالحميد بن باديس العالم الجزائري الكبير فأراد أن يطرد  
الفرنسيين من بلاده ومن على تراب وطنه، فأتى إلى الشعب الجزائري  
فوجده جاهلاً.

فأخذ يعلمه الكتاب والسنّة. وقال: كيف نطرد الفرنسيين بأناس  
جهلة؟.

فلما علّم الشعب الجزائري ما يقارب عشرين سنة بدأ الزحف  
على العدو بأهل البصائر.

فما هي إلا سنوات إلا وقد مزق جيش فرنسا تمزيقاً تماماً وطرده  
من على تراب الجزائر.

ولذلك فالجهل بالأثر، أي بالكتاب والسنّة، هو سبب كبير من  
أسباب البدعة.

فإذا رأيت الإنسان يعيش على القشور أو على علوم من هنا وهنا  
ولا يتصل بالقرآن ولا بالسنّة مباشرة، فاعلم أنه لن يتصر على أي من  
أعدائه، بل سيظل مهزوم الإرادة مظلوم الروح.

واعلم أن البدعة أقرب إليه من شراك نعله.

الثاني: الغلو فإنه لا يوجد الغلو في أمّة إلا وترتمي في الابتداع،  
والغلو ليس مطلوباً في الإسلام بل هو مذموم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَمَّلُ  
الْكِتَبُ لَا تَنْلُوْ فِي دِينِكُمْ﴾.

والرسول ﷺ يقول: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك  
المتنطعون»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «المتعمّدون والمتفهّمون والمتشدّدون».

---

(١) رواه مسلم.

ولكن كلمة الغلو في عالمنا اليوم استخدمت في اتجاهين وعلى محورين.

١ - استخدمنا أناس فجرة فسقة، فوَصَّمُوا بها أهل الخير كلهم دون استثناء، وهدفهم حرب الإسلام بهذا الأسلوب.

وأتهموا الشباب الصالح بأنهم يأخذون الدين من قشوره دون له وأساسه.

وهم يكذبون في هذا، فليس هدفهم هو الدفاع عن الإسلام أو الحرص على أساسيات الإسلام ولبيه - كما زعموا -، وإنما القصد الكيد للإسلام بكافة الأساليب المتاحة ومن ضمنها وضُمُّ أهلة بالطرف.

٢ - واستُخدم استخداماً صحيحاً عندما أطلق على فتنة قليلة من المسلمين أرادت أن تغلو وتنتفع في دينها وجارت في أحكامها على المسلمين فكفرتهم أو حاربتهن، أو أنها لم تعذرهم وألزمتهم بما لم يلزمهن الله .

وَدِينَ اللَّهِ بَيْنَ الْجَافِيِّ عَنْهُ وَالْغَالِيِّ فِيهِ: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا».

**السبب الثالث:** اتباع المتشابه من النصوص القرآنية ومن السنة  
المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

فهي نصوص عامة تحتمل التأويل وتحتمل أنواع الاستنباط.

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَامَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبْعٌ فَيُنَبَّئُونَ مَا تَشَبَّهُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْقُسْطَنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ عَامَنَا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابُ﴾.

والمحكم في القرآن كثير والمتشبه قليل.

وعلماء الإسلام وأهل السنة يقولون:

أما المحكم فنؤمن به ونعمل به.  
وأما المتشابه فنؤمن به ونكل علمه إلى الله.  
لكن أهل البدع أخذوا بالمتشابه.  
فزاغوا وأزاغوا، وضلوا وأضلوا بجهلهم واتباعهم للمتشابه.

### ● نماذج من البدع:

هل تعلمون أعدل من الرسول ﷺ؟ حتماً ستقولون: ومن أعدل منه ﷺ؟ .. لا أحد.

إذن فاسمعوا لهذا الحديث: أتى ﷺ يوزع الغنائم بين الناس بأمر الله، لأنَّه قاسم والله المعطي، فلا يوزع من نفسه ولا يسبقه الهوى لأنَّه أخوه الناس الله.

فأخذ يعطي هذا ويعطي هذا، فأتى رجل خارجي.

والخارج لهم ثلاثة صفات:

أولها: أنهم يُغلبون جانب العبادة على العلم كالنصارى فهم جهله.

ثانياً: أنهم يأخذون بظاهر القرآن، وأما السنة فلا يأخذون بها إذا خالفت - في نظرهم - القرآن أو زادت عليه حكماً ما.

ثالثاً: أنهم يكفرون أصحاب الكبائر، ويخرجون أهل المعاصي من الإسلام، ويستحلون قتال أهل القبلة، ويقتلون المسلمين.

المهم: جلس ﷺ يوزع الغنائم فأعطى كل واحد من أجلاف العرب مائة ناقة لأنه يريد أن يتآلفهم للإسلام.

فأتى هذا الخارجي وبين عينيه كركبة العنز من كثرة السجود  
 فقال: أعدل يا محمد!!

سبحان الله!!

هذه الكلمة تملأ الفم وتکاد السموات يتفطرون منها وتنشق الأرض  
وتخرُّ الجبال هداً.

فقال ﷺ: «خبت وخسرت»، وفي لفظ: «خبت وخسرت إن لم  
أعدل»، يعني إن كنت أظلم فقد خبَت في الدنيا وخسرت.  
وحاشا وكلا فهو أعدل الناس.

فقام عمر رضي الله عنه وأرضاه فقال: يا رسول الله دعني أضرب  
عنق هذا المنافق.

فقال ﷺ: «لا يا عمر، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل  
 أصحابه»، وفي لفظ: «لا يا عمر إنه يخرج من ضئضيٍّ<sup>(١)</sup> هذا أنس  
تحقرن صلاتكم إلى صلاتهم، وصيامكم إلى صيامهم، وقراءتكم إلى  
قراءتهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». متفق عليه.  
وفي لفظ لمسلم: «الذِّي أدركُهُمْ لَا قُتلُهُمْ قُتْلَ عَادَ».

ولكنه لم يدركهم ﷺ بل أدركهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه  
في عهده وخلافته حيث انشقوا عن المسلمين وكوئوا حزباً خاصاً لهم.

فناذاهم علي رضي الله عنه إلى الطاعة وإلى الدخول في خلافة  
الإسلام والإمرة فأبوا ورفضوا حتى قاتلهم كما هو معلوم في التاريخ.

ومن فقههم الأعوج أنهم عندما مروا بمزرعة رجل نصراني أخذ  
أحدهم رطبة من نخلة فقالوا له: استأذنت النصراني؟  
قال: لا والله.

فقالوا: عَدْ إِلَيْهِ، وَاللهِ لَا تَصْحِبُنَا حَتَّى تَسْتَأْذِنَنَا مِنْهُ، إِنَّ هَذَا لَا  
يَحُلُّ لَكَ!

---

(١) أي من أصله.

ثم مروا بأحد صحابة الرسول ﷺ اسمه «عبدالله بن خباب» وكان من الأتقياء الزهاد على نهر دجلة، فقالوا: يا عبدالله من من أنت؟

قال: أنا من أصحاب الرسول ﷺ.

قالوا: سمعت منه شيئاً؟

قال: سمعت منه أنه يقول ﷺ: « تكون فتنة فكن عبدالله المقتول ولا تكن عبدالله القاتل ».

فأخذوا امرأته وهي حامل فبعجوها بطنها بالخنجر! فإذا بجنينها يقع على الأرض.

ثم أخذوا الصحابي بعد أن اجتمعوا عليه فذبحوه على النهر.

فوصل الخبر إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضاه فقال: الله المستعان، اذهب يا ابن عباس إليهم لعل الله أن يهدي بك نفراً منهم.

فلبس ابن عباس لباساً جميلاً وتطيّب لأن الله جميل يحب الجمال.

فلما رأوه أقبل قال أحدهم: من هذا؟ كأنه ابن عباس ابن عم الرسول ﷺ.

قال: أنا ابن عباس ابن عم الرسول ﷺ.

قالوا: «**الله أعلم حيث يجعل رسالته**».

فتكلم.

قالوا: يا ابن عباس كيف تلبس هذا اللباس الثمين؟

قال: هذا حلال أتجمل به، أأنا أعرف أم أنت بالسنة؟

قالوا: أنت.

فأخذ يحاجهم، فعاد منهم ما يقارب أربعة آلاف، وقيل ما يقارب ألفين، ورفض البقية العودة إلى دائرة أهل السنة.

فاستعان الله علي بن أبي طالب وخرج بجيشه المسلم ووافقهم في المهروان فاقتتلوا قتالاً ذريعاً.

وبعد أن انتصر عليهم رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده ما كذبت ولا كذب رسول الله ﷺ، ابحثوا عن رجل وصفه لي رسول الله ﷺ مخدج ناتيء الجبهة مغورق العينين مقطوع اليد اليسرى وعليها كثدي المرأة وعليها شعرات.

فبحثوا في الأسارى وفي القتلى حتى عثروا عليه فإذا هو كما وصفه علي رضي الله عنه.

فسجد علي شكرأ الله وقال: الحمد لله رب العالمين.

ثم استمرت بدعتهم ما بين مد وجزر إلى يومنا هذا.

وقد خرج في عصرنا هذا رجل من أحفادهم اسمه «رشاد خليفة» في أمريكا.

وهذا الرجل له مسجد كبير هناك أظنه في ولاية متشنجن.

ويقول: أنا لا أُعترف إلا بالقرآن، والله سوف يرسل رسلاً مصلحين!

يريد أن يمهد لنفسه ليُدعي النبوة.

وقال: من يمنع المرأة أن تصلي بالناس؟ بل المرأة أفضل من كثير من علماء الناس!!

وهذا الضلال لا زال ينشر منشورات وهو لا زال على النفس الخارجي إلى أن يعدل الله بهلاكه، وغيره كثير من هم على شاكلته في التكذيب بالسنة، وقد نسوا قوله تعالى: «مَنْ يُطِيعُ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ».

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَرَعَّمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ . والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إلى سنته.

والرد على هذه البدعة ليس هذا مجاله، وهو والله الحمد واضح لكل ذي لب يعلم أسس الإسلام ومصادره.

ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه فخرج في عهده المرتدون بأصنافهم.

ولم تكن حربهم وخروجهم ابتداعاً بقدر ما هو ثورة وتمرد على الدولة الإسلامية في عهده رضي الله عنه.

فما كان منه إلا أن قاتل الطائفتين، من ارتد منهم كلياً عن الإسلام، ومن أنكر فريضة الزكاة ولم يرض بإعطائهما لأحد غير الرسول ﷺ.

وفي ذلك يقول شاعرهم:

رضينا رسول الله إذ كان بيننا  
فما بالنا نرضى بحكم أبي بكرٍ  
أيملكها بكر إذا مات بعده  
فتلك لعمرو الله قاصمة الظهرٍ  
فقاتلهم رضي الله عنه حتى أعادهم إلى الإسلام من جديد،  
فأقرّوا وأذعنوا.

ثم جاء عمر رضي الله عنه وأرضاه فوق للناس موقف المتحفظ.

قد كنت أعدى أعداها فصرت لها بفضل ربك حصناً من أعداها  
يقول لأبي موسى: إنك سوف تذهب إلى أهل الكوفة فلا  
تشغلهم بفتحك عن قراءة القرآن، فإنك سوف تسمع لهم دوياً كدوبي  
النحل في القرآن.

و يأتي أبو هريرة يحدث حديثاً طويلاً أمام عمر.

فيقوم عمر ويقول: والله إما أن ترك الحديث يا أبو هريرة وإلا فوالذي نفسي بيده لاحقتك بأرض القردة أرض دوس.  
فسكت!

وهذا ليس تكذيباً له ولكن خشية من أن يتتساهم الناس في حديث الرسول ﷺ إذا رأوا أبو هريرة يكثر منه.

وهكذا ما صنعه مع أبي موسى عندما طرق عليه الباب ثلاث مرات فلم يفتح عمر فعاد أبو موسى.

ففتح بعدها ذهب فناداه وسأله: لماذا عدت؟

فقال: أمرنا ﷺ إذا استأذنا ثلاثة فلم يؤذن لنا أن نرجع.

قال: والذي نفسي بيده لتأتيني بشاهد على هذا الحديث أو لا وجئتك ضرباً.

فذهب أبو موسى وهو يرجف ويرتعد إلى مجلس الأنصار فشكوا عليهم الحال.

فأرسلوا معه أصغرهم فشهد له بذلك.

أناه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إن في الجيش الإسلامي الذي يزحف إلى القادسية رجل يقول: كيف تجمعون بين هذه الآيات: يقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ ذَرُوا ۚ ۖ فَلَخِيلَتِ ۖ وَقَرَا ۖ فَلَغَرِيَتِ ۖ يَسْرَا ۖ﴾  
ويقول الله عز وجل: ﴿وَالْمُرْسَلُتُ عَرَقاً ۖ﴾، ويقول الله عز وجل:  
﴿وَالْأَنْزَعَتِ غَرَقاً ۖ﴾.

قال عمر: أوجد هذا في الجيش؟

قال: نعم.

قال: عليّ به.

فذهبوا إلى الرجل فأحضروه إلى عمر.

وكان عمر قد جهز عراجين النخل وهي عصا لعمر لا يضرب بها إنساناً إلا عرف الطريق، وترك وسوساته!

فقال للرجل: من أنا؟

قال: أنت أمير المؤمنين.

قال: أمسكوه. فمسكوه بيديه ورجليه فأخذ يضرره حتى أغمى عليه.

فرشوه بالماء حتى استفاق يقول: أصبحنا وأصبح الملك لله!!  
فضرره ثانية حتى أغمى عليه.

ثم استيقظ فقال عمر: أعرفتني؟

قال: أنت أمير المؤمنين.. يا أمير المؤمنين إن كنت ت يريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد علاجي فقد برأت والحمد لله!!

قال عمر: اذهب ولا تكلم أحداً ولا يكلّمك أحد أبداً.

فأصبح متزوياً لا يسلم عليه أحد ولا يسلم على أحد حتى كتب إلى عمر بعد سنة عندما تاب الرجل فقال: كلّموه.

بهذه الطريقة وبهذا الأسلوب في التعامل مع المبتدة استطاع عمر أن يقف سداً منيعاً دون اقتحامهم لعقول المسلمين والتشويش على صفاتهم.

ثم جاء عثمان رضي الله عنه فخرجت رؤوس البدعة من جحورها لأنهم وجدوا في عهده متنفساً، فابتداً ابن سبا يبث دعوته بسرية بين الناس حتى استطاع أن يؤلب الناس على عثمان رضي الله عنه حتى اغتالوه رضي الله عنه.

ثم جاء علي رضي الله عنه وقدرأينا عمله مع الخوارج حيث الحرب التي لا هوادة فيها مع هؤلاء المبتدعة الذين لا يرتدعون إلا بالسيف.

فلما سمع رضي الله عنه بمقالة ابن سبا اليهودي في تأليهه والغلو فيه، جمع رضي الله عنه أصحاب ابن سبا وحرقهم بالنار إنكاراً لهذا الغلو فيه.

حتى كان يقول وهو يشعل النار:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أَجَجْتِ ناري ودعوت قنبرا  
وقنبر هذا هو خادمه أو رئيس الحرس الذين يرافقونه.  
أما ابن سبا ففَرَّ منه إلى بلاد أخرى فلم يُعثر عليه.

هذا هو عمل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم تجاه أهل البدع الذين حاولوا إدخال ما ليس من الدين فيه، فوقف لهم الصحابة الأجلاء بالمرصاد.

وبعض الناس - هداهم الله - يخفف من واقع المبتدعة وضررهم على الأمة، ويقلل من شأن بدعهم التي ظاهرها الخير وباطنها الزيادة في دين الله.

ونسي هؤلاء أن أحد الصحابة واسمه «عمارة بن رؤيبة» كان يصلِّي الجمعة في زمن الأمويين.

وكان الخطيب هو بشر بن مروان أخو عبد الملك بن مروان.  
وكان يرفع يديه أثناء الخطبة كثيراً فقال عمارة: قَبَحَ اللَّهُ هاتَيْنِ  
الْيَدَيْنِ، وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُخْطَبُ بَنَا فَلَا يَرْفَعُ يَدِيهِ<sup>(١)</sup>.

---

(١) أخرجه مسلم. ويستثنى من ذلك رفع اليدين عند الاستسقاء كما في حديث أنس:  
«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَرْفَعُ يَدِيهِ فِي شَيْءٍ مِّنْ دُعَائِهِ إِلَّا فِي الْإِسْتِسْقَاءِ» متفق عليه.

فانظر رحمك الله كيف أنكر هذا الصحابي لنقاوة فطرته وعقيدته  
ومنهجه هذا العمل اليسير الذي رأه مخالفًا لما جاء به ﷺ.

فما ظنك بمن يخالف سنة الرسول ﷺ في قضايا رئيسية؟ ثم  
يقال للMuslimين: لا تنكروا عليه أو لا تعنفوا عليه.

أما الحسن البصري فكان من أئمة أهل السنة والجماعة وهو من  
الذين لهم قدم صدق في الإسلام.  
جلس في البصرة يعلم الناس.

ومن معتقد أهل السنة والجماعة أن الناس قسمان: مسلم وكافر.  
وأما المنافق فهو أشد من الكفار لكنه في الدنيا يعامل معاملة  
المسلمين لظاهره.

وأما الفاسق فهو من جملة المسلمين فلا يخرج عن الإسلام  
بذنبه، لكننا نخاف عليه العذاب.

فقال الحسن البصري: الفاسق مؤمن في الأصل.

فقال تلميذه واصل بن عطاء: الفاسق ليس بكافر ولا مؤمن ولكنه  
في متزلة بين المتزلتين.

فانفصل عن مجلس الحسن البصري وكوئن مدرسة الاعتراف.

وأكبر ذنوب المعتزلة أنهم قدّموا العقل على النقل.

ورفعوا عقولهم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولذلك ردّ  
عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في: «درء تعارض العقل والنقل»، فأتى  
بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم، فجزاه الله خيراً  
وبين الله وجهه.

فالمعزلة فرقه ضالة مبتداعة نفت الصفات الإلهية وأثبتت الأسماء  
إضافة إلى بدعهم السابقة.

وقد حذر منهم الحسن البصري لأنهم بدؤوا من حلقة، ولكنهم سحروا ألباب الناس ببيانهم ومقالاتهم حتى نشروا بدعهم.

إلى أن كانت نهايتهم أو اضطرارهم بدعهم كجماعة على يد الإمام أحمد رحمه الله كما سيأتي.

وأما فكرتهم فلا زالت وللأسف تعبث بعقول بعض من يسمون بالمفكرين الإسلاميين، وهم في الحقيقة عقلانيون.

أما الجعد بن درهم فإنه مبتدع قديم، وهو الذي أسس مدرسة نفي الأسماء والصفات، وهي أقرب إلى الإلحاد في دين الله عز وجل. ويقول بعض النظار في العقائد: إنها أساس لمدرسة الحلول والاتحاد.

وهو الذي يقول: لم يكلم الله عز وجل موسى.

سبحان الله! يقول الله عز وجل: «وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا»  
وقال الجعد: وددت أنني أحك آية في كتاب الله عز وجل بدمي.

قالوا: ما هي؟

قال: «وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا»!

فرأه بعض أهل العلم بعد أن توفي في صورة كلب ممسوخ.  
فلما علم خالد القسري الأمير بمقالته دعاه واستتابه ولكنه لم يتلب.

وكان خالد هذا سفاكاً ظالماً قوياً، فهُدِّه بالقتل فرفض، فأخرج جه في يوم أضحى ثم خطب العيد وقال في آخر الخطبة: أيها المسلمون ضخوا تقبلاً لله أضعياتكم، فإني مضي بالجعد بن درهم !!

ثم نزل ونحره باتجاه القبلة بعد أن سمي وكيراً !!

فتقبل الله منا ومنه - إن شاء الله - والبدنة عن سبعة !! ﴿فَإِذَا  
وَجَتْ جُنُوبُهَا فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعَرَّ﴾ .

ولذلك قال ابن القيم رحمة الله في النونية :

ولذاك ضحى خالد بالجعد يوم ذيائع القريان  
إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني  
شكراً للضحية كل صاحب سنة الله درك من أخي قريان  
فسكنت البدعة قليلاً إلى أن أجيجهما المأمون الخليفة العباسى.

وهذا الرجل كان داهية من الدهاة، وطالب علم، لكن علمه  
مشوب بالبدعة.

لأنه نشأ على أساتذة من أهل البدعة في خراسان وما جاورها.

فأتى بغداد ليأخذ الحكم بعد أخيه الأمين.

والامين قرشي أقرب إلى السنة من المأمون، لأن أممه زبيدة  
قرشية، والمأمون أممه مولاة من السبي أعمجية.

فكتب لهما أبوهما هارون الرشيد كتاباً وجعل الأمر بينهما وجعل  
الخليفة الأول من بعده هو الأمين وبعده المأمون.

فلما تولى الأمين سُئلت له نفسه فخلع أخيه المأمون وولي ابنه بعده.

فغضب المأمون واستشار وزراءه فنصحوه بقتال أخيه لأنه لا  
يستطيع المدافعة عن نفسه، ففعل ما أرادوا حتى استولى على الحكم  
في قصة يطول ذكرها.

المهم أن المأمون لما تولى الحكم واستتب له الأمن انصرف إلى  
العلم وإلى ترجمة كتب الفلاسفة واليونان حتى صاهى بها كتب أهل  
السنة، وقرب كل فيلسوف أو معتزلي حتى أصبح حرباً على أهل  
السنة.

ويبدأ ببُثِّ القول بأنَّ القرآن مخلوقٌ وأنَّه ليس صفةً من صفاتِ اللهِ.

والصواب أن كلامه تعالى صفة من صفاته سبحانه وتعالى، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، فهو يتكلم سبحانه وتعالى بما شاء ومتى شاء كما قال: «وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَحْكَلِيمًا»، «فَاجْرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلْمَةَ اللَّهِ».

فأجاب له الكثير من الناس تحت تهديد العذاب والسجن حتى  
اصطدم بالرمز الكبير لأهل السنة أبي عبدالله أحمد بن حنبل.

من تلظى لموعيه كاد يعمى     كاد من شهرة اسمه لا يُسمى  
عرضوا عليه الذهب والفضة ليسكت فقال: لا .. بل كلام الله  
صفة من صفاته وأنتم مبتدعون.

قالوا: نوليك ولاية الوزراء تحت يدك، فتعزل من شئت وتولي من شئت.

قال: لا.

قالوا: أنت عالم الدنيا ولك دار الحكمة ولك ما شئت.

قال: لا.

قالوا: إذن نقتلك.

قال: القتل أهون.

قالوا: نحبسك.

قال: الحبس أهون.

قالوا: الجلدُ.

قال: الجلد أهون.

لأطفوني هدّتهم هدّوني  
أركبوني نزلت أركب عزمي  
أطرب الموت مقدماً فيولي  
لوحوا بالكنوز راموا محالاً  
كلها لا أريد فكوا عناني  
أطلقوا مهجتي فرأسي أقسى  
قبضوا عليه وأرسلوه إلى الخليفة ليهدّده ليعود عن مصادمته لهم،  
فذهب معهم.

وفي الطريق جاء الفرج بموت المأمون.

فتولى بعده أخوه المعتصم، وكان رجلاً قوياً شكيراً، لا يفقه إلا  
رأي أخيه، فهو جاهل بالعلم لكنه قوي في المعارك، ولذلك لبس عليه  
المبتدعة من المعتزلة في عهده كأحمد بن أبي دؤاد ليسير على نهج  
أخيه المأمون.

فسار فترة من الزمن على ذلك وعذب الإمام أحمد وسجنه، لكن  
الإمام لم يخضع إلى أن أطلق سراحه بعد أن استصعب عودته عن  
رأيه.

فتولى بعده الم توكل، ونصر السنة وأطfa البدعة، وقضى على  
المعتزلة، حتى خفت بدعهم وتفرق جماعتهم.  
وكان الذين تولوا عذاب الإمام ثلاثة رجال:

أحمد بن أبي دؤاد، وأحمد بن الزيات، ورجل آخر اسمه ابن  
هرمة.

فدعوا على الثلاثة.

أما أحمد بن أبي دؤاد فقال: اللهم عذبه في جسده.  
وقال لابن الزيات: اللهم خذه أخذ عزيز مقتدر.

وقال للثالث: اللهم امحقه.

فأما أحمد بن أبي دؤاد فشل نصفه ويس.

فكان يقول للناس: أما نصفي هذا فوالله لو وقع ذباب على لكان القيامة قامت، وأما النصف الآخر فوالله لو قطع بالمناشير أو أخذ بالمقاريف ما أحسست به أبداً.

وأما أحمد بن الزيات فجعل في فرن وضرب على رأسه بمسامير حتى مات.

وأما الثالث فأخذ وطرح للفيلة وقيل للأسود، فأكلته ومزقت جسده، فالحمد لله على فضله وانتصاره لأنّة أهل السنة.

أما الإمام مالك فقد كان رجلاً مهاباً كالسلطان، يخاف منه الناس ولا يستطيعون الكلام معه أو المفاوضة.

حتى لقد كان الخليفة في عصره هارون الرشيد يدخل عليه في بيته فيأتي أطفال الخليفة الأمين والمأمون فيريدون الدخول فيرون الإمام مالك فيهربون.

فيقول هارون الرشيد: أتدرى يا أبو عبدالله لماذا يهرب أبنائي؟

قال: لا أدري.

قال: هيبة منك والله.

قال أبو جعفر المنصور لوزرائه يوماً: ما هي عجائب الدنيا؟

قال بعضهم: الحدائق المعلقة.

وقال الآخر: غوطة دمشق.

فقال: عجائب الدنيا عقل الإمام مالك!

دخل عليه رجل في المسجد وهو يدرس العلم فقال: يا إمام،  
يقول الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ ٥ كيف استوى؟

فنكس الإمام مالك رأسه لأنه استنكر هذا السؤال الذي يغوص  
في دقائق العلم التي لا تهم المسلمين معرفتها، بل يهمهم أن ينقدوا  
أنفسهم منها.

فكَرَ قليلاً حتى سال العرق من على جبينه ثم رفع رأسه فقال:  
الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به  
واجب، وإنني لأظنك رجلاً مبتدعاً. فأمر تلاميذه بإخراجه.

فقام التلميذ فسحبوه حتى وضعوه في بقيع الغرقد لأنَّه مبتدع.  
وهذا جواب أهل الإسلام تجاه من يريد أن يحيي البدع أو يبعثها  
من مرقدها.

ثم استمر الحال على ذلك والبدعة تخفت مرة وتشتعل أخرى.  
وبسبب اشتعالها جهل الناس بالآثار عندما تعطل المسانيد والسنن.  
فإذا رأيت أمة لا يدرس فيهم القرآن ولا السنة، فاعلم أن البدعة  
سوف تقبل عليهم ولو كانوا مثقفين، لأن الثقافة شيء والعلم شيء آخر.

بل لقد رأينا أن ما يسمى بالثقافة الإسلامية مصدراً من مصادر  
البدع والعياذ بالله.

لأن أصحابها لا يرجعون في قضيائهم إلى قال الله وقال  
رسوله ﷺ.

وإنما يعودون إلى عقولهم، فلذلك يتخطبون يمنة ويسرة في  
أحكامهم وأرائهم.

ثم جاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في أواخر القرن

السادس وأوائل السابع، وهذا الرجل أيقظ الله به الهم وأصلح الله به الشام والبلاد الإسلامية.

وهو رجل لا كالرجال، عظيم من العظام، ولا نغلو فيه لكننا نتقرّب إلى الله بحبه.

فقد أُوتى صفاتًا قل أن تجتمع في الإنسان.

منها: ذكاؤه الخارق وعقربيته الفياضة المشرقة.

يقول: كنت أقرأ المجلد الكامل مرة فيتقش في ذهني حفظاً.

وكانت تُعجم عليه المسألة، فيستغفر الله ألف مرة أو أكثر أو أقل فيفتحها الله عليه.

قرأ كتب الفلسفه ففهمها ورد عليهم.

كان يؤلف المذكرة أو الكتاب من بعد صلاة الظهر إلى العصر فيقرأها الناس سنة فلا يفهمونها.

وكان يرد على الطوائف جميعاً.

ولم يتزوج ولو أن الزواج أفضل كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾، لكنه ترك ذلك لظروف يعلمها ريه.

فجعل ليه ونهاره وأوقاته في خدمة الإسلام.

أما ليه، فهو ما بين صلاة وتلاوة وتسبيح ونوم قليل وتهليل.

وأما نهاره، فكان يجلس بعد صلاة الفجر فيتلئم الفاتحة ويرددتها مع الأذكار ورداً صباحياً حتى يتعالى النهار ثم يتفلّ.

ثم يتوزّع في الحلقات ما بين تفسير وحديث وفقه وعلوم أخرى.

ثم ينزل إلى السوق فيمزر بالناس ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويسأل عن الأيتام والأرامل والمساكين.

ثم ينطلق إلى المارستان فيزور المرضى ويرقىهم ويواسيهم.  
ثم يعود فيمر بالمقبرة، فيعود فيسلم ويفعل هذا أياماً دون أيام.  
يقول أحد تلاميذه: مر ابن تيمية يوماً فرأى فقيراً يسأل فلم يجد  
 شيئاً يعطيه فخلع له أحد ثوبيه.

قال: ومررنا مرة أخرى فلم يجد ابن تيمية إلا ثوباً واحداً فأخذ  
عمامته فشقّها نصفين وأعطى الفقير نصفها.

قاتل التار فكان يضرب بالسيف ويفلّ به الأعداء فلاً.

وصفاته تتعدّى الحصر رحمه الله، وقد ذكرت شيئاً من أسرار  
عقريته في رسالة من هذا المجموع لمن أراد الزيادة.

المهم أنه وقف سداً منيعاً تجاه بدع عصره التي تتفاوت ما بين  
صوفية وأشعرية واتحادية ومعترلة وفلسفية وفقهاء متعصبين.

ذاق خلال ذلك السجن والتعذيب عدّة مرات، ولكن في النهاية  
انتصر عليهم، فبقيت أطروحته ومؤلفاته معيناً للشباب المسلم في كل  
مكان إلى اليوم.

وبعد وفاته عادت البدع تعمل عملها في ديار الإسلام سنين  
عديدة.

إلى أن قيَضَ الله لها بطلاً آخر نذر نفسه لإحياء سنة المصطفى  
ويبعث العقيدة السلفية من جديد بعون الله.

ذاكم هو الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب الذي جاهد في الله  
حقّ جهاده على أرض نجد إلى أن أصلح عقائد أهلها بتوفيق الله فعاد  
الإسلام نقياً في ديارنا والله الحمد.

وقد تأثر بحركته كثير من الناس في العالم الإسلامي، فحاولوا  
القيام بما قام به فتمّ لهم ما أرادوا.

وهو أيضاً - رحمة الله - لم تخلُ حياته من صراع وأعداء، لأن هذه سنة الله في أرضه كما قال سبحانه: ﴿وَلَذِكَرَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ . وهكذا أتبعهم.

ولكنه رحمة الله صبر على الأذى الذي لحقه حتى نصر الله دعوته فانقاد لها الناس مذعنين، لأن الرجل ما كان يطلب صيتاً ولا حكماً، وإنما يطلب نشر هذا التوحيد فحقق الله له ما أوقف نفسه عليه.

ولا زلتنا والله الحمد نعيش تحت ظلال دعوته المستقة من الكتاب والسنة، والله الحمد.

ولكن هل خلا الجو لأهل السنة اليوم بعد هذا الصراع المرير مع أهل البدع؟

لا.. بل لا زال أذناب أولئك يخرجون علينا بين الحين والآخر يريدون إحياء بدعهم من جديد كالرافضة والصوفية والأشاعرة والعقلانيين الجدد الذين يتصدرون الساحة اليوم - أعني في الإعلام الإسلامي.

وواجب أهل السنة اليوم وأصحاب العقيدة السلفية أن ينزل علماؤهم للساحة ويتصدّرها، ويكسروا الشباب حولهم ويوجهوهم، وينشروا العلم السنّي بين أوساط الناس حتى يعرفوا الحق من الباطل.

وأن يجتهدوا في نشر الخير وطباعة الكتب، والتأثير على بلاد المسلمين بواسطتها، وبواسطة الزيارات واللقاءات والمحاورات ونشر علم الحديث النبوي وشرحه.

إلى أن يتم لنا القضاء نهائياً على أهل البدع، فيأتي نصر الإسلام بعده كما بشر بذلك المصطفى ﷺ، وأتمنى أن يكون ذلك قريباً. والله أعلم، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

## صراع المؤمنين مع الملحدين

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

والصلوة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

يا أبناء التوحيد، ويا حملة التوحيد، ويا أبناء المجدد الموحد الكبير محمد بن عبدالوهاب، سلام لا ينقطع إلا بدموع العين.

سلام الله أرفعه إليكم وتهديه الغدو إلى الرواح يسجلها بدموع العين قلبي وأكتبها على متن الرياح لأجساد بها فهم المعاني وأرواح من التقوى صلاح معترك عظيم.. وصراع هائل بين (لا إله إلا الله) وبين (لا إله والحياة مادة).

معركة عظيمة شعواء بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، خاضها نوح عليه السلام، وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين وسلم تسليناً كثيراً.

قال تعالى: «فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنُعْمَتِ رَبِّكَ يَكَاهِنْ وَلَا بَجْنُونْ ٢٩  
أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرْ نَدِيَّنْ يِلِهِ رَبِّ الْمَنْوْنْ ٣٠ قُلْ تَرَصُّدُوا فِإِنِّي مَعَكُمْ مِنْ

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلِمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغِيُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُمْ  
 بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مُّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَدِيقِينَ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَلَقُوا مِنْ  
 غَيْرِ شَعَءٍ أَمْ هُمُ الْخَلَقُونَ ﴿٢٩﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ  
 أَمْ عِنْدَهُمْ حَزَابٌ رَّيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصْبِطُرُونَ ﴿٣٠﴾ أَمْ لَمْ يَسْتَعِنُوْ فِيهِ  
 فَلَيَأْتُ مُسْتَعِنُهُمْ بِشَطَاطِنٍ شَيْئِنَ ﴿٣١﴾ أَمْ لَهُ الْبَنْثُ وَلَكُمُ الْبَنْثُ أَمْ تَسْأَمُهُمْ  
 أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرِبِ مُشْقَلُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْفَيْثُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ يُرِيدُونَ  
 كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمُكَدِّرُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ لَمْ يَلْهُ عِنْهُ اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَنْهُ  
 يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ .

وقال تعالى: «الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَمَ الْفَرْمَادَ ﴿٢﴾ حَلَقَ الْإِنْسَنَ  
 عَلَمَهُ الْبَيَانَ ﴿٣﴾ السَّمَسُ وَالْقَمَرُ بِمُسْبَانٍ ﴿٤﴾ وَالنَّجْمُ وَالسَّجَرُ يَسْجُدُانِ  
 وَالسَّمَاءُ رَفِعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٥﴾ أَلَا تَنْطَعِفُ فِي الْمِيزَانِ ﴿٦﴾ »وقال: «وَكَانَ  
 مِنْ مَا يَأْتِي فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُرُ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعَرِّضُونَ ﴿٧﴾ »وقال:  
 «أَفَنْجَلَ الشَّيْلَيْنِ كَالْمُتَرِمِّيَنِ ﴿٨﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَخْكُمُونَ ﴿٩﴾ »وقال: «أَنْ تَجْعَلُ الدِّينَ  
 أَمَّا نَرَا وَعَسِلُوا الصَّلَاحَتِ كَالْمُقْسِيَنِ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَقْيَنِ كَالْمُجَارِ ﴿١٠﴾ ».

فحاجتنا إلى الإيمان، وجوعنا للإيمان، وظمئنا للإيمان.

فما كثرت معاصياننا ولا مخالفاتنا وفجورنا ولا بُعدنا عن الله إلا  
يوم أن قُلَّ الإيمان والبعد عنه.

يقول نوح عليه السلام وهو يثبت قدرة الباري تبارك وتعالى:  
 «فَنَفَّثْتُ أَسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَافِرًا ﴿١﴾ يُرِسِّلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدَارًا ﴿٢﴾  
 وَيَمْدُدُكُمْ بِأَمَوَالٍ وَبَيْنَ يَمْجِدُكُمْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَمْجِدُكُمْ لَكُمْ أَنْهَرًا ﴿٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ  
 لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٤﴾ ، فَأَيْنَ عُقُولُكُمْ وَقُلُوبُكُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ تَخَلَّفْتُمْ عَنْ رَكْبِ  
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟

يا أهل التراب.. يا أهل الوثنية.. يا أهل الإلحاد.. يا أهل  
 العلمانية..

لماذا تخلّفتم عن لا إله إلا الله، وقد خلقكم الله أطواراً؟  
فنحن والله في حاجة إلى أن نبث أفكار الإيمان وأن نغرس أفكار  
الإيمان أكثر من حاجتنا إلى غيره من الأمور والأفكار.

فما أنت المعاشي إلا يوم ضعف الإيمان، فظهر التبرج والسفور  
والتنكر للشريعة، والتخلّف عن الصلاة، واقتضاء الغناء والمجلة الخليعة  
والصحبة الفاسدة، والإعراض عن القرآن ومحبة الكفار والزنا والربا،  
والغناء.. كلها لما ماتت شجرة الإيمان فشتّت وانتشرت.

فأين الداعية الموفق الذي يحرك الإيمان في حياة الناس.

أنت كنز الدر والياقوت في  
لجة الدنيا وإن لم يعرفوك  
محفل الأجيال محتاج إلى  
صوتك العالي وإن لم يسمعوك  
إبراهيم عليه السلام يدخل على زنديق في قصره ليجابهه ويدعوه  
إلى الإيمان.

فاسمع إلى قصص القرآن وهو يصور جزءاً من المناظرة الساخنة  
الحارة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِيعِهِ أَنْ هَاتِنَهُ اللَّهُ الْمَلِكُ إِذَا  
قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يَعْلَمُهُ وَيَعْلَمُهُ﴾.

يا ملحد: أنا لي رب له صفات لا توجد فيك.

يا ملحد: أنا لي إله قادر لا تملك من صفاته شيئاً. ﴿إِذْ قَالَ  
إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يَعْلَمُهُ وَيَعْلَمُهُ قَالَ أَنَا أَعْلَمُهُ وَأَمِيتُّ﴾.

يا للسخف! يا للفكر العفن! سلمنا لك ذلك جدلاً.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّكَ اللَّهَ يَأْتِي بِأَشْمَسِينَ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَتِ  
يَهُا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبَهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾، وانتصرت (لا إله إلا الله) وبهت الذي

كفر، ودَوْتُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وانهزم الذي كفر، وارتقت (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

### يا غارة الله جدي السير مسرعة

في سحق أعدائنا يا غارة الله

موسى عليه السلام يدخل على الملحد فرعون الذي يدعى الألوهية بقوله: «مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي»، ويقول: «أَنَّسَ لِي مُلْكَ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَرُ تَجْرِي مِنْ نَحْنِ». فكما أجراها الله من تحتك سيجريها من فوق رأسك.

وقد فعل!

﴿قَالَ فَمَنْ زَيْدُكُمَا يَنْهُوسِي﴾.

لو قال موسى: ربنا الله، لقال فرعون: أنا الله.

ولو قال موسى: أنا ربى الذي فوق سبع سموات.

لقال: وأنا فوق الكرسي.

ولو قال: الذي له مصر وغير مصر.

لقال: أنا لي ملك الدنيا.

لكنه أتى بأعجوبتين مختصرتين فقال: «ربنا الذي أطعنى كل شيء خلقه ثم هدى»، لا إله إلا الله! أعطى النحلة خلقها وهي حشرة لا تفقه فهداتها إلى خليتها، وأعطى الذباب خلقه فلا يغلبه غلاب منبني آدم، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى. فقال: «كل شيء» ليعلم جميع الأشياء.

قل للطبيب تخطفته يد الردى

من يا طبيب بطبّه أرداك

قل للمريض نجا وعوفي بعدها

عجزت فنون الطب من عافاك

والنحل قل للنحل يا طير البوادي  
 من الذي بالشهد قد حلاك  
 وإذا ترى الشعبان ينفث سمه  
 فاسأله من ذا بالسموم حشاك  
 واسأله كيف تعيش يا ثعبان  
 أو تحيا وهذا السم يملا فاك  
 فالحمد لله الكريم لذاته  
 حمداً وليس لواحد إلاك  
 لكن من يقرأ آيات التوحيد؟ من يتدبّر؟ من يتأمل؟ «أَفَلَا يَنْظُرُونَ  
 إِلَى الْأَيْلَلِ كَيْفَ مُتَّقَتْ» (١٧) يا أمّة الصحراء! يا أمّة الجمال! اقرأوا  
 التوحيد في الجمال، واقرأوا محاضرة العقيدة في الجمال.  
 «وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ» (١٨) فمن رفعها؟ من سواها؟ من  
 جملها؟

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد  
 فيها عجباً كيف يعصى الإله أو كيف يجحده الجاحد  
 ويأتي أبو القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيخوض المعركة الثالث.. معرتك (لا إله  
 إلا الله) مع (لا إله والحياة مادة)، فيجلس في مجلسه يلقي رسالة  
 التوحيد بعمق ويوسّسها في القلوب بأصالة، ويعرسها في الأرواح  
 بحب.

فيدخل عليه العاص بن وائل فیأخذ عظماً ويفتنه ثم ينفخه  
 ويقول: يا محمد أتزعم أن ربك يحيي هذا بعد أن أماته؟  
 قال: «نعم، ويدخلك النار».

فقال الله للملحد الزنديق: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَسَقَ خَلْقَهُ»، فقد  
 كان أعمى أصم في عالم العدم، «هَلْ أَقَعْتَ عَلَى الْإِنْسَنِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ

يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ تُطْفَلٍ أَمْشَاجٍ ثَبَّلْنَاهُ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا  
بَصِيرًا ﴿٢﴾ .

الآن تضرب الأمثال يا ملحد!

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتاد ساعده رماني  
وكم علّمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني  
﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَسَوَى خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُتَّحِي الْعِظَمَ وَهُوَ رَمِيدٌ﴾  
والجواب سهل: الذي بدأ الطريقة هو الذي ختمها.. والذى أتى  
بالمقدمة هو الذي أتى بالخاتمة. ﴿قُلْ يَعْلَمُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً وَهُوَ  
يُكَلِّ خَلْقِ عَلِيهِ﴾.

وهذا درس للدعاة أن يضربوا الأمثال العقلية في دعوتهم وأن  
يضربوا المنقول بالمعقول لعل الناس أن تفهم هذه الأمثال.

أبو حنيفة رحمه الله يمر على قوم من الملحدين فيقولون له: يا  
أبا حنيفة دلل لنا على وجود الباري.

سبحان الله! ﴿أَفَلَا يَشْكُرُ﴾ سلوا الزهرة من خلقها؟ سلوا  
النحلة من أرسلها؟ سلوا شعاع الشمس من بثه؟ سلوا النسيم من  
أجراء؟ سلوا الحب من أسكنه القلوب؟ سلوا نور العين من ركبته في  
المقل؟ سلوا الليل ما له يظلم؟ سلوا النهار ما له يتجلّ؟

يا أبا حنيفة: دلل لنا على وجود الله.

قال: سبحان الله! قبل أن أجيب على هذه المسألة أرأيتم سفينـة  
عبرت عباب دجلة ونزلت في الشاطيء بحمولتها وليس لها قائد ولا  
سائق ولا ربان؟

قالوا: هذا ليس بصحيح.

قال: لماذا؟

قالوا: العقول تنكر هذا!

قال: سبحان الله! سماء ذات أبراج، وليل داج، وبحر يزخر،  
ونجوم تزهر، وأرض ذات فجاج.. ألا تدل على السميع البصير؟

قالوا: بلى.

إنه صراع قديم بين (لا إله إلا الله) و (لا إله والحياة مادة).

ذكر ابن كثير في التفسير في قوله تعالى: «يَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رِبَّكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (٢١) أن هارون الرشيد الخليفة العباسي قال للإمام مالك: دلل على قدرة الله تبارك وتعالى.

فقال الإمام مالك: سبحان الله! أمثلك يسأل هذا السؤال؟ اختلاف اللغات، وتعدد اللهجات، واختلاف النغمات، كلها تدل على السميع البصير.

وقيل للشافعي: دلل لنا على القدرة.

فقال: هذه الورقة - ورقة الشجرة - تأكلها الدودة فتخرج حريراً صافياً، وتأكلها الغزالة فتخرج مسكاً، وتأكلها النحلة فتخرج عسلاً.. ألا يدل ذلك على السميع البصير؟

نعم! إني والله تدل على السميع البصير.. فيما سبحان الله كيف أقفلت العقول عن هذه الآيات حتى أصبح من أعظم أمراض المجتمعات مرض الإلحاد ومرض الشك ومرض ركب الحداة وأذنابها وعملائها ليث سموه في الساحة.

والإمام أحمد يأتي بدليل فيقول: بيضة الدجاج أما سطحها ففضية بيضاء، وأما باطنها فذهب الأبريز، تفقس فيخرج منها حيوان سميع بصير ألا تدل على السميع البصير؟

بلى والله.. لكن من يتأمل ومن يتفكّر ومن يتدبّر «فَمَا لَمْ

يُؤْمِنُونَ ﴿٢٩﴾ مَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَالسَّمَاءُ تَشَهِّدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.. مَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَالْأَرْضُ تَشَهِّدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.. مَا لَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَسْتَجِيْبُونَ وَيَنْطَقُونَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

دخل علي بن الجهم على المتكفل فأتى يمدح الخليفة يوم عيد الفطر فقال:

أنت كالكلب في حفاظك للود  
وكالثيس في صراع الخطوب !!  
فقام الوزراء والحراس ليطروحوه أرضاً ويضربوه ضرباً مبرحاً جزاء  
لهذه السخرية .

لكن الخليفة كان ذكياً فقال: دعوه، إنه قد عاش في بيئه بدوية  
لا تعرف إلا الكلب والثيس .

فأنزلوه عند الرصافة.. عند الجمال والحياة، وعند الماء والزهر  
والورد والحدائق الغناء والبساتين الفيحة .

وبعد سنة أتى للخليفة ليمدحه فقال متأثراً بمجتمعه العجيد:

عيون المها بين الرصافة والجسر  
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وفي كلا حاليه: البداوـة والحضارة يجد ما يدل على الله السميع  
ال بصير .. ففي البداوـة يجد الأنعام والحيوانات .. وفي الحضارة يجد  
ال حدائق الغناء والزهور البديعة . ففي كل أحوالك أيها الإنسان تواجهك  
آيات الله سبحانه .

قيل لأعرابي: كيف عرفت الله؟

قال: سبحان الله! البعثة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير،  
وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على السميع البصير؟

فهذا أعرابي جاهل قد عرف الله تعالى!

إذن.. لا تظنوا أن من حمل العلم سوف يكون مؤمناً بالله، لا.. فمن الناس من يحمل علمًا ومتوناً ولكنه فاجر من الفجرة منتظم في سلك فرعون وإبليس ولذلك إذا ذكر الله العلم ومدحه فإنه يذكر بجانبه الإيمان مثل: «وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ» لأن العلم بلا إيمان لا يعد علمًا.. بل هو من العلم الذي لا ينفع.

الفيلسوف الكندي عالمٌ وذكيٌ ولكنه ملحد!.. أتى ليعارض القرآن وفتح المصحف وقال لطلابه: انتظروني ساعة سوف آتي بسورة أعظم من سور القرآن، وفتح المصحف فوق نظره على قوله سبحانه وتعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْمُعْهُدِ أَجِلَتْ لَكُمْ يَهِيمَةُ الْأَنْتِمْ إِلَّا مَا يُتَّلِقُ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُغْلِي الصَّيْدِ وَأَتَمْ حُرْمَةُ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ». فقال: عجيب، لقد نادى، وأمر، وبين، واستثنى، وفضل، وختم، في آية واحدة.

فلما أراد أن يرفع يده وجد نصفه قد شُلّ وأصبح يابساً جافاً  
«وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنَصَّرُونَ».

وابن الريوندي زنديق ذكي ألف كتاب (الدامغ) ليدمغ به القرآن فدمغه الله وأخزاه الله «تَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَئِكَ».

فإذاً نحن بحاجة إلى الإيمان الذي يحرك القلوب.. لأن علماً لوحده لا يكفي لأنها ضلالة. فواجب علماء المسلمين اليوم أن يغرسوا شجرة الإيمان في قلب الأمة قبل أن يهتموا بغيرها.



## الأدب المؤمن والأدب الملحد

والأدب المؤمن يشارك أيضاً في الحملة على الملحدين. فتعالوا إلى أدباء موحّدين وأدباء ملحدين لنرى كيف تحرك العقيدة كلاً منهم.

١ - أبو نواس وحَدَ الله بأبيات جميلة، فرحمه الله - كما يروى - بسببها.

يقول ابن كثير وهو يستدل على قدرة الباري تبارك وتعالى:  
ولأبي نواس أبيات ما أحسنتها في الإيمان:

تأمل في نبات الأرض وانظر  
إلى آثار ما صنع الملِيكُ  
عيون من لجين شاخصات  
بأخذاق هي الذهب السبيكُ  
على كثب الزبرجد شاهدات  
بأن الله ليس له شريكُ  
فذكروا في ترجمته أنه رؤي.. فسئل عن حاله، فقال: غفر  
لي الله بهذه الأبيات.

٢ - شاعر مؤمن آخر يقول في عظمة الله وعفوه وقدرته:

لطائف الله وإن طال المدى  
 كل محة الطرف إذا الطرف رنا  
 كم فرج بعد إيس قد أتى  
 وكم سرور قد أتى بعد الأسى  
 سبحان من يغفو ونهفو دائمًا  
 ولم يزل مهما هفا العبد عفا  
 يعطي الذي يخطئ ولا يمنعه  
 جلاله عن العطا الذي الخطأ  
 أما الشعراء الملاحدة فهم كثير في أمتنا الإسلامية على مر  
 العصور. ومنهم:

١ - أبو العلاء المعري أعمى القلب وأعمى البصر «**خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَفْنَانِهِمْ غَشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**»، كان  
 ذكياً.. ولكن لم يكن ذكياً، قال:  
 يد بخمس مثين عسجد وديت  
 ما بالها قطعت في ربع دينار  
 فهو يتعرض على قطع يد السارق.. لأن يده تقطع في سرقة ربع  
 الدينار ثم هي ديتها خمسين دينار ثم تابع اعتراضه فقال:  
 تناقض مالنا إلا السكتوت له  
 ونستعيذ بربنا من النار  
 لا والله.. لقد عرضت وجهك وقلبك النار وفتحت على نفسك  
 طريقاً إلى النار، وجعلت الله سلطاناً عليك.  
 لكن ردّ عليه شعراء أهل السنة والجماعة فأجادوا:  
 قل للمعري عاز أيماء عار  
 جهل الفتى وهو عن ثوب الثقي عار

لا تقدحن بنود الشرع عن شبه  
شرائع الدين لا تُقدح بأشعار

ونَكَلَ الله بالمعري، فقد ذكر كثير من أهل التاريخ أنه لما توفي وأجلس في قبره وإذا بحية في القبر فأخذت بلسانه ويرجليه. نسأل الله العافية.

أما شعراء هذا العصر وأدباء هذا العصر الذين يبتلون سموهم فمنهم الشاعر القرمي القائل:

هبوا لي ديناً يجعل العرب ملة  
وسيروا بجثمانى على دينِ برهٍ  
بلادك قدّمها على كل ملة  
ومن أجلها أفتر ومن أجلها صمٍ

وقد ردَّ عليه شعراء أهل السنة والجماعة والحمد لله.

ويقول إيليا أبو ماضي: (جنت لا أعلم من أين ولكنني أتيت!).

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ رِيشُكَ الْكَبِيرِ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَكَ  
فِي أَيِّ صُورَةِ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴿٢﴾﴾.

لقد أتيت من نطفة! «فَلَمَّا أَتَى عَلَى الْإِنْسَنَ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ  
شَيْئًا مَذَكُورًا ﴽ٣﴾»، ولكنه الإلحاد في الشعر والأدب.

وفرق بين هذا الشك.. وبين إيمان ذاك الأعرابي الذي أسلم وقال: يا رسول الله، إني خارج إلى الغزوة وإنني أرى أن أقتل هذا اليوم فأين ألقاك يوم القيمة؟ يا لإيمان! يا لل LYCEN! فهو يطلب فقط الموعد.

أين إيمان هذا الشاك من إيمان عبدالله بن أنس الذي يقتل خالداً الهذلي ويأتي إلى الرسول ﷺ فيراً وقد قتلها فيقول له ﷺ: «أفلح الوجه».

قال: وجهك يا رسول الله.

قال: «خذ هذه العصا فتوكأ بها وسوف تتوكاً بها في الجنة،  
والمتوكون في الجنة بالعصي قليل».

فياخذ العصا وينام والعصا معه، ويستيقظ والعصا معه.. ولما  
مات دفنا العصا معه لأنه سوف يتوكأ بها في الجنة.

وشاعر آخر يقول لبشر مثله يأكل الطعام، ويشرب الشراب مثله،  
وينام مثله:

فليتك تحلو والحياة مريحة  
وليتك ترضى والأنام غضاب  
وليت الذي بيئي وبينك عامر  
ويبيئي ويبين العالمين خراب  
إذا صح منك الود فالكل هين  
 وكل الذي فوق التراب تراب  
 وكذب عدو الله! بل الذي صح عنه الود الطيب.. هو الله.

والمحزن أن يأتي حديثٌ مستهتر من عندنا فيقول أشعار الكفر  
والإلحاد بيننا.. فالله حسيبه، يقول أحد هؤلاء الحداثيين عن أرض  
الجزيرة:

(أرضنا البيد غارقة.. طوق الليل أرجاءها.. وكساها بعسجه  
الهاشمي.. فدانت لعاداته معبدًا) !!!

فمن هو الهاشمي؟ ليس إلاً محمداً ﷺ

هذا الهاشمي أيها المتكلم هو الذي رفع الله به رؤوس أمتك  
وأخرجهم من الظلمات إلى النور.

هذا الهاشمي أيها البغيض هو الذي جعلنا نخطب على منابر

الأندلس وعلى ضفاف دجلة والفرات والجنج وطشقند وغيرها من بلاد الدنيا.

هذا الهاشمي أيها المتخلف هو الذي أخرج الله به أمة العرب من أمة متخلفة وثنية مشركة لأمة تقدم أرواحها للواحد الأحد.

إن البرية يوم مبعث محمد  
نظر الإله لها فبدل حالها  
بل كرم الإنسان حين اختار من  
خير البرية نجمها وهلالها  
لبس المرقع وهو قائد أمة  
جبت الكنوز فكسرت أغلالها  
لما رأها الله تمشي نحوه  
لا تتغى إلا رضاه سعى لها  
وأزال شائتها وأصلح بالها  
فأمدها مددًا وأعلى شأنها

#### ● بين الإيمان والإلحاد:

إن الصراع بين الإيمان والإلحاد يمتد من الكلمة والمحاجة إلى أرض المعركة.. فمعارك كثيرة شهدت صراعاً مريباً بين حزب الله وحزب الشيطان: بدر، أحد، الخندق، اليرموك، القادسية، جطين، عين جالوت... وغيرها كثير.

ولا زالت المعركة مستمرة بين الإيمان والإلحاد، فعلى سفوح جبال أفغانستان دارت معارك ضارية بين الفريقين.

فانتصرت بعدها كتائب الأفغان على جحافل الإلحاد.. فردوها الغزا وطردوهم شر طردة.

في جحفل منبني الأفغان ما تركت  
كرأتهم للعدى صوتاً ولا صيتاً  
قوم إذا قابلوك كانوا ملائكة  
حسناً وإن قاتلوا كانوا عفاريتا  
قالوا: لا إله إلا الله وسجدوا فنصرهم الله على عدوهم.

فيأبناء التوحيد، يا أبناء الذين رفعوا (لا إله إلا الله) ووزعواها على البشرية، أنتم نسل خالد بن الوليد وطارق وصلاح الدين، ومن يشابه أباه فما ظلم.

خالد أعطى السم في اليرموك وقال له الروم: إنك تزعم أنك متوكلا على الله فاشرب السم.

قال: بسم الله توكلت على الله، فشربه فما أصابه شيء.  
هؤلاء هم أجدادنا الذين صارعوا الإلحاد والكفر فصرعواه بحول الله وطويله.. وبقوته ونصره.

فهل آن لنا أن نجدد العهد بهم ونحيي مآثرهم.. فتنازل الإلحاد على كافة الجبهات؟

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.



## الفهرس

		الموضوع
		الصفحة
٥	.....	نعتقد أن
٢٧	.....	التوحيد عند الصفوية
٥٠	.....	التوحيد أولاً
٦١	.....	كلمة التوحيد
٧٤	.....	كلمة التوحيد توحيد الكلمة
٨٤	.....	مقدمة التوحيد
١٠٤	.....	فتاوي التوحيد
١٤٠	.....	آثار التوحيد
١٦١	.....	الاعتصام
١٨٨	.....	معركة بين التوحيد والإلحاد
٢٠١	.....	صراعنا مع أهل البدع
٢٢٤	.....	صراع المؤمنين مع الملحدين
٢٣٣	.....	الأدب المؤمن والأدب الملحد









